العتبة الحسينية المقدسة

سلسلة تراث العلماء (١)

الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام

تأليف

السيد عبد الرزاق المقرم

شعبة التراث الثقافي والديني

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

(١٥٦)

الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام

الشهيد مسلم بن عقيل

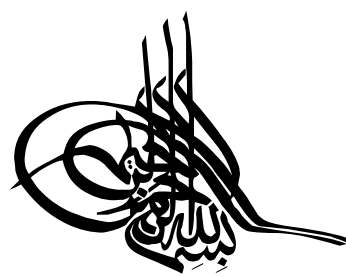

الشهيد
مسلم بن عقيل

عبد الرزاق الموسوي المقرم

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: إني أحب عقيلاً حبين حباً له وحباً لحب أبي طالب له وإن ولده لمقتول في محبة ولدك فتدمع عليه عيون المؤمنين وتصلي عليه الملائكة المقربون، ثم بكى رسول الله ﷺ حتى جرت دموعه على صدره، وقال: إلى الله تعالى أشكو ما تلقى عترتي من بعدي.

الأمالي

للشيخ الصدوق

ص١٢٨ مجلس ٢٧ حديث رقم٣

٦ ..... الشهيد مسلم بن عقيل

المقدّمة

بيت أبي طالب[١]:

لقد كان بيت أبي طالب موطّد الأساس بالنبوات مرفوعة معالمه بخلافة الله الكبرى وكانت آصرة النبوة ضاربة فيه من آدم إلى شيث إلى نوح إلى إبراهيم إلى إسماعيل الذبيح إلى من تناسل منه ممن دان بالتوحيد وكانت له الوصاية في المحافظة على نواميس الأنبياء وإنك لا تجد أحداً من عمود النسب الوضاح الذي يقف عنده الحديث النبوي[٢] إلا آخذاً بأعضاد الشرف

---

(١) طبعت هذه المقدمة في كتاب العباس عليه السلام ولنفاد النسخ رغب جماعة في إعادتها حرصاً على الفائدة.

(٢) في مناقب ابن شهر آشوب: ج١، ص١٠٦، وكشف الغمة للإربلي: ص٦ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكوا. وكأن السر فيه أن ما فوق عدنان من الأسماء مما يتعاصى نطق العامة بها نظراً إلى غرابتها فلا يؤمن معه من التصحيف فيسبب الوهن في ساحة جلالتهم والخفة في مقدارهم، وقد ولد الرسول الأعظم ووصيه أمير المؤمنين المقدم =

والسؤدد حاملاً للحنيفية البيضاء دين السلام والوئام وشرعة الخليل ابراهيم عليه السلام.

وإن الوقوف على بعض ما ذكره التأريخ في حق هؤلاء الرجال يشهد لهذه الدعوى المدعومة بالوجدان فكان عدنان يصرّح في خطبته بأن في من يتناسل منه النبي الكريم خاتم الرسل أجمعين الداعي إلى كلمة الحق ورسالة الصدق ثم أوصى باتباعه.

ولكون ولده مَعدّاً على نهجه أمر الله تعالى أرميا أن يحمله على البراق كيلا تصيبه نقمة بختنصر وعرّفه بأنه سيخرج من صُلبه نبياً يكون خاتم الأنبياء فحمله إلى أرض الشام إلى أن هدأت الفتنة[1].

وكان نور النبوّة يشعُّ في جبهة نزار[2] وورد النهي عن سب ربيعة ومضر والياس لكونهم مؤمنين وإلياس أول من أهدى البدن إلى البيت الحرام وأول من ظفر بمقام إبراهيم وقد أدرك مدركة ابن الياس كل عز لآبائه وفي جبهته نور النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ساطع وكان كنانة بن خزيمة بن مدركة يجاهر بالدعوة إلى دين الخليل

= صلى الله عليهما وعلى آلهما أجمعين.

(١) السيرة الحلبية: ج١، ص٢٠.

(٢) الروض الأنف للسهيلي: ج١، ص٨.

ورفض عبادة الأصنام وإن من صُلبه نبياً يدعو إلى البر والإحسان ومكارم الأخلاق.

وفهر بن مضر كانت العرب تهابه لجمعه خصال الخير والنور اللائح على أسِرّة جبهته ولانتصاره على حسان بن عبد كلال حين جاء من اليمن لأخذ أحجار الكعبة ليبني بها بيتاً باليمن يزوره الناس فأُسر حسان وانهزمت حمير وبقي حسان في الأسر ثلاث سنين ثم فدى نفسه بمال كثير وخرج فمات بين مكة والمدينة[١].

ولم يزل كعب بن لؤي يذكر النبي ﷺ ويعلم قريشاً بأنه من ولده ويأمر باتباعه وفي المأثور من كلامه: زيّنوا حرمكم وعظموه وتمسكوا به ولا تفارقوه فسيأتي له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم ثم قال:

نهار وليل واختلاف حوادث سواء علينا حلوها ومريرها
يؤوبان بالأحداث حتى تأوَّبا وبالنعم الضافي علينا ستورها
على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر أخباراً صدوقاً خبيرها

ثم قال:

يا ليتني شاهد فحواء دعوته حين العشيرة تبغي الحق خذلانا[٢]

---

(١) السيرة الحلبية: ج١، ص٩ و ص١٩.
(٢) صبح الأعشى: ج١، ص٢١١.

إن هذه السلسلة هي التي أنتجت قصياً فعبد مناف[١] فهاشماً فعبد المطلب ثم عبدالله وأبا طالب ومنهما أشرق الكون بخاتم الأنبياء وسيد الأوصياء صلوات الله عليهم أجمعين.

والذي يجب الهتاف به أن كل واحد من عمود النسب غير مدنّس بشيء من رجس الجاهلية ولا موصوم بعبادة وثن وهو الذي يرتضيه علماء الحق لكونهم صدّيقين بين أنبياء وأوصياء وقد نزههم الله سبحانه في خطابه لنبيه الأقدس: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ فإنه أثبت لهم بلفظ الجمع المحلي باللام السجود الحق الذي يرتضيه لهم.

وإن ما يؤثر عنهم من الأشياء المستغربة عندنا لا بد وأن

---

(١) كان اسمه عبداً ثم أضيف إليه مناف لأنه أناف على الناس وعلا أمره حتى ضربت إليه الركبان من أطراف الأرض فقيل عبد مناف وهو الصحيح كما في (إثبات الوصية) للمسعودي: ص٧٥، فما في السيرة النبوية لابن دحلان من أن أمه أخدمته صنماً اسمه مناف لا يعبأ به لأنه لم يكن من الأصنام صنم اسمه مناف وإنما الموجود (مناة) بالتاء المثناة من فوق ومن هنا كان ابن الكلبي يقول في كتاب (الأصنام)، ص٣٢ لا أدري أين كان هذا الصنم ولمن كان ومن نصبه ومنه نعرف الغلط في قول البرقي والزبير كما في الروض الأنف: ج١، ص٦، أن أمه أخدمته (مناة) بالتاء المثناة فسمي عبد مناة ولكن رآه قصي يوافق عبد مناة بن كنانة فحوله عبد مناف فإنه لا شاهد عليه والصحيح ما عليه المسعودي.

يكون من الشريعة المشروعة لهم أو يكون له معنى تظهره الدراية والتنقيب.

وليس آزر الذي كان ينحت الأصنام وكاهن نمرود أبا ابراهيم عليه السلام الذي نزل من ظهره لأن أباه اسمه تارخ وآزر إما أن يكون عمه كما ترتئيه جماعة من المؤرخين وإطلاق الأب على العم شائع على المجاز وبه جاء الكتاب المجيد: ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ فأطلق على اسماعيل لفظ الأب ولم يكن أبا يعقوب وإنما هو عمه كما أطلق على ابراهيم لفظ الأب وهو جده.

وإما أن يكون آزر جد ابراهيم لأمه كما يرتئيه المنقبون والجد للأم أب في الحقيقة ومما يؤيد أنه غير أبيه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ فميّزه باسمه ولو أراد أباه الذي نزل من ظهره لاستغنى بإضافة الأبوّة عن التسمية بآزر.

كل ذلك مضافاً إلى تصريح الرسول الكريم بطهارة آبائه من رجس الجاهلية وسفاح الكفر فإنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لما أراد الله تعالى أن يخلقنا صوّرنا عمود نور في صُلب آدم فكان ذلك النور في جبينه ثم انتقل إلى وصيّه شيث وفي ما أوصاه ألاّ يضع هذا النور الإلهي إلاّ في أرحام المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية

معمولاً بها يتناقلها كابر عن كابر فولدنا الأخيار من الرجال والخيّرات المطهرات المهذبات من النساء حتى انتهينا إلى صُلب عبد المطلب فجعله نصفين نصف في عبدالله فصار إلى آمنة ونصف في أبي طالب فصار إلى فاطمة بنت أسد[١].

ولم يزل هذا الحال كما وصفناه حتى أقبل دور شيخ الأبطح أبي طالب وولده أمير المؤمنين والإمامين السبطين سيدي شباب أهل الجنة والأئمة من ولد سيد الشهداء حتى يقف العدد على ناموس الدهر وولي الأمر في كل عصر عجل الله فرجه.

ههنا يقف اليراع عن تصوير عظمة هذا البيت المنيع ويرتج على الكاتب ويعيىٰ الشاعر فإن حقيقة القداسة بين طرفي النبوّة والإمامة التي جمعها هذا البيت لم تدع مسرحاً لقائل أو متسعاً لواصف لتقاعس القدرة البشرية عن نعت ما هو فوق مستواها ولا يمكنها الخبرة بحقائق أنوار عالم الملكوت.

نعم لها الإفاضة في مقدار ما يمكنها من التوصل إليه ولو في الجملة من أنه بيت نبوّة وإمامة، بيت علم ودين، بيت عز وسؤدد.

بيت علا سمك الضراح رفعة فكان أعلا شرفاً وأمنعا

---

(١) هذا حاصل أحاديث ذكرها المجلسي في البحار: ج٦، ص٦ وج٩ ـ ص٨.

أعـزّه الله فـمـا تـهـبـط فـي كـعـبـتـه الأمـلاك إلاّ خـضّـعـا
بـيـت مـن الـقـدس ونـاهـيـك بـه محطّ أسرار الهدى وموضعا
فكان مأوى المرتجي والملتجي فـمـا أعـز شـأنـه وأمـنـعـا[1]

وهذه الصفات الكريمة هي التي أهلت أبا طالب عليه السلام لحمل أعباء الوصاية عن الأنبياء عليهم السلام بعد أن تلقاها عن أبيه عبد المطلب الذي كان وصياً من الأوصياء وقارئاً للكتب السماوية كما أخبر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك إذ قال له: كان أبي يقرأ الكتب جميعاً وقال إن من صلبي نبياً لوددت أني أدركت ذلك الزمان فآمنت به فمن أدركه من ولدي فليؤمن به[2].

وكان أبو طالب كأبيه شيبة الحمد عالماً بما جاء به الأنبياء وأخبروا به أممهم من حوادث وملاحم لأنه وصيّ من الأوصياء وأمين على وصايا الأنبياء حتى سلمها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم[3].

وفي ذلك يقول درست بن منصور لأبي الحسن موسى عليه السلام أكان رسول الله محجوجاً بأبي طالب قال عليه السلام: لا ولكن كان مستودع الوصايا فدفعها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلت دفعها على أنه محجوج به قال عليه السلام لو كان محجوجاً به ما دفعها إليه قلت فما

---

(١) من قصيدة للعلامة الحجة السيد محمد حسين الكيشوان رحمه الله.
(٢) البحار: ج٩، ص٣١.
(٣) مرآة العقول: ج١، ص٣٦٢.

كان حال أبي طالب قال عليه السلام أقر بالنبي وبما جاء به حتى مات[١].

وقال شيخنا المجلسي أعلى الله مقامه: أجمعت الشيعة على أن أبا طالب لم يعبد صنماً قط وأنه كان من أوصياء ابراهيم الخليل عليه السلام، وحكى الطبرسي إجماع أهل العلم على ذلك، ووافقه ابن بطريق في كتاب الاستدراك[٢].

وقال الصدوق: كان عبد المطلب وأبو طالب من أعرف العلماء وأعلمهم بشأن النبي وكانا يكتمان ذلك عن الجهال والكفرة[٣].

ومما يشهد على ذلك الحديث الصحيح عن أمير المؤمنين عليه السلام: والله ما عبدَ أبي ولا جدي عبد المطلب ولا عبد مناف ولا هاشم صنماً وإنما كانوا يعبدون الله ويصلون إلى البيت على دين ابراهيم متمسكين به[٤].

ويقول أبو الحسن الرضا عليه السلام: كان نقش خاتم أبي طالب: (رضيت بالله رباً وبابن أخي محمد نبياً وبابني علي وصياً له)[٥].

---

(١) البحار: ج٩، ص٢٩.
(٢) المصدر.
(٣) إكمال الدين: ص١٠٢.
(٤) المصدر: ص١٠٤.
(٥) الدرجات الرفيعة للسيد علي خان بترجمة أبي طالب.

مضافاً إلى أن قريشاً لما أبصرت العجائب ليلة ولادة أمير المؤمنين عليه السلام خصوصاً لما أتوا بالآلهة إلى جبل أبي قبيس ليسكن ما حلّ بهم ارتجّ الجبل وتساقطت الأصنام ففزعوا إلى أبي طالب لأنه مفزع اللاجئ وعصمة المستجير، وسألوه عن ذلك فرفع يديه مبتهلاً إلى المولى جل شأنه قائلاً: إلهي أسألك بالمحمدية المحمودة والعلوية العالية والفاطمية البيضاء إلا تفضلت على تهامة بالرأفة والرحمة فسكن ما حلّ بهم، وعرفت قريش فضل هذه الأسماء قبل ظهورها فكانت العرب تكتب هذه الأسماء وتدعو بها عند المهمات وهي لا تعرف حقيقتها[١].

ومن هنا اعتمد عليه عبد المطلب في كفالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فخصّه به دون سائر بنيه وقال:

وصيت من كنيته بطالب عبد مناف[٢] وهو ذو تجارب

---

(١) روضة الواعظين للفتّال: ص٦٩.

(٢) اختلف في اسم أبي طالب على أقوال أربعة: الأول اسمه شيبة حكاه السيوطي في شرح شواهد المغني: ص١٣٥ مصر، الثاني اسمه عمران حكاه ابن حجر في الإصابة: ج٤، ص١١٥، بترجمته، الثالث كنيته حكاه الحاكم النيسابوري في المستدرك: ج٣، ص١٠٨، عن محمد بن اسحاق الرابع اسمه عبد مناف نص عليه ابن حبيب في المحبر: ص١٦، والطبري في التاريخ: ج٦، ص٨٩ وابن الأثير في الكامل: ج٣، ص١٥٨، وأبو الفدا في المختصر: ج١، ص١٧٠، وحكاه الحاكم في معرفة علوم=

يابن الحبيب أكرم الأقارب بابن الذي قد غاب غير آيب

فقال أبو طالب:

لا توصني بلازم وواجب إني سمعت أعجب العجائب
من كل حبر عالم وكاتب بان بحمد الله قول الراهب

فقال عبد المطلب انظر يا أبا طالب أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه ولم يذق شفقة أمه انظر أن يكون من جسدك بمنزلة كبدك فإني قد تركت بنيَّ كلهم وخصصتك به فانصره بلسانك ويدك ومالك فإنه والله سيسوِّدكم ويملك ما لا يملك أحد من آبائي هل قبلت وصيتي؟ قال نعم قد قبلت والله على ذلك شاهد.

فقال عبد المطلب: مُد يدك، فمد يده وضرب عبد المطلب بيده على يد أبي طالب ثم قال عبد المطلب: الآن خفف عليّ

= الحديث: ص٨٤، عن ابن معين والنويري في نهاية الأرب: ج٢، ص٣٤١ والسيوطي في شرح شواهد المغني: ج١، ص١٣٥، وابن قتيبة في المعارف: ص٨٨، وعند ابن حجر في الإصابة أنه المشهور وفي عمدة الطالب: ص٥ النجف هو الصحيح وبذلك نطقت وصية أبيه عبد المطلب فإنه قال:

أوصيك يا عبد مناف بعدي بواحد بعد أبيه فرد

وقال أيضاً:

وصيت من كنيته بطالب عبد مناف وهو ذو تجارب

الموت، ولم يزل يُقبّله ويقول: أشهد أني لم أرَ أحداً أطيب ريحاً منك ولا أحسن وجهاً[١].

لم ينص عبد المطلب عليه بالوصية لمحض أنه شقيق أبيه عبدالله فلقد كان الزبير يشارك أبا طالب في ذلك وإنما هو لكفايته لتلك المرتبة القدسية فقد صاغه المهيمن سبحانه متأهلاً لحمل النواميس الإلهية (شديد بأعباء الخلافة كاهله).

فاجتمعت فيه القابلية الذاتية والمعدات المفاضة عليه من سلفه الطاهر ومن الأوصياء الماضين وتأكدت بمصاحبة النبي الأعظم ﷺ آناء الليل وأطراف النهار فلا يكاد يفارقه آناً ما وبمشهد منه الإرهاصات النبوية والإفاضات الإلّهية المكهربة للمواد اللائقة.

فرح أبو طالب بهذه الحظوة من أبيه العطوف وراح يدخر لنفسه السعادة الخالدة بكفالة نبي الرحمة فقام بأمره وحماه في صغره بماله وجاهه من اليهود والعرب وقريش وكان يؤثره على أهله ونفسه وكيف لا يفعل هذا وهو يشاهد من ابن أخيه ولما يبلغ التاسعة من عمره هيكل القدس يملأ الدست هيبة ورجاحة أكثر ضحكه الابتسام ويأنس بالوحدة أكثر من الاجتماع وإذا وضع له الطعام والشراب لم يتناول منه شيئاً إلا قال باسم الله

---

(١) مرآة العقول: ج١، ص٣٦٨.

الأحد وإذا فرغ من الطعام حمد الله وأثنى عليه وإن رصده في نومه شاهد النور يسطع من رأسه إلى عنان السماء[١].

وكان يوماً معه بذي المجاز فعطش أبو طالب ولم يجد الماء فجاء النبيﷺ إلى صخرة هناك فركلها برجله فنبع من تحتها الماء العذب[٢] وزاد على ذلك توفر الطعام في بيته حتى إنه يكفي الجمع الكثير إذا تناول النبي منه شيئاً[٣].

وهذا وحده كافٍ في الإذعان بأن أبا طالب كان على يقين من نبوّة ابن أخيهﷺ أضف إلى ذلك قوله في خطبته لما أراد أن يزوجه من خديجة: (وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل)[٤].

وكان يقول في وصيته لقريش عند الوفاة: يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ولا شرفاً إلا أدركتموه فلكم به على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة والناس لكم حرب وإلى حربكم إلب وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية فإن

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب.

(٢) السيرة الحلبية: ج١، ص١٣٩.

(٣) المصدر.

(٤) المصدر.

فيها مرضاة للرب وقواماً للجأش وثباتاً للوطأة صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فإن صلة الرحم منسأة للأجل وزيادة في العدد واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم أجيبوا الداعي وأعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فإن فيهما محبة للخاص ومكرمة للعام.

وإني أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش والصدّيق في العرب كأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الوبر والأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدّقوا كلمته وعظموه فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ودورها خراباً وأعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم أقربهم عنده قد محضته العرب ودادها وأصغت له فؤادها وأعطته قيادها.

دونكم يا معشر قريش المحافظة على ابن أخيكم وكونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا سعد ولا يأخذ بهديه إلا رشد ولو كان للنفس مدة وللأجل تأخير لكفيت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي وأنشد:

أوصي بنصر النبي الخير مشهده علياً ابني وشيخ القوم عباسا
وحمزة الأسد الحامي حقيقته وجعفراً أن يذودا دونه الناسا

كونوا فداء لكم أمي وما ولدت في نصر أحمد دون الناس أتراسا[١]

ولما جاء العباس إلى أبي طالب يخبره بتألب قريش على معاداته قال له إن أبي أخبرني أن الرسول على حق ولا يضرّه ما عليه قريش من المعاداة له وإن أبي كان يقرأ الكتب جميعاً وقال إن من صلبي نبياً لوددت أني أدركته فآمنت به فمن أدركه فليؤمن به[٢].

واستشهاده بكلمة أبيه القارئ للكتب الإلهية مع أنه كان يقرأها مثله يدلنا على تفننه في تنسيق القياس وإقامة البرهان على صحة النبوة وأن الواجب اعتناق شريعته الحقة.

أما هو نفسه فعلى يقين من أن رسالة ابن أخيه خاتمة الرسالات وهو أفضل ممّن تقدمه قبل أن يشرق نور النبوة على وجه البسيطة ولم تجهل لديه صفات النبي المبعوث وعلى هذا الأساس أخبر بعض أهل العلم من الأحبار حينما أسرّ إليه بأنّ ابن أخيه الروح الطيبة والنبي المطهر على لسان التوراة والإنجيل

---

(١) الدرجات الرفيعة للسيد علي خان بترجمة أبي طالب، واختصر هذه الوصية في تاريخ الخميس: ج١، ص٣٣٩ وطراز المجالس للخفاجي: ص٢١٧، وثمرات الأوراق للحموي بهامش المستظرف: ج٢، ص١٠، وبلوغ الأرب: ج١، ص٣٢٧، ط أول وأسنى المطالب لزيني دحلان: ص٥.

(٢) الحجة على الذاهب: ص٦٥.

فاستكتمه أبو طالب الحديث كي لا يفشو الخبر، ثم قال له: إن أبي أخبرني أنه النبي المبعوث وأمر أن أستر ذلك لئلّا يغري به الأعادي ولو لم يكن معتقداً صدق الدعوة لما قال لأخيه حمزة لما أظهر الإسلام:[١]

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد وكن مظهراً للدين وفقت صابرا
وحط من أتى بالدين من عند ربه بصدق وحق لا تكن حمز كافرا
فقد سرني إذ قلت إنك مؤمن فكن لرسول الله في الله ناصرا
ونادِ قريشاً بالذي قد أتيته جهاراً وقل: ما كان أحمد ساحرا

وقال راداً على قريش:[٢]

ألم تعلموا إنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خُطّ في أول الكتب

وقال:[٣]

وأمسى ابن عبدالله فينا مصدَّقاً على سخط من قومنا غير معتب

وقال:[٤]

أمين محب في العباد مسوَّم بخاتم ربّ قاهر للخواتم

---

(١) المصدر: ص٧١.
(٢) خزانة الأدب للبغدادي: ج١، ص٢٦١.
(٣) الحجة على الذاهب: ص٤٥.
(٤) شرح النهج الحديدي: ج٣، ص٣١٣.

يرى الناس برهاناً عليه وهيبة وما جاهل في فعله مثل عالم
نبي أتاه الوحي من عند ربه فمن قال لا، يقرع بها سن نادم

ومما خاطب به النجاشي:

تعلم خيار الناس أن محمداً وزير لموسى والمسيح ابن مريم
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به فكل بأمر الله يهدي ويعصم

لم يتسنَّ لهم أي غميزة فيه فتحاملوا على أمه وأبيه إيذاءً له وإكثاراً لنظائر من يرمون إكباره وإجلاله ممن سبق منهم الكفر وحيث لم يسعهم الحط من كرامة النبي والوصي عمدوا إلى أبويهما الكريمين فعزوا إليهما الطامات وستروا ما يؤثر عنهما من الفضائل إيثاراً لما يروقهم إثباته.

يشهد لذلك ما ذكره بعض الكتاب عند ذكره أسرى بدر فإنه قال: وكان من الأسرى عم النبي وعقيل ابن عمه (أخو علي)[1].

فلو كان غرضه تعريف المأسور لكان في تعريف عقيل بأنه ابن عم النبي كفاية كما اكتفى في تعريف العباس به ولم يحتج أن يكتب بين قوسين (أخو علي) وأنت تعرف المراد من ذكر هذه الكلمة بين قوسين وإلى أي شيء يرمز بها الكاتب ولكن فاته

---

(١) تاريخ الأمة العربية للمقدادي: ص٨٤، مطبعة الحكومة بغداد، سنة ١٩٣٩م.

الغرض وهيهات الذي أراد ففشل.

ثم جاء فريق آخر من المؤرخين يحسبون حصر المصادر في ذوي الأغراض المستهدفة وأنّ ما جاؤوا به حقائق راهنة فاقتصروا على مروياتهم مما دب ودرج وفيها الخرافات وما أوحته إليهم الأهواء والنوايا السيئة ومن هنا أُهملت حقائق ورُويت أباطيل.

فعزوا إلى أبي طالب قوله: إني لا أحب أن تعلوني استي[١] ثم رووا عنه أنه قال لرسول الله: ما هذا الدين؟ قال رسول الله: دين الله ودين ملائكته ورُسله ودين أبينا ابراهيم بعثني الله به إلى العباد وأنت أحق من دعوته إلى الهدى وأحق من أجابني.

فقال أبو طالب إني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي والله لا يخلص إليك من قريش شيء تكرهه ما حييت[٢].

فحسبوا من هذا الكلام أن أبا طالب ممن يعبد الأوثان كيف وهو على التوحيد أدل وجوابه هذا من أنفس التورية وأبلغ المحاورة فإن مراده من قوله لرسول الله عقيب قوله أنت أحق من دعوته: إني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي...

---

(١) السيرة الحلبية: ج١، ص٣٠٦.

(٢) الطبري: ج١، ص٢١٣، وابن الأثير: ج٢، ص٢١.

الاعتراف بإيمانه وأنه باقٍ على حنيفية ابراهيم الخليل التي هي دين الحق ودينه ودين آبائه ثم زاد أبو طالب في تطمين النبي بالمدافعة عنه مهما كان باقياً في الدنيا.

نعم من لا خبرة له بأساليب الكلام وخواص التورية يحسب أنّ أبا طالب أراد بقوله: إني لا أفارق ديني إلخ الخضوع للأصنام فصفق طرباً واختال مرحاً.

وجاء آخر يعتذر عنه بأن شيخ الأبطح كان يراعي بقوله هذا الموافقة لقريش ليتمكن من كلاءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتمشية دعوته.

نحن لا ننكر أن أبا طالب كان يلاحظ شيئاً من ذلك ويروقه مداراة القوم للحصول على غايته الثمينة كي لا يمس كرامة الرسول سوء لكنّا لا نصافقهم في كل ما يقولونه من انسلاله عن الدين الحنيف انسلالاً باتاً، فإنه خلاف الثابت من سيرته حتى عند رواة تلكم المخزيات ومهملي الحقائق الناصعة حذراً عما لايلائم خطتهم فلقد كان يراغم الطواغيت بما هو أعظم من التظاهر بالإيمان والائتمام بالصلاة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وإن شعره الطافح بذكر النبوة والتصديق بها سرت به الركبان وكذلك أعماله الناجعة حول دعوى الرسالة:

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى وهذا بيثرب حبس الحِماما

تكفل عبد مناف بأمر وأودى فكان علي تماما
فللّه ذا فاتح للهدى ولله ذا للمعالي ختاما
وما ضر مجد أبي طالب عدوّ لغى وجهول تعامى

وخلاصة البحث أن أبا طالب حلقة الوصل بين سلسلة الوصاية عن الرسل الماضين حتى أوصلها إلى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وكما تنتهي به الحلقات الغابرة فإن بولده أمير المؤمنين تبتدئ سلسلة الخلافة المحمدية ثم تتواصل في بنيه الأطهرين حتى تنتهي إلى حجة العصر وناموس الدهر الحجة المهدي المنتظر عجل الله فرجه.

فبيت أبي طالب بيت ضرب على النبوة سرادقه، وبنى على الوصاية أطرافه، ونيطت بالدين أطنابه، وأسدل على العلم سجافه ووطدت على التقوى أوتاده.

إذاً فما ظنك بمن ضمه هذا البيت وتربى فيه فهل يعدوه أن يكون إما داعية إلى الهدى أو مهذباً للبشر أو معلماً للنواميس الإلهية أو هادياً إلى سبل السلام أو قائداً إلى الصالح العام.

نعم لا يجوز أن يكون من حواه هذا البيت إلا كما وصفناه بعد أن كان نصب عينه الأعلام الإلّهية وملءَ أُذنه الوحي والإلهام وحشو فؤاده نكت من عالم الغيوب ومعه التمارين المسعدة والتعاليم المصلحة.

وقد لبى هتاف الدعوة الإلآهية زوج شيخ الأبطح التي شهد لها الرسول الأمين بأنها من الطاهرات الطيبات المؤمنات في جميع أدوار حياتها، والعجب ممن اغتر بتمويه المبطلين فدوّن تلك الفرية زعماً منه أنها من فضائل سيد الأوصياء وهي أن فاطمة بنت أسد[١] دخلت البيت الحرام حاملة بعلي بن أبي طالب فأرادت أن تسجد لهبل فمنعها عليعليه السلام وهو في بطنها.

وقد فات المسكين أن في هذه الكرامة التي حسبها طعناً بتلك الذات المبرَّأة من رجس الجاهلية ودنس الشرك وكيف يكون أشرف المخلوقات بعد خاتم الأنبياء المتكون من النور الإلهي مودعاً في وعاء الكفر والجحود.

كما أنهم أبعدوها كثيراً عن مستوى التعاليم الإلآهية ودروس خاتم الأنبياء الملقاة عليها كل صباح ومساء وفيها ما فرضه المهيمن سبحانه على الأمة جمعاء من الإيمان بما حبا ولدها الوصي بالولاية على المؤمنين حتى اختص بها دون الأئمة من أبنائه وإن كانوا نوراً واحداً وطينة واحدة ولقد غضب الإمام

---

(١) في نهاية الأرب للنويري: ج٢، ص٣٤١، هي بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وهي أول هاشمية تزوجت هاشمياً وعند ابن جرير الطبري في التاريخ: ج٦، ص٨٩، وابن الأثير في الكامل: ج٣، ص١٥٨، وأبو الفدا في المختصر: ج١، ص١٧٠، وابن كثير في البداية: ج٧، ص٣٣٢ كما في النهاية.

الصادق عليه السلام على من سماه أمير المؤمنين وقال: مَه لا يصلح هذا الاسم إلا لجدي أمير المؤمنين.

فرووا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقف على قبرها وصاح ابنك علي لا جعفر ولا عقيل، ولما سُئل عنه أجاب أن الملك سألها عمن تدين بولايته بعد الرسول فخجلت أن تقول ولدي[1].

أمن المعقول أن تكون تلك الذات الطاهرة الحاملة لأشرف الخلق بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعيدة عن تلك التعاليم المقدسة، وهل في الدين حياء، نعم أرادوا أن يزحزحوها عن الصراط السوي ولكن فاتهم الغرض وأخطأوا الرمية.

فإن الصحيح من الآثار ينص على أن النبي لما أنزلها في لحدها ناداها برفيع صوت: يا فاطمة أنا محمد سيد ولد آدم ولا فخر فإذا أتاك منكر ونكير فسألاك من ربك؟ فقولي الله ربي ومحمد نبيي والإسلام ديني والقرآن كتابي وابني إمامي ووليي، ثم خرج من القبر وأهال عليها التراب[2].

ولعل هذا خاص بها ومن جرى مجراها من الزاكين الطيبين

---

(١) خصائص أمير المؤمنين للسيد الرضي وفي طريق الحديث محمد بن جمهور العمي الضعيف بنص النجاشي والكشي وابن الغضائري والعلامة الحلي.

(٢) مجالس الصدوق: ص١٨٩، مجلس ٥١.

كفاطمة الزهراء عليها السلام فإن الحديث ينص على أنها لما سألها الملكان عن ربها قالت الله ربي، قالا ومن نبيك، قالت: أبي، قالا: ومن وليك، قالت: هذا القائم على شفير قبري علي بن أبي طالب[١].

وإلا فلم يعهد في زمان الرسالة تلقين الأموات بمعرفة الولي بعد النبي فإن غاية ما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم: لقّنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنها تهدم الخطايا.

والخدشة في هذا الحديث واضحة فإن الاعتراف بالرسالة كالاعتراف بالتوحيد متلازمان، وتلقين الأموات إنما هو لأجل أن يكون العبد الراحل عن هذه الدنيا باقياً على ما هو عليه فيها حتى في آخر المنازل، فالإقرار بإحدى الشهادتين لا ينفك عن الأُخرى، فهذا الحديث الناص على الإقرار بكلمة التوحيد مع السكوت عن الشهادة بالرسالة لنبي الإسلام لا نعرف سنده ليكون شاهداً ودليلاً.

وعلى كل فتخصيص زوج أبي طالب بذلك التلقين كالتكبير عليها أربعين من خصائصها لأن التكبير على الأموات خمس.

وبالرغم من هاتيك السفاسف التي أرادوا بها الحط من مقام

---

(١) الإصابة لابن حجر: ج٢، ص٤٧٨، بترجمة عروة بن مسعود.

والدة أمير المؤمنين عليه السلام أظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمام الأمة ما أعرب عن مكانتها من الدين وأنها بعين فاطر السماء سبحانه حين كفنها بقميصه الذي لا يبلى لتكون مستورة يوم يعرى الخلق وكان الاضطجاع في قبرها إجابة لرغبتها فيه عندما حدثها عن أحوال القبر وما يكون فيه من ضغط ابن آدم.

ولولا التنازل لرغبتها لما كان لاضطجاعه صلى الله عليه وآله وسلم معنى فإن المؤمن المعترف بولاية أمير المؤمنين لا تصيبه الضغطة كما في صحيح الأثر فكيف بالوعاء الحامل لمن تكوَّن من النور الأقدس.

فتحصل أن هذا البيت الطاهر بيت أبي طالب بيت توحيد وإيمان وهُدى ورشاد وأن من حواه البيت رجالاً ونساءً كلهم على دين واحد منذ هتف داعية الهُدى وصدع بأمر الرسالة غير أنهم بين من جاهر باتباع الدعوة وبين من كتم الإيمان لضرب من المصلحة.

وقد لبت هذا الهتاف أم هاني بنت أبي طالب فكانت من السابقات إلى الإيمان كما عليه صحيح الأثر وفي بيتها نزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المعراج وهو في السنة الثالثة من البعثة وحدثها بأمره قبل أن يخرج إلى الناس وكانت مصدقة له غير أنها خشيت تكذيب قريش إياه وعليه فلا يعبأ بما زعم من تأخر إسلامها إلى عام الفتح سنة ثمانٍ من الهجرة.

وكانت وفاتها إما في أيام النبيﷺ كما في مناقب ابن شهر آشوب ج١، ص ١١٠ وإما في خلافة معاوية كما في تقريب التهذيب لابن حجر: ص ٦٢٠ وحينئذ فليست هي المعنية بما في كامل الزيارة لابن قولويه: ص ٩٦، وأقبلت إليه بعض عماته تقول: أشهد يا حسين لقد سمعت قائلاً يقول:

وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاباً من قريش فذلت

عقيل

لقد كان عقيل بن أبي طالب أحد أغصان الشجرة الطيبة وممن رضي عنهم الرسولﷺ، فإن النظرة الصحيحة في التاريخ تفيدنا اعتناقه الإسلام أول الدعوة وكان هذا مجلبة للحب النبوي حيث اجتمعت فيه شرائط الولاء، من رسوخ الإيمان في جوانحه، وعمل الخيرات بجوارحه ولزوم الطاعة في أعماله، واقتفاء الصدق في أقواله، فقول النبي: إني أحب عقيلاً حبين حباً له وحباً لحب أبي طالب له[1] إنما هو لأجل هاتيك المآثر وليس من المعقول كون حُبه لغاية شهوية أولشيء من عرض الدنيا.

---

(١) نص على هذه الجملة فقط في مستدرك الحاكم: ج٣، ص٥٧٦ وتذكرة الخواص: ص٧، والسيرة الحلبية: ج١، ص٣٠٤، ونكت الهميان: ص٢٠٠، ولها زيادة في حق ولده مسلم نص عليها الصدوق في الأمالي: ص٧٨، مجلس ٢٧، سنذكرها في فضل البكاء عليه.

إذاً فحسب عقيل من العظمة هذه المكانة الشامخة وقد حدته قوة الإيمان إلى أن يسلق أعداء أخيه امير المؤمنين عليه السلام بلسان حديد خلده عاراً عليهم مدى الحقب والأعوام.

على أن حُب أبي طالب له لم يكن لمحض البنوّة فإنه لم يكن ولده البكر ولا كان أشجع ولده ولا أوفاهم ذمة ولا ولده الوحيد، وقد كان في ولده مثل أمير المؤمنين وأبي المساكين جعفر الطيار وطالب وهو أكبرهم سناً، وإنما كان شيخ الأبطح يظهر مرتبة من الحُب له مع وجود ولده (الإمام) وأخيه الطيار لجمعه الفضائل والفواضل موروثة ومكتسبة.

وبعد أن فرضنا أبا طالب حجة وقته وأنه وصي من الأوصياء لم يكن يحابي أحداً بالمحبة وإن كان أعز ولده، إلا أن يجده ذلك الإنسان الكامل الذي يجب في شريعة الحق ولاؤه.

ولا شك أن عقيلاً لم يكن حائداً عن الطريقة التي عليها أهل بيته أجمع من الإيمان والوحدانية لله تعالى وكيف يشذ عن خاصته وأهله وهو وإياهم في بيت واحد وأبو طالب هو المتكفل تربيته وإعاشته، فلا هو بطارده عن حوزته ولا بمبيده عن حومته ولا بمتضجر منه على الأقل وكيف يتظاهر بحبه ويدنيه منه كما يعلمنا النص النبوي السابق لو لم يتوثق من إيمانه ويتيقّن من إسلامه غير أنه كان مبطناً له كما كان أبوه وأخوه طالب وإن كنا لا نشك في تفاوت الإيمان فيه وفي أخويه الطيار وأمير المؤمنين وحينئذ لم

يكن عقيل بدعاً من هذا البيت الطاهر الذي بني الإسلام على علاليه فهو مؤمن بما صدع به الرسول منذ هتف داعية الهدى صلوات الله عليه وعلى آله.

إلى الشام

لقد كانت الروايات في سفر عقيل إلى الشام في أنه على عهد أخيه الإمام أو بعده متضاربة واستظهر ابن أبي الحديد في شرح النهج: ج٣، ص ٨٢، أنه بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام وجزم به العلامة الجليل السيد علي خان في الدرجات الرفيعة وهو الذي يقوى في النظر بعد ملاحظة مجموع ما يؤثر عنه في هذا الباب وعليه تكون وفادته كوفود غيره من الرجال المرضيين عند أهل البيت إلى معاوية في تلك الظروف القاسية بعد أن اضطرتهم إليه الحاجة وساقهم وجه الحيلة في الإبقاء على النفس والكف من بوادر الرجل فلا هم بملومين بشيء من ذلك ولا يحط من كرامتهم عند الملأ الديني فإن للتقية أحكاماً لا تنقض ولا يلام المضطر على أمر اضطر إليه.

على أن عقيلاً لم يؤثر عنه يوم وفادته على معاوية إقرار له بإمامة ولا خضوع له عند كرامة، وإنما المأثور منه الوقيعة فيه والطعن في حسبه ونسبه والحط من كرامته والإصحار بمطاعنه مشفوعة بالإشادة بفضل أخيه سيد الوصيين.

فمن ذلك أن معاوية قال له: يا أبا يزيد أخبرني عن عسكري وعسكر أخيك، فقال عقيل: لقد مررت بعسكر أخي فإذا ليل كليل رسول الله ونهار كنهاره إلا أن رسول الله ليس فيهم وما رأيت فيهم إلا مصلياً ولا سمعت إلا قارئاً ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نفَّر برسول الله ليلة العقبة[١].

وقال له معاوية: إن علياً قطع قرابتك ولم يصلك، فقال عقيل: والله لقد أجزل أخي العطية وأعظمها، ووصل القرابة وحفظها، وحسن ظنه بالله إذ ساء به مثلك وحفظ أمانته وأصلح رعيته إذ خنتم وأفسدتم فاكفف لا أباً لك فإنه عما تقول بمعزل[٢].

ثم صاح: يا أهل الشام لقد وجدت أخي قد جعل دينه دون دنياه، وخشي الله على نفسه، ولم تأخذه في الله لومة لائم، ووجدت معاوية قد جعل دنياه دون دينه، وركب الضلالة واتبع الهوى، فأعطاني ما لم يعرق فيه جبينه، ولم تكدح فيه يمينه، رزقاً أجراه الله على يديه، وهو المحاسب عليه دوني لا محموداً ولا مشكوراً.

---

(١) الدرجات الرفيعة بترجمته.

(٢) العقد الفريد: ج٢، ص١٣٤، في باب الأجوبة المسكتة.

ثم التفت إلى معاوية وقال: أما والله يابن هند ما تزال منك سوالف يمرها منك قول وفعل فكأني بك وقد أحاط بك ما الذي منه تحاذر.

فأطرق معاوية ثم قال: ما الذي يعذرني من بني هاشم، وأنشأ:

أزيدهم الإكرام كي يشعبوا العصا فيأبوا لدى الإكرام أن يكرّموا
وإذا عطفتني رقتان عليهم نأوا حسداً عني فكانوا هم هم
وأعطيتهم صفو الإخا فكأنني معاً وعطاياي المباحة علقم
وأغضي عن الذنب الذي لا يقيله من القوم إلا الهزبريّ المعمم
حباً واصطباراً وانعطافاً ورقة وأكظم غيظ القلب إذ ليس يكظم

أما والله يابن أبي طالب لولا أن يقال عجل معاوية لخرق ونكل عن جوابك لتركت هامتك أخف على أيدي الرجال من حوي الحنظل.

فأجابه عقيل:

عذيرك منهم من يلوم عليهم ومن هو منهم في المقالة أظلم
لعمرك ما أعطيتهم منك رأفة ولكن لأسباب وحولك علقم
أبى لهم أن ينزل الذل عنوة إذا ما طغا الجبار كانوا هم هم
فدونك ما أسديت فاشدد يداً به وخيركم المبسوط والشر فالزموا

ثم رمى عقيل عليه بالمائة ألف درهم وقام من مجلسه فكتب

إليه معاوية أما بعد يا بني عبد المطلب أنتم والله فرع قصي ولباب عبد مناف وصفوة هاشم ولكم الصفح الجميل فإن أحلامكم لراسخة وعقولكم لكاسية وحفظكم الأوامر وحبكم العشائر ولكم الصفح الجميل والعفو الجزيل مقرونان بشرف النبوة وعز الرسالة وقد والله ساءني ما كان جرى ولن أعود لمثله إلى أن أغيّب في الثرى، فكتب إليه عقيل:

صدقت وقلت حقاً غير أني أرى ألاّ أراك ولا تراني
ولست أقول سوءً في صديقي ولكني أصدّ إذا جفاني

فكتب إليه معاوية يستعطفه ويناشده الصفح وألحّ عليه في ذلك فرجع إليه[1].

فقال معاوية: لمَ جفوتنا يا أبا يزيد، فأنشأ يقول:

وإني امرؤ مني التكرّم شيمة إذا صاحبي يوماً على الهون أضمرا

ثم قال: يا معاوية لئن كانت الدنيا أفرشتك مهادها، وأظلتك بسرادقاتها ومدت عليك أطناب سلطانها ما ذاك بالذي يزيدك مني رغبة وتخشعاً لرهبة.

فقال معاوية: لقد نعتها أبو يزيد نعتاً هش له قلبي، ثم قال له: لقد أصبحت يا أبا يزيد علينا كريماً وإلينا حبيباً وما أصبحت

---

(١) ربيع الأبرار للزمخشري في باب المعاتبات.

أُضمر لك إساءة[١].

هذا حال عقيل مع معاوية وحينئذ فأي نقص يلم به والحالة هذه وعلى الوصف الذي أتينا به تعرف أنه لا صحة لما رواه المتساهلون في النقل من كونه مع معاوية بصفين فإنه مما لم يتأكد إسناده ولا عرف متنه ويضاده جميع ما ذكرناه.

كما يبعده كتابه من مكة إلى أمير المؤمنين حين أغار الضحاك على الحيرة وما والاها وذلك بعد حادثة صفين.

كتاب عقيل

فإنه كتب: بسم الله الرحمن الرحيم

لعبدالله أمير المؤمنين من عقيل بن أبي طالب سلام الله عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن الله حارسك من كل سوء وعاصمك من كل مكروه وعلى كل حال فإني خرجت من مكة معتمراً فلقيت عبدالله بن أبي سرح مقبلاً من (قديد) في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء فعرفت في وجوههم المنكر فقلت إلى أين يا أبناء الشانئين أبمعاوية لاحقون عداوة لله منكم غير مستنكرة تريدون إطفاء نور الله وتبديل أمره، فأسمعني القوم وأسمعتهم.

---

(١) العقد الفريد: ج١، ص١٣٥.

فلما قدمت مكة سمعت أهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة فاحتمل من أموالها ما شاء ثم انكفأ راجعاً سالماً وإن الحياة في دهر جرَّأ عليك الضحاك لذميمة وما الضحاك إلا فقع بقرقر وقد توهمت حيث بلغني ذلك أن شيعتك وأنصارك خذلوك فاكتب إليّ يابن أبي برأيك فإن كنت الموت تريد تحملت إليك ببني أخيك وولد أبيك فعشنا معك ما عشت ومتنا معك إذا مت فوالله ما أحب أن أبقى في الدنيا بعدك فواق ناقة وأُقسم بالأعز الأجل أن عيشاً نعيشه بعدك لا هنيء ولا مريء ولا نجيع والسلام.

كتاب أمير المؤمنين

وكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبي طالب سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد كلأنا الله وإياك كلاءة من يغشاه، وقد وصل إلي كتابك مع عبدالرحمن بن عبيد الأزدي، تذكر فيه أنك لقيت عبدالله بن أبي سرح مقبلاً من (قديد) في نحو أربعين فارساً من أبناء الطلقاء متوجهين إلى جهة المغرب وإن ابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه وصدّ عن سبيله وبغاها عوجاً، فدع عنك ابن أبي سرح ودع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال وتجوالهم في الشقاق.

ألا وإن العرب أجمعت على حرب أخيك اليوم إجماعها على حرب النبي قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقه، وجحدوا فضله، وبادروه بالعداوة، ونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه الجهد، وجرّوا إليه جيش الأحزاب، اللهم فاجزِ قريشاً عني الجوازي؛ فقد قطعت رحمي، وتظاهرت عليّ، ودفعتني عن حقي، وسلبتني سلطان ابن أمي، وسلّمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول، وسابقتي في الإسلام، إلا أن يدّعي مدَّعٍ ما لا أعرفه، ولا أظن الله يعرفه، والحمد لله على كل حال.

وأما ما ذكرت من غارة الضحاك على أهل الحيرة فهو أقل وأقل أن يسلب بها وأن يدنو منها، ولكنه قد أقبل في جريدة خيل فأخذ على السماوة حتى قربوا من واقصة وشراف والقطقطانة وما والى ذلك الصقع، فوجهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين، فلما بلغه ذلك فرّ هارباً، فاتبعوه ولحقوه ببعض الطريق وقد أمعن، وكان ذلك حين طفلت الشمس للإياب فتناوشوا القتال قليلاً فلم يبصر إلا برفع المشرفية وولى هارباً، وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً، ونجا جريضاً بعدما أُخذ منه بالمخنق فلأياً بلأي ما نجا.

وأما ما سألتني أن أكتب إليك برأيي فيما أنا فيه، فإن رأيي جهاد المحلّين حتى ألقى الله، لا تزيدني كثرة الناس عزة، ولا تفرقهم عني وحشة لأني محق، والله مع المحق، ووالله ما أكره

الموت على الحق، وما الخير كله إلا بعد الموت لمن كان محقاً.

وأما ما عرضت به من مسيرك إليّ ببنيك وبني أبيك، فلا حاجة لي في ذلك فأقم راشداً محموداً فوالله ما أُحب أن تهلكوا معي إن هلكت، ولا تحسبن ابن أبيك لو أسلمه الناس متخشعاً متضرعاً (ولا مقراً للضيم واهناً ولا سلس الزمام للقائد، ولا وطيء الظهر للراكب المتقعد)[1] ولكنه كما قال أخو بني سليم:

فإن تسأليني كيف أنت فإنني صبور على ريب الزمان صليب
يعز عليّ أن تُرى بي كآبة فيشمت باغٍ أو يساء حبيب

وهذا الكتاب من عقيل المروي بطرق متعددة[2] يدلنا على أنه كان مع أخيه أمير المؤمنين عليه السلام في حياته غير مفارق له فإن الكتاب الذي كتبه إليه هو بعد غارة الضحاك على أطراف الحيرة، وذلك قرب شهادة أمير المؤمنين عليه السلام.

إذاً فالقول بأن وفادة عقيل على معاوية بعد أخيه متعين كما

---

(١) الجملة بين قوسين في النهج: ج٢، ص٦٤.

(٢) روى الكتابين أبو الفرج في الأغاني: ج١٥، ص٤٤، وابن أبي الحديد في شرح النهج: ج١، ص١٥٥، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ج١، ص٤٥، والسيد علي خان في الدرجات الرفيعة بترجمة عقيل وفي جمهرة رسائل العرب: ج١، ص٥٩٦.

اختاره السيد المحقق السيد علي خان في الدرجات الرفيعة وجعله ابن أبي الحديد الأظهر عنده، وقد ظهر من ذلك أنه لم يكن مع معاوية بصفين.

حديث الحديدة

أما حديث الحديدة المحماة التي أدناها منه أمير المؤمنين عليه السلام فليس فيه ما يدل على اقترافه اثماً أو خروجاً عن طاعة وإنما أراد أمير المؤمنين بذلك تهذيبه بأكثر مما تتهذب به العامة، كما هو المطلوب من مثل عقيل والمناسب لمقامه، فعرَّفه سيد الأوصياء أن إنساناً بلغ من الضعف إلى أن يئن من قرب الحديدة المحماة بنار الدنيا من دون أن تمسه كيف يتحمل نار الآخرة في لظى، نزاعة للشوى، وهو مضطرم بين أوارها.

فمن واجب الإنسان الكامل التبعد عنها بكبح التهمة وكسر سورة الجشع والمكابدة للملمات القاسية، فهي مجلبة لمرضاة الرب ومكسبة لغفرانه وإن كان غيره من أفراد الرعية يبتعد عنها بترك المحرمات فحقيق بمثل عقيل وهو ابن بيت الوحي ورجالات عصبة الخلافة التجنب حتى عن المكروهات وما لا يلائم مقامه من المباحات ويروض نفسه بترك ذلك كله حتى تقتدي به الطبقات الواطئة بما يسعهم أو يسلّون أنفسهم بمقاساة مثل عقيل الشدائد في دنياه فلا يبهظهم الفقر الملمّ والكرب

المدلهم، فربّ مباح ينقم عليه من مثله ولا يلام من هو دونه بارتكابه فإن (حسنات الأبرار سيئات المقربين) وأمير المؤمنين أراد أن يوقف أخاه عقيلاً على هذا الخطر الممنع الذي حواه وقد ذهل عنه في ساعته وإلا فعقيل لم يقترف مأثماً حتى يكون ذلك عقوبة له.

افتراء على عقيل

قال الصفدي لقد بغَّض عقيلاً إلى الناس ذكره مثالب قريش وما أُوتي من فضل وعلم بالنسب والسرعة في الجواب، وكانت تبسط له طنفسة في مسجد رسول الله يصلي عليها، ويجتمع إليه الناس لمعرفة أنساب العرب وأيامهم وأخبارهم فقال أعداؤه فيه ونسبوه إلى الحمق[1].

واختلقوا عليه أحاديث كان بعيداً عنها حتى وضعوا على لسان أمير المؤمنين ما ينقص من قدره ويحط من كرامته زعماً منهم أن في ذلك تشويهاً لسمعة هذا البيت الطاهر بيت أبي طالب بإخراج أهله عن مستوى الإنسانية فضلاً عن الدين بعد أن أعوزتهم الوقيعة في سيد الأوصياء عليه السلام بشيء من تلك المفتريات فطفقوا يشوهون مقام أبيه وحامته ولكن لا تنطلي تلكم الزخارف

(١) نكت الهميان: ص٢٠٠.

على الجيل المنقب حتى كشف عن نواياهم السيئة وعرَّف الملأ افتعال الحديث وبُعده عن الصواب.

قالوا في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ما زلت مظلوماً منذ كنت صغيراً، إن عقيلاً ليرمد فيقول: لا تذروني حتى تذروا علياً، فأضطجع وأُذرى وما بي رمد.

لم أقرأ هذا الحديث إلا ويأخذني العجب كيف رضي المفتعل بهذه الفرية البينة، فإن أمير المؤمنين ولد ولعقيل عشرون سنة، وهل يعتقد أحد أو يظن أن إنساناً له من العمر ذلك المقدار إذا اقتضى صلاحه شرب الدواء يمتنع منه إلا إذا شرب مثله أخوه البالغ سنة واحدة أو سنتين، كلا لا يفعله أي أحد وإن بلغ الغاية في الخسة والضعف، فكيف بمثل عقيل المتربي بحجر أبي طالب والمرتضع درّ المعرفة خصوصاً مع ما يشاهده من الآيات الباهرة من أخيه الإمام منذ ولادته.

إن الضغائن والأحقاد تحبذ لمن تخلق بها التردد في العمى والخبط في الضلال من دون روية وتفكير ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

نعم كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول غير مرة: ما زلت مظلوماً[1]، من دون تلك الزيادة، يعني بذلك دفعه عن حقه

(١) الشافي للسيد المرتضى: ص٢٠٣.

الواجب على الأمة القيام به والميل عنه وتعطيل أحكام الله بالأخذ من غيره وتقديم من ليس له قدم ثابت في كل مكرمة، ولا نص من صاحب الشريعة، ولا فقه ناجع، ولا إقدام في الحروب، وحيث إن في هذه الكلمة حطّاً بمن ناوأه زحزحوها عنهم، وألصقوها بالسيد الكريم، وما أسرع أن عاد السهم فكان كالباحث عن حتفه بظلفه.

الخلف عن عقيل

الخلف الصالح يخلد ذكر سلفه فلا يزال ذكره حياً بعمره الثاني من ذكر جميل وثناء جزيل وترحّم متواصل واستغفار له منه وممن تعرف به وفي الحديث: إن ابن آدم إذا مات انقطع عمله من الدنيا إلا من ثلاث، وعد منها الولد الصالح، ومن أجلى الواضحات أن هذا التذكير يختلف حسب تدرج الأولاد في المآثر فمهما كان قسطهم منها أكثر فهم لمجد آبائهم أخلد وكذلك الأسلاف فكلما كانوا في الشرف والسؤدد أقرب فانتشار فضلهم بصالحي خلفهم أسرع.

إذاً فما ظنك بمثل عقيل بن أبي طالب ذلك الشريف المبجل وقد خلفه في المآثر شهيد الكوفة وولده الأطايب شهداء الطف الذين لم يسبقهم سابق ولا يلحقهم لاحق.

ومن هنا كان السجاد عليه السلام يعطف إلى ولد آل عقيل أكثر من

ولد آل جعفر، فقيل له في ذلك، قال: إني لأذكر يومهم مع أبي عبدالله الحسين عليه السلام فأرقّ لهم[١].

فلو لم يكن لعقيل شيء من الخطر والعظمة لتسنَّم بهؤلاء الأكارم أوج العلى والرفعة.

وكم أب قد علا بابن ذرى شرف كما علا برسول الله عدنان

فكيف به وهو من أشرف عنصر في العالم كله.

ولم يزل له ذكر خالد في أحفاده المتعاقبين فإنهم بين علماء أعاظم وفقهاء مبرزين وشعراء ومحدثين وأمراء صالحين ونسابين، وقد انتشروا في مصر واليمن وحلب وبيروت ونصيبين والمدينة والكوفة والحلة وطبرستان وخراسان وجرجان وكرمان وقم واصفهان.

وكان القاسم بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب فاضلاً تقياً واخوه عقيل جليل ثقة صاحب حديث وعمهما عقيل بن عبدالله نسّابة مشجراً وحفيد عقيل هذا جعفر بن عبدالله الأصفهاني عالم نسابة شيخ شبل ابن تكين مات سنة **٣٣٤**هـ.

ومحمد بن مسلم بن عقيل بن عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب يعرف بابن المزينة كان أمير المدينة قتله ابن أبي الساج.

---

(١) كامل الزيارة لابن قولويه: ص١٠٧.

وابنه أبو القاسم أحمد بن محمد المذكور، له أدب وفضل مات سنة ٣٣٠ والعباس بن عيسى الأوقص ولي القضاء للداعي الكبير الحسن بن زيد على جرجان وقد أولد بكرمان[١].

وعبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله بن أبي الفتح بن محمد ابن عقيل العقيلي الطالبي ولد سنة ٦٩٨ وتوفي سنة ٧٦٩ ولي القضاء وقرأ القراءات السبع على الصائغ وله تفسير القرآن في مجلدين والجامع النفيس[٢].

ومن أحفاد عقيل بن أبي طالب السيد اسماعيل بن السيد أحمد المازندراني الطبرسي النوري، فقيه من فقهاء الإمامية، متبحر في العلم، واسع الاطلاع، دقيق النظر، وكان من أساتذته سيد الأمة ومجدد المذهب السيد ميرزا محمد حسن الشيرازي، وميرزا حبيب الله الرشتي، سكن النجف وكانت له الإمامة في الجماعة داخل المشهد المطهر، وله تآليف رائقة في العقائد والأخلاق، منها كفاية الموحدين في أصول الدين، طبعت بالفارسية في ثلاث مجلدات، وله في شرح نجاة العباد لشيخ الطائفة صاحب الجواهر قدس سره، طبع منه مجلدان في الطهارة والصلاة، وله كتاب في أصول الفقه رآه شيخنا الجليل المدقق

---

(١) عمدة الطالب.

(٢) طبقات القراء: ج١، ص٤٢٨.

الشيخ أغا بزرك صاحب الذريعة عند صهره الشيخ علي المدرس الطهراني توفي غرة شعبان سنة ١٣٢١هـ في الكاظمية ودفن في الصحن الشريف[١].

وفي كربلا من أحفاد عقيل بن أبي طالب بيت كبير وطائفة جليلة يعرفون بالعقيليين لهم أوقاف كثيرة.

---

(١) أعيان الشيعة: ج١١، ص٢٥٣.

حياة مسلم بن عقيل عليه السلام

٤٨ ..... الشهيد مسلم بن عقيل

ولادة مسلم

لقد أشرق الكون بهذا الميلاد المبارك، وتأرج فيه بنجره الشذي يوم برز إلى عالم الشهود بعد تقلب متطاول، بين أصلاب طاهرة، وأرحام زاكية، غير مدنسة بدرن الكفر، ولا موصومة بأدناس الجاهلية الأولى في نسب متصل بنسب صاحب الرسالةﷺ وحسب موروث من (شيخ الأبطح) الآنف ذكر شرفه وشرف بيته الرفيع وبينهما حلقة الوصل مثل عقيل الذي تقدم وصفه وذكر منزلته من العظمة والإيمان والشرف.

ولقد تلقى عقيل دروساً ضافية من صاحب الدعوة الإلهية وأخيه الخليفة على الأمة عند انقضاء أمد الوحي المبين، وفيها ما يجب على الرجال من اختيار المحل الصالح لحمل تلكم النطف الزاكية وفي جملتها التحذير من منابت السوء المفسر على لسان المشرع الأعظمﷺ بالمرأة الدنيئة الأصل[1] لكون الوراثة حاكمة

(١) المقنعة للشيخ المفيد: ص٧٩، والمجازات النبوية للشريف الرضي: =

بطبعها الأولي على الفضائل المطلوبة من الولد اللهم إلا مع مزاحمة الكسبيات لها وظهورها عليها كما هو المشاهد من الرجال الذين اتصلوا بالذوات المقدسة فحصل لهم بواسطتها أسمى الخصال الطيبة وفازوا بالرضوان الأكبر.

ومن المقطوع به أن عقيلاً مع حيطته بأنساب العرب ومواقع المآثر والمخازي وإيمانه بتلكم الدروس الراقية لم يختر لنطفته إلا محلاً لائقاً تتعداه كل غميزة وتقترب منه الفضيلة ولم يستسهل أن ينبز عقبه بما لا يلائم نسبه الوضاح وبيتهم المنيع كما كان يقال في كثيرين من أهل عصره وذرياتهم.

ويشهد له وقفة أولاده بمشهد الطف يوم التطمت امواج الضلال وتحزبت عصب الشرك على سيد شباب أهل الجنة وقطعوا عنه خطوط المدد وحالوا دون الوسائل الحيوية حتى الماء المباح لعامة الحيوانات يريدون بذلك استئصال شأفة النبوة فكتبوا بدمائهم الزاكية أسطراً نورية على جبهة الدهر تقرأها الأجيال المتعاقبة ويتعرفون منها مناهج موتة العز وأن الحياة مع الظالمين ذميمة.

فظهر مسلم عليه السلام بين هذه وتلك ألقاً وضاءً للحق وشخصية بارزة للدين والهدى متأهلاً لحمل أعباء النيابة الخاصة عن حجة

= ص٦١، طبع مصر.

الوقت ولذلك اختاره لها سيد الشهداءعليه السلام من بين ذويه وحشده الأطايب.

ومن هذا الاستنباط يعلم طهارة (أمه) عن كل ما تغمز به النساء وأنها متحلية بالمفاخر وإن لم يعطها التأريخ حقها كما لم يعطِ حق ولدها المعظم الثابت له.

نعم للتأريخ والمؤرخين شغل شاغل بذكر أخبار القيان والمغنين وسرد روايات أهل الخلاعة والمعازف عن إثبات أحاديث سروات المجد وقادة الإصلاح من بني هاشم.

وهل النقمة ههنا على الكتّاب أو ظروف التدوين أو السياسات القاسية أنا لا أدري، ولهذا كله خفي علينا يوم ولادتها وشهرها وسنتها وكان من الصعب جداً تحديدها وكل ما يقال فهو تقريب واستحسان ولا يغني عن الحق شيئاً.

وستقف في البحث المتعلق بأم مسلم على شيء ربما يستكشف المتأمل منه مبدأ الولادة.

٥٢ ..... الشهيد مسلم بن عقيل

أمه

إن غموض التعريف عن أم مسلم بأجلى المظاهر أوقع الباحث في حيرة السؤال عن اقتران عقيل بها هل كان بالعقد أم بملك اليمين وأنها حرة أم جارية، والعتب في ذلك على المؤرخين الذين أهملوا الحقائق مع تحفظهم على أمور تافهة لا يقام لها وزن وإن من الجدارة التعريف بنواحي هذا الرجل العظيم الذي دخل الكوفة وحده بلا عدّة ولا عدد فدوّى أرجاءها بصرخته الحسينية في وجه المنكر وأقلق فكر الممثل للزعامة الأموية في الشام ولعل من هذا الإغفال يستطيع الباحث الجزم بأن ما يلم (بابن عقيل) كان على أبعد حد من الفضائل والفواضل سواء من ناحية أمه وأبيه أو من بيته الرفيع فإنه لو كان هناك طريق للغمز فيه ولو من جهة تأريخ أمه لتذرع به المنحرفون عنه وعن سلفه الطاهر كما هو ديدنهم فيمن ضمهم هذا البيت أو انضوى إلى رايتهم ومشى على ضوء تعاليمهم.

وليس للمؤرخين إلا نصان أحدهما بعيد عن الواقع كما

سنعرف، والآخر على ما فيه من غموض وإجمال يمكن للمتأمل فيه وفي ما كتب عن أصل النبط الإذعان بأن (أم مسلم) عربية حرة ولعل ترك ابن زياد التعرض لها في ما جرى بينه وبين مسلم من المحاورات يشهد له فإنه كان بصدد إسقاط مسلم عن أعين الناس فنسب له أشياءً يقطع بأنه لم يأتِ بها أصلاً فلو كانت أمه جارية لنبذه بها كما فعل هشام بن عبد الملك مع زيد الشهيد رضوان الله عليه إذ قال له: زعمت أنك تطلب الخلافة ولست هناك وأنت ابن أمَة، فقال له زيد: إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات، وقد كانت أم اسماعيل أمَة فلم يمنعه أن كان نبياً وأباً لخاتم الأنبياء.

وهذا النص الأخير يرويه ابن قتيبة فيقول كانت أم مسلم بن عقيل نبطية من آل فرزندا[١] ويقول بعض المؤرخين إن النبط كانوا في جبل شمر[٢] في أواسط بلاد العرب ثم نزحوا إلى العراق لما فيه من الخصب والرخاء[٣] فأقاموا في سواد العراق[٤] أو في

---

(١) المعارف: ص٨٨.

(٢) يُعرف بجبل أجأ وسلمى منزل لطي وقع ذكره في كلام الطرماح لسيد الشهداء، أنظر ما كتبناه في مقتل الحسين، وفي أواخر القرن الثالث عشر والرابع عشر كان منزلاً لآل رشيد حتى تغلب عليهم عبد العزيز آل سعود.

(٣) جرجي زيدان في العرب قبل الإسلام: ج١، ص ٧٨.

(٤) تاج العروس للزبيدي: ج٥، ص٢٢٩.

خصوص البطائح بين العراقين[١] البصرة والكوفة.

ولم ينكر أحد ممن كتب عنهم أن لغة النبط عربية كأسماء ملوكهم البالغين ثمانية عشر وفيهم امرأتان في القرن السابع قبل الميلاد[٢] نعم يرتئي المسعودي أنهم من الكلدانيين المجاورين مع الفرس سكان فارس والأهواز وعاصمتهم (كلواذى)[٣] وبعد تغلب الفرس عليهم تفرقوا[٤] ويوافقه على ذلك بعض المستشرقين الواقفين على النقوش من آثارهم ويفيد بأن لهم في ذلك التأريخ دولة في العراق متسعة الأطراف حتى شملت معظم جزيرة العرب واستوزروا الوزراء وضربوا النقود بأسماء ملوكهم ولهم قوانين[٥].

وعلى هذا فليس مبتعداً عن الواقع من يرتئي أن عقيلاً خطب لنفسه من بعض عشائر النبطيين الذين يجمعهم وإياه الوقوف بتلك المشاعر المعظمة التي حث الله تعالى العباد إليها ذللاً، أو الواردين للتجارة في مكة، أو الزائرين مرقد الرسول الأمين الذي استضاء العالم بنوره المتألق.

---

(١) القاموس للفيروزأبادي بمادة نبط.

(٢) العرب قبل الإسلام: ص٧٨.

(٣) في القاموس بلدة في أسفل بغداد وفي معجم البلدان: ج٧، ص٢٧٦، تبعد عن بغداد فرسخاً للمنحدر.

(٤) التنبيه والإشراف للمسعودي: ص٦٨.

(٥) العرب قبل الإسلام: ص٧٩.

أما النص الأول فقول أبي الفرج اسم أمه (عليّة) اشتراها عقيل من الشام[١] ولذلك حديث لا يخفى تفكك أطرافه على من أعطاه حق النظر يقول ابن أبي الحديد في الرواية المرسلة عن المدائني: إن معاوية قال لعقيل هل لك من حاجة فأقضيها لك، قال نعم جارية عرضت عليّ وأبى أصحابها أن يبيعوها إلا بأربعين ألفاً، فأحب معاوية أن يمازحه فقال: ما تصنع بجارية قيمتها أربعون ألفاً وأنت أعمى تجتزئ بجارية قيمتها خمسون درهماً، قال: أرجو أن أطأها فتلد لي غلاماً إذا أغضبته يضرب عنقك بالسيف، فضحك معاوية، وقال: مازحناك يا أبا يزيد، وأمر فابتيعت له الجارية التي أولد منها مسلماً.

فلما أتت على مسلم ثماني عشرة سنة وقد مات عقيل أبوه قال لمعاوية يا أمير المؤمنين إن لي أرضاً بمكان كذا من المدينة وإني أُعطيت بها مائة ألف وقد أحببت أن أبيعك إياها فادفع لي الثمن، فأمر معاوية بقبض الأرض ودفع الثمن إليه.

فبلغ ذلك الحسين عليه السلام فكتب إلى معاوية: أما بعد فإنك غررت غلاماً من بني هاشم فابتعت منه أرضاً لا يملكها فاقبض من الغلام ما دفعته إليه واردد إلينا أرضنا.

فبعث معاوية إلى مسلم فأخبره بذلك وأقرأه كتاب الحسين

---

(١) مقاتل الطالبيين.

وقال: اردد علينا مالنا وخذ أرضك فإنك بعت ما لا تملك، فقال مسلم: أما دون أن أضرب رأسك بالسيف فلا، فاستلقى معاوية ضاحكاً يضرب برجليه وقال: يا بني هذا والله كلام قاله لي أبوك حين ابتعت له أمك...

ثم كتب إلى الحسين عليه السلام: إني قد رددت عليكم الأرض وسوّغت مسلماً ما أخذ، فقال الحسين عليه السلام: أبيتم يا آل أبي سفيان إلا كرماً[١].

من الصعب جداً الاستناد إلى هذه الرواسية لأسباب عديدة نأتي على المهم منها:

الأول: أنها منقطعة الإسناد وطرح رجال الحديث مما يحط من قيمته لما فيه من الجهالة بمعرفة أحوال أولئك المتروكين والتدليس الشائن.

الثاني: أن المدائني لا يوثق بأحاديثه، مهما تكثرت في الجوامع بعدما ضعفه ابن عدي في الكامل[٢] ويؤيده أنه أموي النزعة من جهة ولائه لآل عبد شمس والولاء كالتربية حاكم على النفوس والعقائد فهو ممن يحب للبيت الأموي التحلي بالصفات الكريمة لتهوي لهم الأفئدة وتخضع لهم الأعناق ويكونوا في

(١) شرح النهج الحديدي: ج٣، ص٨٢ مصر.
(٢) لسان الميزان لابن حجر: ج٤، ص٢٥٣.

صف من طهرهم الذكر المجيد بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ كما أثبت سبحانه لهم أشرف الخصال المحبوبة له إذ يقول: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾.

والسند في ولائه لهذا البيت نص ياقوت فإنه قال: كان علي ابن عبدالله بن أبي سيف البصري المدائني البغدادي مولى سمرة ابن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف[١] ويقول ابن حجر إنه مولى عبد الرحمن بن سمرة[٢] وعدم موافقة ولادة المدائني التي هي في سنة ١٣٥هـ لوفاة عبد الرحمن بن سمرة الواقعة في سنة ٥٠هـ لا يبعد هذا الولاء بعدما ينص ابن كثير على أن لعبد الرحمن أولاداً كثيرين[٣] ويسمي ابن حجر بعضهم عبيد الله وأنه تغلب على البصرة في فتنة ابن الأشعث[٤] فإطلاق الولاء لأبيهم عبد الرحمن أو لجدهم سمرة بملاحظة أولاده لا ضير فيه.

وإذا أفهمتنا الجوامع أن عبد الرحمن من (الشجرة) التي أنتجت معاوية وكان من عماله على سجستان وغزا له خراسان[٥]

---

(١) معجم الأدباء: ج١٤، ص١٢٤.
(٢) لسان الميزان: ج٤، ص٢٥٣.
(٣) البداية والنهاية: ج٨، ص٤٧، حوادث سنة ٥٠.
(٤) الإصابة: ج٢، ص٤٠١، بترجمة عبد الرحمن.
(٥) لسان الميزان: ج٤، ص١٩٠.

وبلخ وكابل[١] وفتح الرخج وبست[٢] وضح لنا أنه يسير على أثره وأنه حائد عن كل من ناوأ معاوية وهذه قضايا قياساتها معها.

ولا ريب أن الموالي يرثون هذه النزعة كالأنساب اللهم إلا أن يكبح هذا الجماح الخضوع لقانون الإسلام فيقف عند حدوده ولكن أين هذا من (المدائني) المكثر من خلق الأحاديث الرافعة للبيت الأموي والواضعة من قدر رجالات بيت الوحي والنبوة وإنها لشنشنة مضى عليها الأولون نعرفها من منافسة عبد شمس أخاه هاشماً مطعم الطير والوحوش ومنافسة حرب بن أمية عبد المطلب الذي كفأ عليه إناءه واستعبده عشر سنين[٣] ومنافسة أبي سفيان للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الذي منّ عليه يوم الفتح وأطلقه، له جاهد ونافس ابن آكلة الأكباد أمير المؤمنين عليه السلام الذي اصطفاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم المؤاخاة بالأخوة ومنحه الخلافة الإلهية إذ قال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

الثالث: أن المتأمل في هذه المحاورة الواقعة بين عقيل ومعاوية في أمر الجارية يظهر له مغزى المدائني فإنه أراد أن يسجل صحيفة من حلم معاوية وأناته وكرمه مع المس في الذوات

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٩٣، طبع النجف.
(٢) ابن الأثير: ج٣، ص١٧٤.
(٣) شرح النهج الحديدي: ج٣، ص٤٦٦.

القدسية من آل الرسول الأطهر وقد فاته أن المستقبل يكشف عن نواياه.

قال في تلك المحاورة:

(ولما أتت على مسلم بن عقيل ثماني عشرة سنة وقد مات أبوه عقيل قال لمعاوية: إن لي أرضاً بمكان كذا من المدينة وقد أُعطيت بها مائة ألف وقد أحببت أن أبيعك إياها فادفع لي الثمن، فأمر معاوية بقبض الأرض ودفع الثمن إليه).

وفي هذه الجملة خلل واضح فإنه أثبت بيع مسلم الأرض وعمره ثماني عشرة سنة وأبوه ميت وعلى ما يقوله ابن حجر إن عقيلاً مات سنة ستين وقيل بعدها[1] يكون عمر مسلم عليه السلام ثماني عشرة سنة عند شهادته في سنة ستين وهذا لا يتفق مع ما أثبته المؤرخون من تزويجه بثلاث نساء أو أكثر وأن له أولاداً خمسة وبنتاً فإنه وإن لم يكن من المحال في هذه المدة القصيرة التي هي عبارة عن ثلاث سنين بعد بلوغه أن يتزوج من ثلاث نساء ويستولد هذا العدد لكن العادة المطردة تأباه.

ثم هناك شيء آخر وهو أن كلاً من عقيل ومسلم ومعاوية ماتوا في سنة ستين، استشهد مسلم عليه السلام في ذي الحجة وهلك معاوية في رجب وموت عقيل لم يتعين قبل رجب أو فيه أو بعده

---

(١) تقريب التهذيب: ص٣٦٦، طبع لكنهو والإصابة: ج٢، ص٤٩٤.

فعلى الأخيرين لا تتم دعوى سفر مسلم إلى الشام وبيعه الأرض وعلى الأول أعني موته قبل رجب المتردد بين أن يكون في المحرم أو ما بينه وبين رجب فالعقل وإن لم يمنع صدور البيع في هذا الزمن إلا أن من البعيد جداً أن يشد مسلم عليه السلام الرحال من المدينة إلى الشام ويتحمل وعثاء السفر لبيع الأرض من معاوية بالمقدار الذي دفعه إليه الرجل المدني كما يفيده قوله لمعاوية: (إن لي أرضاً بمكان كذا من المدينة وقد أعطيت بها مائة ألف وأحببت أن أبيعك إياها).

فإن كل أحد يعد اتخاذ هذه الطريقة سفهاً وحاشا (داعية السبط) أن يرتكب خطة لا يصادق عليها العقل ويكون مرمى لسهام اللوم إلا أن يكون قد تزلف إلى معاوية ببيعه الأرض والشمم الهاشمي الذي انحنت عليه أضالعه يأباه له كيف وهو يشاهد دماءهم الطاهرة ودماء من شايعهم تقطر من سيفه وأنديتهم تلهج بانحرافه عن خطة سلفه الطيب وغدره بالإمام الحسن عليه السلام تدرسه ناشئة هذا البيت كل يوم.

والتحيّل لاستخلاص أموالهم من يد معاوية كما يراه البعض لا يتوقف على هذه الطريقة المشوّهة لبيتهم المنيع ومقامهم الرفيع مع أنهم بعيدون عن أمثاله لأن نفوسهم الزاكية تكبر بهم عما فيه الضعة والخسة ولو عند العامة. هذا إذا كان موت عقيل في سنة ستين وأما إذا كان بعدها كما هو القول المحكي في

نص ابن حجر كما عرفت، فالكذب في هذا البيع واضح والمسافة للتصحيح بعيدة لأنه عليه يكون بيع مسلم الأرض بعد موت أبيه كما في الرواية ومعاوية بين أطباق الثرى وقد فاز مسلم بالشهادة يومئذ.

ولو ذهبنا إلى رأي الصفدي وابن كثير من تعيين وفاة عقيل في سنة خمسين[١] يكون لمسلم عليه السلام عند شهادته في سنة ستين ثمان وعشرون سنة وتكون ولادته سنة اثنتين وثلاثين قبل واقعة صفين الكائنة في سنة ٣٧ بخمس سنين وهذا وإن التأم مع ذلك العدد من أولاده لكن لا يلتئم مع ما ذكره ابن شهر آشوب الحافظ الثبت الثقة بنص الفريقين من الشيعة والسنّة[٢].

فإنه يقول: جعل أمير المؤمنين عليه السلام على ميمنته في صفين الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر ومسلم بن عقيل، وعلى

---

(١) نكت الهميان للصفدي: ص٢٠١، والبداية لابن كثير: ج٨، ص٤٧.

(٢) انظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي: ص٧٧، ولسان الميزان لابن حجر: ج٥، ص٣١٠، وطبقات المفسرين لشمس الدين محمد بن علي المالكي والبلغة للفيروزأبادي والوافي بالوفيات للصفدي ومن علماء الشيعة أثنى عليه العلامة الحلي في الخلاصة وميرزا محمد في منهج المقال وأبو علي الحائري في منتهى المقال والتفريشي في نقد الرجال والأغا البهبهاني في التعليقة والحر العاملي في أمل الآمل والسيد في روضات الجنات.

الميسرة محمد بن الحنفية ومحمد بن أبي بكر وهاشم بن عتبة المرقال[١].

ومن المعلوم أن من يجعله أمير المؤمنين في صف أولاد عميه البالغين نحواً من خمس وثلاثين سنة لا بد وأن يقاربهم في السن كما قرن بين ابن الحنفية ومحمد بن أبي بكر وهما متقاربان في السن فإن محمد بن الحنفية ولد سنة ١٦[٢] وله يوم صفين إحدى وعشرون سنة ومحمد بن أبي بكر ولد عام حجة الوداع بذي الحليفة أو بالشجرة حين توجه رسول الله للحج وقتل سنة ٣٨ وله يوم صفين ٢٧ سنة[٣].

وحينئذ لا أقل أن يقدر عمر مسلم بن عقيل بالثلاثين أو الثماني وعشرين وتكون ولادته إما سنة سبع أو تسع وله يوم شهادته أكثر من خمسين سنة وعلى هذا التقدير في ولادته أين ولاية معاوية في الشام وأين مسير عقيل إليه بل أين إسلام معاوية

---

(١) المناقب: ج٢، ص٢٦٠.

(٢) انظر كتاب قمر بني هاشم: ص١٠٣.

(٣) ما يؤكد حضوره في صفين ما رواه نصر في كتاب صفين: ص٣٣٠، إن منادي أهل الشام نادى إن معنا الطيب ابن الطيب عبيد الله بن عمر فقال عمار بن ياسر بل هو الخبيث ثم نادى منادي أهل العراق ألا إن معنا الطيب ابن الطيب محمد بن أبي بكر فنادى أهل الشام بل هو الخبيث ابن الطيب.

فإنه أسلم بعد سنة تسع قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأشهر.

وإذا أخذنا بنص الواقدي كانت المسافة أبعد قال: لما دخل المسلمون مدينة (البهنسا) بعد حصار طويل دخل مسلم بن عقيل في جملة الهاشميين وهو يقول:

ضناني الحرب والسهر الطويل وأقلقني التسهّد والعويل
فوا ثارات جعفر مع علي وما أبدى جوابك يا عقيل
سأقتل بالمهند كل كلب عسى في الحرب أن يشفى الغليل

وكان فتح البهنسا في أيام عمر بن الخطاب[1].

فإن من يخرج في صف المجاهدين أيام ابن الخطاب لا بد وأن يبلغ على الأقل عشرين سنة وحينئذ تكون ولادته في أوائل الهجرة ومعاوية يومئذ راسب في بحر الشرك والضلال عابد للأوثان.

ثم إن رجلاً كمسلم يراه عمه أمير المؤمنين عليه السلام جديراً بقيادة الجيش يوم صفين فيجعله على الميمنة في صف ولديه الإمامين السبطين عليهما السلام وابن أخيه عبدالله بن جعفر ويجده سيد الشهداء قابلاً لأهلية الولاية على أعظم حاضرة في العراق (الكوفة) فيحبوه بالنيابة الخاصة في الدينيات والمدنيات...

لا بد وأن يكون أعظم رجل في العقل والدين والأخلاق

---

(١) فتوح الشام: ص١٨٢.

حتى لا يقع الغمز والطعن في من يمثل موقف الإمامة بأنه ارتكب دنيّة أو جاء برذيلة أو فعل محرماً أو بدت منه رعونة ولو في أمس الدابر فينتكث فتله وتتلاشى مقدرته.

على أن تلكم الأحوال لو كان من الجائز صدورها منه في الماضي لجاز عودها إليه أيام ولايته فينتقض الغرض من إرساله مهذباً ومؤدباً وقامعاً للريب والشبهات وزاجراً عما يأباه الدين والإنسانية.

فالإمام أبو عبدالله عليه السلام لم يشرف أحداً بالولاية إلا وهو يعلم بأنه يمضي في أمره كالحديدة المحماة وإنا لا نشك في أن سيد الشهداء لم يرسل مسلماً والياً من قبله ويزينه بتلك الرتبة العظيمة ثم يشفع ذلك بتشريف الأُخوة له التي هي أُخوّة العلم والدين وأنه ثقته من أهل بيته إلا وهو يعلم بأنه في كل أدوار حياته منذ نشأته إلى حين تأهله لهذه الزعامة الكبرى رجل العلم والتقى، رجل العقل والسياسة، رجل الأخلاق والإيمان.

فلا يصدر من مثله بيع الأرض من معاوية من دون مشاورة سيد الشهداء مهما كلفته الحاجة وبلغت به الفاقة حدها على أنه في كنف السبط الشهيد وذرى عزّه المنيع ولم تزل سماء نائله هاطلة عليه وعلى محاويج الأمة.

وهناك شيء أغرب من هذا وهو نسبة المدائني كتاب أبيّ

الضيم) إلى معاوية لما بلغه الإعفاء عن الأرض والمال فقال في كتابه: (أبيتم يا آل أبي سفيان إلا كرماً) وكل أحد تتجلى له هذه الأكذوبة التي لا تحتاج إلى تدليل لوضوح شهامة أبي عبدالله عليه السلام وعدم رضوخه للدنية في قول أو فعل ومتى اعترف سيد شباب أهل الجنة لآل أبي سفيان بمكارم الأخلاق من يوم منافسة جدهم عبد شمس لأخيه هاشم إلى يوم مناوأة معاوية لأمير المؤمنين، وأي مأثرة غريزية حفظت لهذا البيت غير طفائف تخلقوا بها وقد ظهر أضدادها على فلتات ألسنتهم، أليس معاوية هو القائل ليزيد: عليك بالصفح فإن أمكنت الفرصة فعليك بالسيف[١].

ولم يزل أبو عبدالله الحسين عليه السلام يصرّح بما أودعه المهيمن جل شأنه فيه من الأنفة وعدم الخضوع للدنايا في مواطن كثيرة وإن كلمته الذهبية في آخر يومه تفيدنا فقهاً بالفطرة الموهوبة له من المولى سبحانه فإنه قال يوم الطف:

(ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام)[٢].

---

(١) نهاية الأرب: ج٦، ص٥٠.

(٢) اللهوف للشريف النقيب ابن طاووس.

وإن عمدة ما يفت في عضد هذه الأكذوبة ويتدهور بها إلى هوة البطلان هذه الكلمة التي لا يهيج بها هاشمي ذو شمم، نعم يأبى للهاشمي إباؤه وشهامته يأبى له حفاظه ووجدانه بل يأبى لأي مؤمن إيمانه وعلمه أن يعترف لابن آكلة الأكباد بتلك المأثرة البالغة حدها وهو يعلم أن ابن هند المقعي على أنقاض الخلافة الإسلامية خلو من أي حنكة وإنما دعم باطله المحض بالتحلم والمحاباة والتزلف يوهم بها الرعاع من الناس بأن هذه الأناة هي الكافلة لأهلية الخلافة.

والإمام الشهيد العارف بهذه الزخارف مضافاً إلى نفسيته القدسية وإبائه العلوي جد عليم بأنه إن فاه بمثل تلك الكلمة التي نسبها إليه المدائني اتخذها الناس حُجة دامغة خصوصاً مع مشاهدتهم وفر معاوية ورؤياهم دسائسه ومعهم سماسرة الشهوات فيكون الإمام عليه السلام مغرياً بهم إلى الهوان ومقراً لهم على الضلال والباطل وحاشا (إمام الحق) أن يرتكب ما فيه إغراء للناس وهو مقيض لإنقاذ البشر من ورطة الجهل المردي.

وإني لا أظن بعد هذا البيان الضافي يبقى الواقف على كلمة المدائني (أبيتم يا آل أبي سفيان إلا كرماً) مرتاباً في افتعال نسبتها إلى سيد الحفاظ والحمية والشهامة سيد الغيارى على المبادئ الصحيحة سيد شباب أهل الجنة عليه السلام.

٦٨ ..... الشهيد مسلم بن عقيل

نشأته

لقد عرفت فيما قدمناه من صفة بيت أبي طالب ومبلغ رجالاته من العلم والمعارف الإلهية وأنهم على الأوضاح والغرر اللائحة في أنسابهم وأحسابهم لا تعدوهم الفضائل العصامية من علم وحكمة وأخلاق وبلاغة وأدب وشجاعة وفروسية إلى مآثر جمة ازدانت بسروات المجد من بني هاشم وأنّ كلاً منهم أُمة واحدة في المكارم جمعاء.

وإن من قضاء الطبيعة وناموس البيئة أنهم يمرنون وليدهم ويربون الناشئ منهم على ما تدفقت به أوعيتهم فلا يدرج الطفل إلا والحنكة ملء إهابه ولا يشب الصغير إلا وهو محتوٍ لفضيلة المشايخ وإذا التقيت بالرجل منهم فحدث عن البحر ولا حرج فقضية الطبع الأولي في من يترعرع ويشب فيبلغ مبالغ الرجال هكذا بين فواضل وفضائل ومآثر ومفاخر ولا سيما أن من جبلة رجالات البيت تغذية ناشئهم بما عندهم من آلاء وتحنيكه بنمير مكارمهم وإروائه بزلال من حكمهم البالغة وعظاتهم الشافية

وتعاليمهم الراقية فقضية قانون التربية الصحيحة أن يكون الولد إنساناً كاملاً.

نعم هكذا أرباب الفضائل من آل أبي طالب لا يروقهم في صغيرهم إلا ما يروقهم في الأكابر ولا يرضيهم ممن يمتّ بهم إلا أن يزدان به منتدى العلم ودست الإمارة ويبتلج به صهوة الخيل ومنبر الخطابة وأن يسير مع الركب ذكره ومع الريح نشره لكي يقتدى به في المآثر ويقتص أثره في الأخلاق.

وهذا الذي ذكرناه إنما هو مرحلة الاقتضاء التربوي ويختص بما إذا صادف قابلية المحل وعدم المزاحمة بموانع خارجية تسلب الأثر من كل هاتيك الموجبات من بيئة وبيئة أو مجالس سوء أو شره ثابت فإن هذه الأمور تستوجب التخلف عن ذلك الاقتضاء كما نسب إلى شذاذ من العلويين فإنه على فرض صحة النقل لا يصار إليها إلا في الموارد المفيدة للعلم بخروج الناشئ عن ذلك الناموس.

وأما داعية الحسين عليه السلام وسفيره إلى العراق فكانت لياقته الذاتية وتأهله للفضائل وتأثره بتلك التربية الصحيحة ونشوؤه في ذلك البيت الممنّع وتخرجه من كلية الخلافة الإلهية قاضية بسيره مع ضوء التعاليم المقدسة فأينما يتوجه إلى ناحية من نواحي هذا البيت لا يقع نظره إلا على أستاذ في العلم أو مقتدى في

الأخلاق أو زعيم في الدين أو بطل في الشجاعة أو إمام في البلاغة أو مقنن في السياسة الإلهية.

فكانت نفس مسلم بن عقيل عليه السلام تهش إلى نيل مداهم منذ نعومة الأظفار كما هو طبع المتربي في هذا البيت ففي كل حين له نزوع إلى مشاكلة كبرائهم وهذه قاعدة مطردة فإنك تجد ابن العالم يأنف عن أن يعد في أبناء العامة وابن الملك يكبر نفسه إلا عن خلائق والده وولد الزعيم يترفع عن مشاكلة رعاياه فكل منهم يرمي إلى ما يرفعه عن غرائز الطبقات الواطئة.

إذاً فما ظنك بمسلم بن عقيل عليه السلام الذي هو أول من وقع بصره عليه عمه أمير المؤمنين صلوات الله عليه وابناه الإمامان إن قاما وإن قعدا[1] صلوات الله عليهم ورجالات السؤدد والخطر من آل عبد المطلب وسمع أخبار الغابرين من أهل بيته في المفاخر والمآثر فهل يمكن أن يكون له هوىً إلا مع الفضيلة أو نزوع إلا إلى المحامد نعم نشأ مسلم مع العلم والتقوى والبطولة والهدى والحزم والحجى والرشد كما شاء له المولى سبحانه حتى أحب لقاءه يوم سعادته بشهادته.

---

(١) هذا حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رواه علي بن عيسى الإربلي من أعيان القرن السابع في كشف الغمة ومراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الكلمة الثمينة أن الإمامة منصب إلهي لا تزول عنهما مع القعود عن الحرب أو النهوض للجهاد والقاعد هو الإمام المجتبى والقائم سيد الشهداء والتثنية في الفعلين للتغليب.

ولقد كان من أهم ما يتلقاه مسلم عليه السلام من أكابر قومه مناوأة البيت الأموي أضداد الفضيلة وأعداء الدين وحضنة الجاهلية الأولى وناشري ألوية الوثنية والدعاة إلى كل رذيلة بأعمالهم وأقوالهم ولهذه كانت تعد تلك المباينة من الهاشميين لهم من أسمى مناقبهم فبطبيعة الحال كان (داعية السبط الشهيد عليه السلام) وارثاً لهذه الظاهرة بأتم ما لها من المعنى.

ومما لا يستسهل العقل قبوله أن يكون ابن عقيل عليه السلام متزلفاً إلى واحد ممن ناوأ آباءه الأطايب أو مجاملاً له فيجر الرذيلة إلى قومه وتفوته الشهامة الهاشمية والإباء الموروث له والشمم المتأصل كيف وأنه:

درة تاج الفضل والكرامة ... قرة عين المجد والشهامة
أول رافع لراية الهدى ... خص بفضل السبق بين الشهدا
كفاه فضلاً شرف الرسالة ... عن معدن العزة والجلالة[1]

(١) لشيخنا الحجة آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني قدس الله تربته.

المؤامرات في الكوفة

إن سياسة معاوية القاسية من جراء نقض عهده للإمام الحسن عليه السلام تركت الشيعة ترزح تحت نير الاضطهاد، فأوصال تقطع، وأعين تسمل، وبمشهد منهم أرجل مفصولة، وعلى المشانق أنفس مزهقة، وفي أعماق السجون أعناق مغلولة، وبأرجاء الفلوات أناس مشردون، وعلى أطراف الرماح الرؤوس مشالة يوم كان ابن سمية عارفاً بهم منذ العهد العلوي فتتبعهم تحت كل حجر ومدر وتحرّاهم في كل مغارة فنكّل بهم ونال منهم وأوقع فيهم وهو القائل على منبر البصرة:

(إني أُقسم بالله لآخذن المقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والصحيح منكم بالسقيم)[1].

وقد وصف هذا الحال أبو جعفر الباقر عليه السلام فقال: إنّا أهل البيت لم نزل نُستذل ونُستضام ونُقصى ونمتهن ونحرم ونُقتل ولا

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص١٢٥.

نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا ووجد الكاذبون الجاحدون موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمالهم في كل بلدة بالأحاديث المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله ولم نفعله ليبغضونا إلى الناس وكان عظم ذلك وكبره في زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا يسجن وينهب ماله وتهدم داره ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمن عبيدالله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام ثم جاء بعده الحجاج فقتلهم كل قتلة وأخذهم بكل ظنة وتهمة حتى إن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال له شيعة علي عليه السلام وحتى صار الرجل الذي يعمل بالخير ولعله يكون ورعاً صدوقاً يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من سلف من الولاة ولم يخلق الله شيئاً منها ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنها حق لكثرة من رواها ممن لم يعرف بكذب ولا قلة ورع[1].

وفي هذا الحديث الشريف دلالة واضحة على ما نال الشيعة في تلك الأيام المظلمة من الاضطهاد والجور ومع أي إمام ينهضون مع الزكي المجتبى عليه السلام وقد قيده الأمر الربوبي بالتسليم لمجاري المحتوم كما قيّد أباه أمير المؤمنين خمساً وعشرين سنة.

---

(١) شرح النهج: ج٣، ص١٥.

على أن من أخلص له بالمفاداة فئة قليلة لا تقاوم من حفّ بهم من أهل النفاق الذين أضمروا الغدر وضمنوا لمعاوية تسليم الحسن عليه السلام إن شمّر للحرب أو مع الحسين عليه السلام وهو لا يرى من تكليفه إلا الخضوع لما سلم له إمام الوقت وحجة الزمن بالنص من جده وأبيه صلوات الله عليهم.

حتى إن حجر بن عدي دخل على الحسين عليه السلام مثيراً لنخوته ومحفزاً له على القيام في وجه عدوهم اللدود وفيما قال له: لقد اشتريتم العز بالذل وقبلتم القليل وتركتم الكثير أطعنا اليوم وعصينا الدهر دع الحسن وما رأى من الصلح واجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وولّني وصاحبي عبيدة بن عمرو المقدمة فلا يشعر ابن هند إلا ونحن نقارعه بالسيوف.

فأفاض عليه (ريحانة الرسول) من معارفه القدسية ما فيه حياة القلوب واجتماع نظام الأمة وذلك أن البيعة والعهد إذا صدرا من (إمام الحق) الذي لا يعمل عملاً إلا على حسب ما يراه من المصلحة الواقعية التي أدركها بفضل منصبه الإلهي فلا يجوز له نقض ما أبرمه من العهد لما فيه من الغدر والخيانة الممقوتة فقال أبو عبدالله عليه السلام: إنا قد بايعنا وعاهدنا ولا سبيل إلى نقض بيعتنا[1].

---

(١) الدينوري في الأخبار الطوال: ص٢٢٢.

وهذه المسالمة التي أشار إليها سيد الشهداء وإن لم تلزم المصافق بها واقعاً لأن الذي أعطوه الميثاق غاشم لا تحل مصافقته وقد قال الرسول الأقدس ﷺ: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه[1] ومن المقطوع به أنه لا يريد من المنبر تلك الأعواد المصنوعة من خشب وكان يجلس عليها للإرشاد والهداية وإنما يريد منبر الدعوة الإلهية فيكون غرض النبي الإيعاز إلى الملأ الديني الواعي لكلمته الثمينة بأن معاوية الداعي باسم الخلافة كافر بما أُنزل من الوحي على الصادق الأمين ﷺ بتعيين من أقامهم المولى سبحانه أُمناء على شرعه القويم وكافر بقول النبي الذي لم يزل يجاهر مرة بعد أُخرى بأسماء من يلي الخلافة من بعده وهم الاثنا عشر من ذريته المعصومين والراد لما أُنزل على الرسول ﷺ قولاً أو فعلاً من الجاحدين.

ولم تخفَ هذه الأحوال على معاوية ولا ممن شاهد النبي وسمع حديثه أو كان قريب العهد بزمن تلك النصوص ولو صدقت الأوهام بأنه كاتب النبي اتسع الخرق عليه.

وحيث إن سيد الشهداء لم تسعه المصارحة بما وجب عليهم

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ص٢٤٨، مصر وذكر السيد محمد بن عقيل في (النصائح الكافية)، ص٣٥، بمبئ أن ابن عدي أخرجه عن أبي سعيد والعقيلي عن الحسن وروى عن الصادق عن أبيه عن جابر.

في الصحيفة الخاصة بالإمام الزكي وكان فيها أن يسالم خاضعاً للقضاء المحتوم وقد أشار النبي إلى هذه المسالمة بقوله: ابناي هذان إمامان إن قاما وإن قعدا، وأكثر العقول لا تتحمل هذه الأسرار الدقيقة كما قال الإمام الصادق عليه السلام حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا نبي مُرسل أو مَلك مُقرّب أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان.

تلطف أبو عبدالله عليه السلام ببيان أقرب إلى الأذهان وتتحمله العقول فقال: إنّا قد بايعنا وعاهدنا ولا سبيل إلى نقض بيعتنا.

وهناك دقيقة أُخرى كانت ملحوظة للإمام الشهيد أفرغها في هذه الكلمة الموجزة وهي أن الإنسان إذا عاهد آخر لا يجوز له نقض عهده ولو كان مشركاً ولذا وردت الأخبار وفقاً للآية الكريمة ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ فقال صلى الله عليه وآله وسلم المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم ولو كان عبداً أو امرأة وفسره الصادق عليه السلام بأن جيش المسلمين إذا حاصر المشركين فأشرف رجل منهم وقال أعطوني الأمان حتى ألقى صاحبكم فأعطاه أدناهم الأمان وجب على أفضلهم الوفاء به.

وحينئذ يقول أبو عبدالله إن هذه المسالمة التي أعطيناها معاوية على ما فيها من ظلم وغشم بعد أن صدرت منا لا يصح نقضها إذاً فكيف بالبيعة الصادرة لإمام الحق المنصوب من قِبل

الله سبحانه فإنها أولى وأجدر بالإلزام وعدم النقض وأن لا تتباطأ الأمة عن القيام بها وهذا من سيد الشهداء درس راقٍ وفقه شامل لو كانت هناك آذان صاغية وقلوب واعية ونفوس زاكية.

ومن هذا الباب ما جرى للحسين مع علي بن بشير الهمداني وسفيان بن أبي ليلى الهمداني النهدي والمسيب بن نجبة وعبدالله ابن الوراك وسراح بن مالك الخثعمي فإنهم دخلوا عليه وخبروه بما رد به عليهم أبو محمد عليه السلام واستنهضوا الحسين لمقارعة ابن هند.

فقال لهم الحسين: صدق أبو محمد ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام هذا الإنسان حياً[1].

فأبو عبدالله أرجأ هذه النهضة لسد باب المنكر إلى الوقت المعلوم لديهم من جدهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد قام بها سيد شباب أهل الجنة يوم جاء ذلك الوقت فدوّى العالم بصرخته الأحمدية وعرفت الأجيال المتعاقبة مخازي ابن هند ويزيد ومن لاث بهم من جراثيم الفتن فتوقدت العزائم واحتدمت النفوس من أناس حتى أجهزت على حياتهم ودمرت ملكهم وعرفت الأمة مبلغ أولئك المتسنمين منبر النبوة من الشقاء ومبلغ من ناوأهم من أهل البيت من الحق والسعادة.

---

(١) الأخبار الطوال: ص٢٢٢.

وغير خافٍ أن هذا التذمر من رجالات الشيعة ومجابهتهم الإمام الزكي بتلك الكلمات المقذعة لا يحط من مقدار اعتقادهم بإمامته وإنما صدر منهم ذلك لأن علائقهم الدينية والودية كانت مقصورة على جمال الحق القائم بمجالي الكتاب والسنة الوضيئة ومحيّا حُجة الزمن الأبهج وحيث أحسوا بما يرام بالدين من الصدع وبإمام الوقت من الاضطهاد وبالمؤمنين من استئصال الشأفة ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وأظلمت الدنيا في أعينهم ولم يكونوا يحوون من سعة العلم بالحقائق والعواقب ما يخفف تلك الوطأة ويخمد فورة أنفسهم الملتهبة من تحكم الضلال بالأمة واسترداد الجاهلية الأولى فهنالك انتأت المشاعر عن النفوس فواجهوا الإمام بما عرفت ولهجوا بما لهجوا به وهم غير خارجين عن طاعة ولا متضعضعين في عقيدة.

ولا ريب أن مقادير الرجال متباينة وقابليتهم لتحمل الأسرار متفاوتة ولم تكن اسرار الأئمة يتحملها كل أحد ولذا كان سيد الشهداء يفيض من علمه المخزون على كل من طلب منه التريث عن السفر إلى العراق بما يسعه ظرفه وتتحمله قابليته ولم تسعه المصارحة بما عنده من العلم بمصير أمره.

وهذا الذي ذكرناه هو الأساس في اجتماع رجالات الشيعة وعقد أندية للمؤامرة لحل أغلال الاستعباد من أعناقهم باستدعاء أبيّ الضيم عليه السلام لعاصمة الخلافة العلوية لقمع أشواك الظلم

المتكدسة في طريق الشريعة وقمع جراثيم الفساد الوبيئة ليتم الفتح المبين ويستضيء العالم بألق المبادئ الصحيحة والأنظمة الربوبية التي لاقى المشرع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم المتاعب في نشرها.

وإن الوقت الذي أرجأ أبو عبدالله عليه السلام النهضة فيه حيث كان يقول لأولئك الخلص من الشيعة: ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام هذا الإنسان حياً يعني معاوية هو يوم نهضته بمشهد الطف.

فكان اجتماع الشيعة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي لأنه وجه من وجوههم جليل في قومه لا يفتأت رأيه ومساعيه في أيام أمير المؤمنين عليه السلام الثلاثة مشكورة فذكروا هلاك معاوية وما لاقته الشيعة في أيامه وأشد منها عهده ليزيد الذي وصفه زياد بن أبيه لعبيد بن كعب النمري بأنه صاحب رسلة وتهاون بالدين وقد أُولع بالصيد وإن أمر الإسلام وضمانه عظيم فلا يصلح يزيد للخلافة ثم قال له إلق معاوية وأدّ هذا عني وخبّره بفعلات يزيد وتهاونه بالدين[1].

وقد اعترف بذلك ابن مرجانة حين كتب إليه يزيد أن يسير لحرب ابن الزبير فقال لمن حضر عنده لا والله لا أجمعهما

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص١٦٩، وكان ذلك على أثر كتاب معاوية لزياد يطلب منه أخذ البيعة لولده يزيد من الكوفيين.

للفاسق الفاجر أقتل ابن بنت رسول الله وأهدم الكعبة[١].

ووصف السبط الشهيد حال يزيد في كتابه لمعاوية وفي ما قال له: لقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب والحمام السبق والقيان ذوات المعازف وضرب الملاهي تجده ناصراً ودع ما تحاول فما أغناك أن تلقى الله تعالى بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه فوالله ما برحت تقدم باطلاً في جور وحنقاً في ظلم حتى ملأت الأسقية وما بينك وبين الموت إلا غمضة فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود ولات حين مناص[٢].

وبهذا البيان تلطف سيد الشهداء بالنصح الشافي لدحض الضلال لكنه لم يجد أُذناً صاغية ولا قلباً واعياً فأخذت بوارق الإرهاب وبواعث الطمع من معاوية يسدّان طريق الحق.

فلما هلك معاوية استنشق الكوفيون روح الأمن وأبصروا بصيصاً من نور الإمامة فعزموا على أن يكتبوا إلى الحسين عليه السلام بالمصير إلى عاصمة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ليفتح لهم باب السجن المظلم.

فقام سليمان بن صرد الخزاعي خطيباً فحمد الله وأثنى عليه

---

(١) تاريخ الطبري: ج٧، ص٦.

(٢) الإمامة والسياسة: ج١، ص١٥٤.

ثم قال: إن معاوية قد هلك وإن حسيناً قد تقبض على القوم ببيعته وقد خرج إلى مكة وأنتم شيعته وشيعة أبيه فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغروا الرجل في نفسه.

فقالوا بأجمعهم إنا نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه.

كتبهم للحسين

ثم كتبوا إلى الحسين عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن علي عليه السلام من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد البجلي وحبيب بن مظاهر وشيعته المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة سلام عليك فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فالحمد لله الذي قصم ظهر عدوّك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتأمَّر عليها بغير رضى منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها فبعداً له كما بعدت ثمود إنا ليس لنا إمام فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق.

والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله.

ثم سرحوا الكتاب مع عبدالله بن مسمع الهمداني وعبدالله بن وال وأمروهما بالنجاء فخرجا مسرعين حتى قدما على الحسين بمكة لعشر مضين من شهر رمضان.

وبعد يومين كتبوا له مائة وخمسين كتاباً من الرجل والاثنين والثلاثة والأربعة وسرحوا ذلك مع قيس بن مسهر الصيداوي وعبد الرحمن بن عبدالله بن شداد الأزدي وعمارة بن عبدالله السلولي.

وبعد يومين آخرين كتبوا إليه مع هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبدالله الحنفي ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي من شيعته من المؤمنين والمسلمين أما بعد فحيهلا فإن الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك فالعجل العجل ثم العجل العجل والسلام.

ثم كتب شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث ابن رويم وعزرة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمير التميمي أما بعد فقد اخضر الجناب وأينعت الثمار فإذا شئت فاقدم على جند لك مجنّدة والسلام[1].

وأخذت الرسل من أهل الكوفة تتوارد عليه بكتبهم حتى

---

(١) هذه الكتب ذكرها الشيخ المفيد في الإرشاد.

اجتمع عنده في يوم واحد ستمائة كتاب واجتمع من نوب متفرقة اثنا عشر ألف كتاب[١]. والحسين عليه السلام متريث عن الجواب حتى إذا تتابع هتافهم بكتبهم التي ملأت خرجين[٢] لم يسعه السكوت فكتب إليهم أجمع صورة واحدة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين أما بعد فإن هانياً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم وقد فهمت كل الذي قصصتم وذكرتم وكانت مقالة جلكم أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى.

وأنا باعث إليكم بأخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم ابن عقيل فإن كتب إليّ أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم فإني أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط الدائن بدين الحق الحابس نفسه على ذات الله تعالى والسلام[٣].

---

(١) اللهوف للسيد ابن طاووس: ص١٩٠ صيدا.

(٢) الأخبار الطوال: ص٢٣١.

(٣) نص على هذا الكتاب الشيخ المفيد في الإرشاد والفتال في روضة =

لم يخفَ على الإمام الشهيد نيات القوم ولا ما يقع منهم من التخاذل والتباعد عن نصرة الحق حينما تستعر الحرب ويتجمع الدهر للوثوب على فئة المجد وعصبة الخطر من الهاشميين والصفوة من أصحابهم وكيف يخفى عليه غدرهم وعدم وفائهم بالوعد وهو يشاهد كل ذلك بواسع علم الإمامة والتجارب الصحيحة مما جرى منهم مع الوصي وأخيه المجتبى صلوات الله عليهم والأخبار النبوية والعلوية بما يقع من الملحمة الكبرى التي أتت على النفوس الطاهرة وأعقبت الفتح المبين بنهضة رجالات الدين في وجه المنكر والضلال حتى دمرت مُلك الأمويين واستأصلت شأفتهم من جديد الأرض فأصبحوا عبرة لمن يتجبر في هذه الدنيا الزائلة.

فكان أبيّ الضيم عليه السلام على علم ويقين بما يجري منهم معه لكنه أراد إتمام الحجة على أولئك الغدرة فأجاب سؤلهم ولبى طلبتهم بعد التوكيد عليهم بكثرة الكتب والرسل منهم كي لا تكون الحُجة لضعفاء العباد على إمام منصوب من قِبل الله سبحانه لإرشاد الخلق وإيقاظهم من رقدة الجهل المردي.

= الواعظين: ص١٤٩ والطبري في التاريخ: ج٦، ص١٩٧، وابن الأثير في الكامل: ج٤، ص٨.

ولاية مسلم عليه السلام

غير خافٍ أن تمثيل نفسية الإنسان الكامل بأوضح مجاليها إنما هو ببث أفكاره الناضجة والإشادة بنواياه الحسنة وهي الغاية الفذة من إرسال الرسول سواء في ذلك أن يكون القصد به نشر أخلاق مرضية تتهذب بها النفوس أو تعليم علوم ناجعة تتكهرب بها العقول أو إقامة عدل ترتاح به الأمم أو الدعوة إلى دين تعتنقه الأقوام أو توطيد سياسة تهش إليها الأمة فلا ندحة للمرسل إلا أن يبعث لأي من هذه الغايات الكريمة من هو المثل الأعلى فيها من بين لفيفه وحاشيته فيكون نبوغ الرسول مجلبة لرغبات الأمة الموصلة إلى مرضاة ذلك المصلح ووقوفه على غايته من الإرسال.

ويجب حينئذ أن يكون ذلك الرسول حكيماً في عمله بليغاً في منطقه ليضع الأشياء في مواضعها ويكون قوله على وفق رأيه السديد ولا تفوته مقتضيات الأحوال فيكون أدعى لنشور الدعوة وأنمّ عن عبقرية المرسِل.

إذا كنت في حاجة مرسلاً فأرسل حكيماً ولا توصه

وإنا لنكتفي عن استعراض الشروط الواجبة في السفير والكلمات التي تنم عما يراد منه بذكر ما اتفق عليه أرباب الحديث والتفسير في من أُرسل مبلغاً لأوائل (براءة) فإن التأمل في هذه الحادثة يوقف النبيل على ما يراد من السفير ويلمّ بالشرائط كلها.

والقصة في ذلك أن جبرئيل هبط على النبيﷺ في أول ذي الحجة سنة تسع من الهجرة[١] بالآيات من أول براءة ليقرأها على قريش في الموسم فأرسل رسول الله أبا بكر بها ليقرأها في منى على قريش فلما كان على مراحل من المدينة هبط جبرئيل يأمر النبي أن لا يؤديها إلا هو أو رجل منه[٢] ولما رجع أبو بكر يبكي قال لهﷺ لا عليك وكيف تؤديها وأنت صاحبي في الغار[٣].

---

(١) مصباح الكفعمي: ص٢٧٢ بمبئ والإقبال لابن طاووس: ص٥٣٣ إيران.

(٢) حديث عزل أبي بكر وإرسال أمير المؤمنين مكانه في تفسير الطبري والدر المنثور للسيوطي: ج٣، ص٢٠٩، والكشاف: ج٢، ص١٣٨، ومسند أحمد: ج١، ص٣ وص١٥١، وج٣ ص٢٨٣، ومستدرك الحاكم: ج٢، ص٣٣١، ولم يتعقبه الذهبي في التلخيص وكنز العمال: ج١، ص٢٤٧ وخصائص النسائي: ص٢٠، والرياض النضرة: ج٢، ص١٧٣، وتاريخ الطبري: ج٣، ص١٥٤، وكامل ابن الأثير: ج٢، ص١١١، وتاريخ الخميس: ج٢، ص١٥٦، والروض الأنف: ج٢، ص٣٢٨.

(٣) الإقبال لابن طاووس: ص٥٣٤ وص ٥٣٦.

ما أبلغ هذا التركيب وما أبدع هذا الحوار وإن لهذه الكناية قيمة راقية في سوق البلاغة فلقد أشار رسول الله بكلمته الذهبية إلى معرفته بضعفه يوم كان معه في الغار وأنه لا طاقة له على ملاقاة المشركين من طواغيت قريش فكيف يكون حينئذ مُبلّغاً عنه ومحذّراً أولئك الطغاة وقد يجره الخوف والضعف إلى الوهن في قدس الرسول الأمين.

واعتذار الخطيب الشربيني في (السراج المنير) في تفسير الآية بحمل فعل النبي على مقتضى قواعد العرب من أن الرئيس إذا أراد أن يحكم عهداً بينه وبين أحد فإما أن يحضر بنفسه وإما أن يبعث أحد أقاربه متفكك البرهان باطل القياس فإن تلك القاعدة التي تخيلها لو كانت معروفة لما تخطاها النبي الأعظم في أول الأمر ولما خاف أبو بكر من نزول شيء في حقه حتى بكى لذلك بل كان يعتقد أن الأمر جرى على أساس معروف بين العرب وأجدر بنبي العظمة أن لا يعدوه.

ولكن المتأمل في الحديث الحامل لهذه الحادثة يعرف منه بجلاء منزلة كبرى لعلي أمير المؤمنين وامتيازه على غيره من المهاجرين والأنصار حتى أقرباء النبي وخاصته الذين هم بحضرته وليست تلك المنزلة إلا النيابة العامة والمرجعية لما تحتاج إليه الأمة وقد أشار إلى هذا التنزيل بقول جبرئيل للنبي (أو رجل منك) فإن تلك الذات المكونة من جوهر القداسة والممتزجة

بالعلم الإلهي أليق في تمثيل مقام النبوة في ما يرد عليها من المسائل التي لا يعرفها إلا من استمد من اللوح المحفوظ وأما غيره فحيث لم ينتهل قطرة من ذلك البحر المتموج بالحكم والأسرار فالخطأ والزلة إليه أقرب من حبل الوريد حينما تعرض عليه الأسئلة وتلقى أمامه الشبهات فعندها يعود الفشل على ذلك النبي المعصوم من كل عيب ونقصان لكون الرسول دليل عقل المرسِل.

نعم للخطيب أن يقول إن كان الحال على ما وصف فلماذا لم يبعث النبي علياً من أول الأمر فيقال له: إن النبي لاحظ في ذلك نكتة مهمة وهي تعريف الناس بأن الباعث له على إرسال أمير المؤمنين الوحي الإلهي الذي لا بد من إنفاذه ولو تقدم إلى علي عليه السلام في أول الأمر وأمره بالمسير بالآيات لكثرت القالة ممن خالطهم الريب والشك بأن القرب والرحم حركاه على تقديمه وتمييزه على غيره والنبي صلى الله عليه وآله وسلم أجلّ من أن يعمل عملاً يكون لضعفاء قومه الحجة عليه.

إذا وضح هذا فهلم معي إلى من كان مرسَلاً إلى حاضرة كبرى (الكوفة) ليهتف بالغايات جمعاء المطلوبة من الإمام المعصوم وكان مبعوثاً من إمام عدل وهدى وموئل حكمة وحجى معصوم من الخطأ مفطوم من الزلل (كمسلم بن عقيل) الذي حظي بالنيابة الخاصة من إمام وقته سبط نبي الهدى لينشر في الملأ

العراقي مبادئ الدين القويم ويوقفهم على أمره الحكيم ويقيم الحلال والحرام ويزيح الشبه والأوهام ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلهم بالتي هي أحسن كل ذلك بعد أن يدبّر فيهم الشؤون الإدارية والعسكرية لتوطيد السلام وكلاءة الأمن العام.

وإذا كان اللازم على الإمام أن يلحظ هذه المهمات كان الواجب أن ينتخب لها كفءاً يرتضيه من وجهة العلم والدين ومن وجهة التقوى والورع ومن وجهة الفكر والنظر ومن وجهة السياسة والكياسة.

وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرفق من يرسله إلى جهة من الجهات بكتاب يلم بتفاصيل الأحكام الدينية والمدنية فيقول في كتابه لعمرو بن حزم الأنصاري لما ولاّه اليمن:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا بيان من الله ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ عقد من محمد النبي رسول الله لعمرو ابن حزم حين بعثه إلى اليمن يأمره بتقوى الله في أمره كله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ وآمره أن يأخذ بالحق كما أمر به الله وأن يبشّر الناس بالخير ويأمرهم به ويعلّم الناس القرآن ويفقههم في الدين وينهى الناس فلا يمس أحد القرآن إلا وهو طاهر ويخبر الناس بالذي لهم وبالذي عليهم ويلين للناس بالحق ويشتد عليهم في الظلم فإن الله عز وجل كره الظلم ونهى

عنه وقال: (ألا لعنة الله على الظالمين) ويبشر الناس بالجنة وبعملها وينذر بالنار وبعملها ويستألف الناس حتى يتفقهوا في الدين ويعلّم الناس معالم الحج وسنّته وفريضته وما أمر الله به في الحج الأكبر والحج الأصغر وهو العمرة وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب صغير إلا أن يكون ثوباً واحداً يثني طرفيه على عاتقيه وينهى الناس أن يحتبي أحد في ثوب واحد يفضي بفرجه إلى السماء وينهى أن لا يقص أحد شعر رأسه إذا عفا في قفاه وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ومن لم يدع إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطعوا بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له.

ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق ويمسحون برؤوسهم كما أمر الله عز وجل وأرجلهم إلى الكعبين وآمره بالصلاة لوقتها وإتمام الركوع والخشوع ويغلّس بالفجر ويهجّر بالهاجرة حين تميل الشمس وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة والمغرب حين يقبل الليل لا تؤخر حتى تبدو النجوم في السماء والعشاء أول الليل[١].

---

(١) التفرقة بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء محمولة على الفضيلة بعد ورود الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته بصحة الجمع=

ويأمر بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها والغسل عند الرواح إليها وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عُشر ما سقت العين وما سقت السماء وعلى ما سقى الغرب نصف العُشر وفي كل عَشر من الإبل شاتان وفي كل عشرين من الإبل أربع شياه وفي كل أربعين من البقر بقرة وفي كل ثلاثين من البقر تبيع أو تبيعة جذع أو جذعة وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة فإنها فريضة الله التي افترض الله عز وجل على المؤمنين في الصدقة فمن زاد خيراً فهو خير له.

ومن أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يفتن عنها وعلى

= بينهما في غير سفر ولا ضرورة رواه البيهقي في السنن: ج٣، ص١٦٦ من طرق أربعة وفي مسند أحمد: ج١، ص٣٥٤، قيل لابن عباس: لم جمع رسول الله بين الصلاتين؟ قال: كي لا يحرج على أمته، وفي المبسوط لشمس الدين السرخسي: ج١، ص١٤٩، نقل عن أحمد بن حنبل جواز الجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء في الحضر من غير عذر وروى عن ابن عباس أن رسول الله جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة من غير عذر وأجمع علماء الإمامية على جواز الجمع بينهما ولو لغير عذر.

كل حالم ذكر أو أنثى حر أو عبد دينار وافٍ أو عوضه ثياباً فمن أدى ذلك فإن له ذمة الله وذمة رسوله ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته[١].

هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع عماله وولاته ولكنه لما أرسل أمير المؤمنين إلى اليمن بعد صلح أهل نجران لم يرفقه بمثل هذا الكتاب لعلمه بوقوفه على الأحكام وخبرته بالشؤون التي تدبر الأمة وهو باب مدينة علم الرسول وأقضى الأمة وأفقهها.

كما أن أمير المؤمنين عليه السلام عندما يرسل والياً من قبله يشرح له الأمور الواجب على الوالي القيام بها كما فعل مع الاشتر ومحمد ابن أبي بكر وغيرهما.

إذاً فحسب مسلم بن عقيل من العظمة أن يكون في نظر الإمام الشهيد كعمه الوصي عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم واقفاً على الدروس الإلهية والمعارف القدسية بصيراً بوجوه المحاججة والنظر خبيراً بمداراة الخاصة والعامة رابط الجأش عند مستن النزال لم ترعه الهزاهز ولم توقفه المشكلات عن كشفها بجلي البرهان ولم يثنه الشح عن بذل النائل في محله اللائق ولم تأخذه في الله لومة

---

(١) تاريخ الطبري: ج٣، ص١٥٧، وصبح الأعشى: ج١٠، ص٩، وفتوح البلاذري: ص٧٧، وسيرة ابن هشام: ج٢، ص٣٨٤.

لائم في إحقاق الحق وفصل الخصومات والانتصاف للمظلومين.

فأبو عبدالله عليه السلام لم يرسل مسلماً إلى العراق والياً من قِبله إلا وهو يعلم أنه من فقهاء بيته الهاشمي وعلماء أسرته وأتقياء فئته وساسة ذويه ومن ذوي الحنكة واللياقة من قومه وأنه لحري بإقامة الأمت والعوج وتثقيف الأود وتهذيب الأمة وإصلاح الفاسد ودحض الأباطيل فلا يحتاج إلى شرح ما يجب عليه من الإعمال لعقله الوافر وعلمه الغزير وسياسته الحكيمة وتحريه المصالح العامة.

ومن هنا اقتصر الإمام الشهيد في صك الولاية على تعريف أهل الكوفة بأن مسلماً أخوه وثقته والمفضل عنده من أهل بيته[1].

ولا يرتاب الواقف على هذا الصك في أن الحسين عليه السلام لا يريد من الوثاقة التي حازها (مسلم) إلا تلكم الغايات الكريمة التي ألمعنا إليها وقيامه بشؤون الولاية العامة واحتوائه على مجامع الفضيلة ثم تلك الأخوّة التي شرفه بها سيد الشهداء لا تعدو أن تكون أخوة شرف ووداد أخوّة علم ودين أخوّة سؤدد وخطر وأي ابن أنثى يرتضيه (إمام الحق) أخاً له من بين المسلمين

---

(١) المنتخب للشيخ الجليل الطريحي.

إلا أن يكون ذلك الإنسان الكامل الذي لا يدرك شأو مجده ولا يبلغ أحد مدى عظمته صلى الله عليه وعلى آبائه.

سفر مسلم إلى العراق

تقيض مسلم عليه السلام لما ندبه إليه أبو عبدالله الحسين عليه السلام من حمل أعباء النيابة الخاصة ومعه صك الولاية أو الشرف الوضاح والسؤدد الخالد فخرج من مكة للنصف من شهر رمضان[١] على طريق المدينة وإذ وصلها صلى في مسجد الرسول وزار بقعته المقدسة[٢] وودعه الوداع الأخير وجدّد هنالك المواثيق المؤكدة على ما انطوت عليه أضالعه من التضحية والمفاداة دون إحدى الحسنيين الحياة السعيدة أو الخلود بالذكر المؤبّد بمرضاة رب العالمين ثم ودّع أهله وسافر إلى العراق ومعه قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبدالله السلولي وعبد الرحمن بن عبدالله الأزدي[٣] مع دليلين استأجرهما

---

(١) مروج الذهب: ج٢، ص٨٩، وشرح الشريشي على مقامات الحريري: ج١، ص١٩٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج٦، ص١٩٨.

(٣) كامل ابن الأثير: ج٤، ص٩، والأخبار الطوال: ص٢٣١.

من قيس يدلانه على الطريق[١].

ولم يأخذ الطريق الجدد إلا وألق الحق معه ولم يهبط إلى وادٍ إلا وعبق الصدق يصحبه ومزيج نفسه شهامة من قومه وبسالة من عمه أمير المؤمنين عليه السلام وعزيمة من شرفه بالولاية والنيابة عنه سيد الشهداء وأنه لا يرى الموت دون الحق إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً.

وبينا هو يسير إلى قصده الأسنى إذ ضلّ الدليلان عن الطريق فتاهوا في البر واشتد بهم الحر والعطش ولم يستطع الدليلان حراكاً ولكن بانَ لهما سنن الطريق فقالا لمسلم عليك بهذا السمت فالزمه لعلك تنجو، وحيث إنه لم يسعه حملهما للتوصل إلى النجاة لأنهما على وشك الهلاك وغاية ما وضح للدليلين العلائم المفضية إلى الطريق لا الطريق نفسه ولم تكن المسافة بينهم وبين الماء معلومة وليس لهما طاقة على الركوب بأنفسهما ولا مردفين مع آخر وبقاء مسلم عليه السلام معهما إلى منتهى الأمر يفضي إلى هلاكه ومن معه فكان الواجب المؤكد التحفظ على النفوس المحترمة بالمسير لإدراك الماء فلذلك تركهما في المكان[٢].

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد.

(٢) استنبطنا ذلك مما يحمله مسلم من القدسية التي تمنعه من ترك الأولى فضلاً عما يراد من الدين بل ما تقتضيه الإنسانية.

ومضى على الوصف ومات الدليلان عطشاً وأفضى مسلم إلى الماء فأقام به وهذا الموضع[١] يعرف بالمضيق من بطن الخبت[٢].

وكتب إلى الحسين عليه السلام مع رسول استأجره من أهل هذا الموضع يعرّفه خبر الدليلين وأنه ينتظر أمره.

وهنا نستفيد منزلة عالية لمسلم في التقوى والورع في أمر الدين وأنه لا يتخطى رأي حجة الوقت في حله ومرتحله وإنما كتب إلى إمامه بهذه الحادثة لأنه احتمل أن يكون هذا الحادث يغيّر رأي الإمام فتوقف عن المسير ليرى ما عنده ويكون على بصيرة في إنفاذ أمره.

---

(١) الأخبار الطوال: ص٢٣٢.

(٢) في الطبري: ج٦، ص١٩٨ وابن الأثير: ج٤، ص٩ (الخبيث) بالخاء المعجمة والباء الموحدة ثم المثناة من تحت وبعدها المثناة من فوق وفي إرشاد الشيخ المفيد (الخبت) بالخاء المعجمة ثم الباء الموحدة وبعدها تاء مثناة من فوق وفي نص الأخبار الطوال: ص٢٣٢ (الحربث) بالحاء والراء المهملتين ثم الباء الموحدة وبعدها ثاء مثلثة وهو غير مراد قطعاً لأن الحربث كما في تاج العروس ومعجم البلدان نبت طيب، وأما ما في الإرشاد فيمكن إرادته لأنه في تاج الوطيء ينبت العضاه وقرية لزبيد في البر مشهورة وماء لكلب كما أن الأول يمكن إرادته لأن الخبيث كما في معجم البلدان والمعجم مما استعجم للبكري ماء لبني عبس وأشجع يقع في العالية وهي الحجاز وفي المستعجم أنه موضع على بريدين من المدينة.

ولما قرأ السبط الشهيد كتاب مسلم أمره بالمسير إلى مقصده تعريفاً بأن هذه الأحوال لا تغير ما عزم عليه من إجابة طلب الكوفيين وقد ملأوا الأجواء هتافاً بأنهم لا إمام لهم غيره ينتظرونه ليقيم أودهم فلو لم يجبهم تكون لهم الحجة عليه يوم نصب الموازين والإمام المنصوب من قِبل الله تعالى لا يعمل عملاً يسبب اللوم عليه.

مسلم لا يتطير

تمهيد

جاء النبيﷺ حاملاً لواء الدعوة الإلهية وفيها بث روح النشاط في معتنقيها إلى كل معروف من راجح في الشريعة أو مباح تداولته العقلاء في التوصل إلى مقاصدهم لئلا يربكهم العطل فيتقهقروا عن الرقي ويعوزهم الحصول على الثروة ويضيق نطاق المملكة عن التوسع ويعروا ملكهم عن الأُبهة ويقصروا عن نيل الغايات يستنتج ذلك من الأحاديث النبوية وكلمات الأئمة من خلفائه الواردة في الحث على التجارة والزراعة والصدقة ونحوها وإليك يسيراً منها لتعرف الغاية المرموقة للشريعة المطهرة:

فيقول رسول اللهﷺ: تسعة أعشار الرزق في التجارة والجزء الباقي في الغنم وإن من بات ليلته كالّاً من طلب الحلال بات مغفوراً له، وقال أمير المؤمنينعليه السلام: تعرضوا للتجارة فإن فيها غنىً لكم عما في أيدي الناس وإن الله يحب المحترف الأمين

فهذا داودعليه السلام أوحى إليه الله تعالى إنك نعم العبد إلا أنك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك فبكى داودعليه السلام أربعين صباحاً حتى أوحى الله تعالى إليه إني ألنت لك الحديد فاعمل منه فكان يعمل بيده كل يوم درعاً يبيعه بألف درهم فعمل ثلثمائة وستين درعاً باعها بثلثمائة وستين ألفاً واستغنى بها عن بيت المال.

ورأى محمد بن المنكدر أبا جعفر الباقرعليه السلام خارجاً إلى بعض نواحي المدينة في وقت حار وهو يتصبب عرقاً فقال له إنك من أشياخ المدينة تخرج على مثل هذا الحال لطلب الدنيا أرأيت لو جاءك أجلك وأنت على هذا الحال، فقالعليه السلام: إني لا أخاف أن يجيئني أجلي على هذا الحال وأنا في طاعة الله أكفّ بها لنفسي وعيالي عنك وعن الناس وإنما كنت أخاف لو جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله.

ورأى أبو عبدالله الصادقعليه السلام المعلى بن خنيس متأخراً عن السوق فقال له: اغدُ إلى عزك فإن رسول الله قال ملعون ملعون من ألقى كلّه على الناس.

وقال أبو الحسن موسىعليه السلام: من طلب الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله[1].

---

(١) هذه الأحاديث ذكرها الحر العاملي في الوسائل: ج٢، ص٥٢٧ و٥٢٩ =

وقالوا عليهم السلام في الصدقة إنها تذهب نحس ذلك اليوم وإن الله يدفع بالبكور شر ما ينزل من السماء إلى الأرض في ذلك اليوم وإن يد المعطي إحدى الأيدي الثلاث التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يد الله العليا ويد المعطي تليها ويد السائل السفلى فأعطِ الفضل ولا تعجز نفسك[١].

وفي الزراعة يقول الصادق عليه السلام: والله ما عمل أحد عملاً أحل ولا أطيب من الزراعة والغرس فإن الزراعة الكيمياء الأكبر ولقد جعل الله أرزاق أنبيائه في الزراعة والضرع إلا إدريس كان خياطاً وأمر سبحانه وتعالى آدم عليه السلام أن يحرث بيده ليأكل من كده[٢].

وهذه آثار كافية في التعريف بما عليه الشريعة من الحث المتأكد للدؤوب على الأعمال والنشاط في أمر الدنيا للعون على الآخرة والتكفف عما في أيدي الناس وكفاية ما أهمهم من أمر العيال وأن التواني عن العمل مبغوض للشارع المقدس لاستلزامه محاذير لا تتفق مع ما يراد من البشر في التوجه نحو الخالق جل شأنه القابض على أزمة القضاء والقدر وإن الواقف على مباحث علمي الأخلاق

= و٥٣١ طبع عين الدولة.

(١) المصدر: ص٤٧.

(٢) المصدر: ص٦٤٩.

والفقه يجد الكثير من الشواهد على هذه الدعوى ومنها منفيات جاءت بها الملة الحنيفية اكتسحت ما تداوله الجاهليون مما يضرب على يد النشيط ويوقف سير البشر عن بلوغ الغايات. . .

كالتأثر بمجاري النجوم وسعود الأيام ونحوسها وإن كنا لا ننكر أن المشيئة الإلهية جعلت للأوقات الخاصة والآيات الكونية كالكسوف والخسوف والزلزلة وظهور المذنبات وتغيّر الهواء دخلاً في نزول البلاء الذي قدره والخير الذي أمضاه لكن لا على نحو العلة التامة كعلية النار للإحراق بحيث لا يمكن التخلف عن حدوثها وإنما تلك الحوادث من المقتضيات التي يرتفع أثرها ببعض الأسباب المقارنة لها.

ومن هنا نرى المشرع الأعظم ﷺ أمر أمته بالفزع إلى الله تعالى بالصلاة والدعاء والاستغفار ونحوها مما فيه الزلفى للمهيمن جل شأنه عند حدوث الأشياء المخيفة ولا مانع عقلاً من أن يودع المولى سبحانه وتعالى في مجاري الكواكب والأوقات الخاصة جهة اقتضاء لنزول بلائه ويجعل بمقتضى لطفه وحنانه وكرمه على عباده أسباباً أُخر تسلب أثر تلك المقتضيات إن وقعت مقارنة لها.

وقد جاءت الشريعة بكثير من هذه الأسباب الرافعة لتأثير المقتضيات كصلة الأرحام الموجبة لنمو العدد من العمر والمال

والولد وكالصدقة والتوكل على الله والاستغفار المذهب لنحس اليوم وشر ما ينزل من السماء.

ومن هذا الباب ما جاء أن الرؤيا على ما عبّرت ولا تقصّوها إلا على من يعقل[١] ولا يحدث بها إلا حبيب أو لبيب[٢] فالحبيب يردعه حبه عن أن يسيء إلى حبيبه بالتعبير السيئ واللبيب يردعه اللب والعقل عن إساءة أخيه في الدين والغاية منه رفع المساءة عن النفوس الباعثة على التأخر في العمل وتوليد روح الإقدام فيها بكسح العرقلة أمام مسعاه.

وليس الغرض أن تعبير الرؤيا بالحسن مما يغير القدر الجاري بل القضاء يكون على مجراه حتى مع حسن التعبير إذ ليس في نفس الرؤيا دليل قطعي على دفع القدر المحتوم فيما إذا كان التعبير حسناً بل الغاية أن الإنسان مع حُسن التعبير لا يتأخر عن العمل، بخلاف التعبير السيئ فإنه يوجب الفتور والتأخر عن الحركة وربما يؤدي إلى الشرك.

ومما أكدت الشريعة نفيه (الطيرة) فإنها اكتسحت ببيانها الأوفى ما اعتاده الجاهليون مما يردع العامل عن قصده ولا يتاح له الحصول على غاياته وأوضحت مضار هاتيك العرقلة أمام سير

---

(١) البحار: ج١٤، ص٤٣٦.

(٢) المجازات النبوية للشريف الرضي: ص٢٥١ مصر.

الأمة فالمسلم المستنير بالتعاليم الربوبية لا يكترث بالأقرن والأعضب والبارح[١].

وإلى هذه التافهات من عادات الجاهلية يشير الكميت الأسدي بقوله:

ولا أنا ممن يزجر الطير همه أصاح غراب أم تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية أمرّ سليم القرن أم مرّ أعضب

وهذه العقيدة الراسخة في نفسه استفادها من تعاليم أئمته من آل الرسول عليهم السلام الدعاة إلى شرع جدهم الذي لم يزل يهتف غير مرة بأن الطيرة مرفوعة عن هذه الأمة[٢] وأنها من الشرك وما منا من يتطير[٣] ومن استقسم أو تكهن أو تطير طيرة تردّه عن سفره لم ينظر إلى الدرجات العلى يوم القيامة[٤] وأن من أرجعته الطيرة عن حاجة فقد أشرك[٥] فإذا تطيرت فامضِ[٦].

---

(١) في تاج العروس: ج٢، ص١٢٣ البارح ما مر من الطير من يمينك إلى يسارك والسانح عكسه، والأول يتطير منه دون الثاني وفيه: ج١، ص٣٨٧، الأعضب مكسور القرن والأقرن صحيحه.
(٢) الخصال للصدوق في باب التسعة.
(٣) نهاية ابن الأثير: ج٣، ص٥٨، وشرح النهج الحديدي: ج٤، ص٤٣٠.
(٤) محاضرات الراغب: ج١، ص٦٨.
(٥) مفتاح دار السعادة: ج٢، ص٢٤٧.
(٦) محاضرات الراغب: ج١، ص٦٨.

وكتب بعض البغداديين إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الخروج يوم الأربعاء فقال من خرج يوم الأربعاء خلافاً على أهل الطيرة وقي من كل آفة وقضى الله حاجته[١].

ولما سمعت أم كلثوم أباها أمير المؤمنين يقول: صوائح تتبعها نوائح قالت يا أبة تتطير قال عليه السلام يا بنيّة ما منا أهل البيت من يَتَطيَّر ولا يُتَطيَّر به ولكن قول جرى على لساني[٢].

ولم يحكِ الله التطير إلا عن أعداء الرُسل المائلين عن صراط الشريعة المنحرفين عن التعاليم المقدسة فإنهم قالوا لرسلهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ وفي الحكاية عن قوم صالح ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ وفي الحكاية عن قوم فرعون ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ وفي الحكاية عن أعداء رسول الله ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾.

فالطائر سواء فسر بالبلاء المنزل عليهم أو العمل المسبب لنزول البلاء تكون نسبته إلى الله تعالى باعتبار أنه المجازي لهم

---

(١) من لا يحضره الفقيه للصدوق: ص١٦٨.

(٢) المستدرك للنوري: ج٢، ص٢٧.

على أعمالهم القبيحة ونسبته إليهم باعتبار تسببهم لنزول البلاء بالجحود والطغيان على المولى الحكيم جل شأنه وتكذيب الرُسل بما جاؤوا به من عند ربهم وأنذروا أممهم الذي هو سبب لتقدير قضاء الله وحلول بلائه ونقمته.

وعلى كل حال فالشريعة المطهرة ردعت عن كل ما يعرقل البشر عن الفوز والنجاح والمضي في الأعمال وبلوغ الغايات وإن التطير بتلك الأمور المعروفة عند العرب فمع اعتقاد أن لها التأثير في الخير والشر فهو شرك كما في الحديث ومع عدم الاعتقاد بها فمن الخطأ الواضح التأخر عن الأعمال عند عروضها وإن أشد الناس خوفاً وأضيقهم صدراً وأحزنهم قلباً كثير الاحتراز لما لا يضره ولا ينفعه وكم شخص حرم بذلك نفسه من الرزق بتأخره عن الأعمال لمجرد سماع أو رؤية ما يسوؤه.

وقد أوضح النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمته فساد الطيرة ليعلموا أن الله تعالى لم يجعلها سبباً لما يخافونه لتطمئن قلوبهم وتسكن نفوسهم إلى وحدانية الباري عز شأنه فيترسلون في أعمالهم ولا يحذرون من وخامة العاقبة فلا ينبغي للإنسان التوقف في أعماله متكلاً على هذه الأمور التي لا يقام لها وزن في جنب الإرادة الإلهية.

ثم من لطف الشارع بالأمة أنْ جعل لهم أسباباً يكون قيامهم بها منجاة من وخامة ما يتطيرون منه فأرشدهم إلى أن التوكل على

الله يذهب ما يخاف من الطيرة[١] والصدقة تدفع الأضرار الموهومة[٢] والدعاء عند السفر منجاة من الشر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام عند خروجه إلى النهروان:

اللهم لا طير إلا طيرك ولا ضير إلا ضيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك[٣] أو كما قال موسى بن جعفر عليه السلام: اعتصمت بك يا رب من شر ما أجد في نفسي فاعصمني من ذلك[٤].

وكما صدر من الشارع نفي الطيرة أخبر عن حسن الفأل بالأسماء الحسنة والسر فيه أن التفاؤل يوجب النشاط في العمل والمضي في المقصد وهو الذي يريده المولى سبحانه من العباد.

فالتطير بما أنه تشاؤم من المرئي أو المسموع يكون قاطعاً للعبد عن مقام (إياك نستعين) وفاتحاً على نفسه باب الخوف من غير الله ومن هنا أُطلق عليه الشرك وتبرأ منه النبي وأهل بيته فقالوا ما منا من يتطير.

وأما الفأل فحيث إنه من الأشياء السارة للقلوب المؤيدة للآمال الفاتحة باب الرجاء المسكنة للخوف الرابطة للجأش

---

(١) الوسائل: ج٢، ص١٨٠ عين الدولة.

(٢) المصدر: ص١٨٢.

(٣) أمالي الصدوق.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ص١٦٨، وشرح النهج الحديدي: ج٤، ص٤٣١.

الباعثة على الاستعانة بالله والتوكل عليه المفضية بصاحبها إلى الطاعة والتوحيد حرض عليه النبي وأحبه فقال ﷺ: لا طيرة وخيرها الفأل، وفي لفظ آخر: ويعجبني الفأل الصالح[١].

وفي حديث بريدة كان النبي لا يتطير وإنما يحب الفأل[٢] استقبلته في سبعين من أسلم فقال لي ما اسمك قلت بريدة فسرّ وجهه وقال برد أمرنا وصلح وممن قلت من أسلم قال سلمنا ثم ممن قلت من بني سهم قال خرج سهمنا[٣].

وليس في حديث اللقحة التي أمر بحلبها فقام رجلان ليحلباها وكان اسم أحدهما مرة والآخر حرب فأمرهما بالجلوس حتى إذا قام ثالث اسمه يعيش أمره بالحلب[٤]...

ما يشهد للتطير فإنه من المحال على النبي أن ينهى عن شيء ثم يرتكبه وإنما صدر منه هذا تأكيداً لما نهى عنه من التسمية بمثل حرب ومرة وجمرة وأمثالها فأتبع قوله الفعل تعليماً للمسلمين بالمضي على أمره مطمئنين غير هيابين.

ومما يؤكده ما في بعض الأحاديث من زيادة قول عمر أتكلم

---

(١) البخاري: ج٤، ص١٤، ومسلم: ج٢، ص٢٦٠.
(٢) مسند أحمد: ج٥، ص٣٤٧.
(٣) الاستيعاب بترجمة بريدة.
(٤) موطأ مالك: ج٣، ص١٤٠ مصر.

يا رسول الله أم أصمت فقالﷺ بل اصمت وانا أخبرك بما أردت ظننت يا عمر أنها طيرة وليست بذلك فإنه لا طير إلا طيره ولا خير إلا خيره ولكن أُحب الفأل الحسن[١].

والنكتة في نهي النبي عن التسمية بالأسماء القبيحة حتى غيّر بعض الأسماء إلى ما هو أحسن كتغيير الحباب بن المنذر إلى عبد الرحمن وشهاب إلى هشام وحرب إلى سلم وأبي مُرّة إلى أبي حلوة وبني مغوية إلى بني مرشدة[٢]...

هي إرشاد الأمة إلى أن البقاء على مذاهب سلفهم من التسمية بتلك الأسماء ربما يؤدي إلى حزن بعضهم من بعض عند المصاحبة والملاقاة لكون الطيرة من الغرائز الكامنة في النفوس فقد يعبر الإنسان تعبير السوء من اشتقاق الاسم فيفارق صديقه وأخاه في السفر والمعاملات والشركات فتنحل عُرى الاجتماع وتفكك الوحدة والتضامن فكان من لطف الشارع على الأمة ورأفته بهم أن عرّفهم بأن لا يقيموا على حال يتنفر منها لغير عذر ولا فائدة تعود في الدين والدنيا فإنه جاء حاملاً لواء الوحدة والاجتماع والتراحم وإدخال المسرات على المؤمنين.

ولذا كان يأمر بالغسل والطيب يوم الجمعة ويمنع آكل الثوم

---

(١) مفتاح دار السعادة: ج٢، ص٢٦٢.
(٢) المصدر.

من دخول المسجد لما فيه من الاستكراه الموجب للتنفر والفرقة الرافعة للحنان والعطف.

وأما عدوله صلى الله عليه وآله وسلم عن الجبلين في طريقه إلى بدر وكان أهل أحدهما بنو النار والآخر بنو محرق فليس للتطير لأنه كان على حال أحوج فيها إلى الاجتماع والتضامن من التفرق وغرائز الناس على حالها من الانقباض عن الأسماء القبيحة فأراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مماشاتهم في هذا الحال كي لا يتفرق جيشه تطيراً من اسم الجبلين وأهلهما.

هذا على فرض صحة الحديث وإلا فالمجال واسع في حساب أولئك الرجال من حيث الاعتماد على مروياتهم.

وسؤال الحسين عليه السلام عن اسم الأرض ولما أُخبر بأنها كربلاء قال كرب وبلاء لم يكن من التطير في شيء فإن المتطير لم يعلم ما يرد عليه وإنما يستكشف ذلك من تلك الأشياء المعروفة عند العرب أنها سبب لورود الشر وسيد الشهداء كان على يقين مما ينزل به في أرض الطف من قضاء الله تعالى فهو عالم بالكرب الذي يحل به وبأهل بيته.

كما أنه عليه السلام لم يكن جاهلاً باسم الأرض كيف والإمام عندنا معاشر الإمامية عالم بما يجري في الكون من حوادث وملاحم ويعرف ما أودع الله في الأشياء من أسرار ومزايا إقداراً من مبدع

السموات والأرضين جلت عظمته فإنه سبحانه أودع في الأئمة الطاهرين قوة قدسية نورية بواسطتها كانوا يتمكنون من استكشاف الأشياء ويقفون على أنساب الناس وما تكنه الصدور وما يدخرون ويعرفون لغات الحيوانات وإذا جاز في سليمان عليه السلام أن يعرف منطق الطير كما قال تعالى ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ ففي من تكوّن من نور النبي الذي هو أكمل الكائنات أولى وأجدر وهذه القوة عبر عنها في الآثار بعمود نور يرفع للإمام عليه السلام عند الولادة يرى به أعمال العباد وما كان ويكون.

فسؤال الحسين عليه السلام عن اسم الأرض التي منعوا من اجتيازها[١] أو أن الله أوقف الجواد فلم ينبعث[٢] كما أوقف ناقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الحديبية فلم تنبعث حتى هبط جبرئيل يأمره بالنزول في هذا الموضع والصلح مع قريش[٣]...

لأجل أن يعترف أصحابه بتلك الأرض التي هي محل التضحية الموعودين بها بإخبار النبي والوصي صلى الله عليهما لتطمئن القلوب وتمتاز الرجال وتثبت العزائم وتصدق المفاداة.

وهذا باب من الأسئلة معروف عند علماء البلاغة يعرف

---

(١) كامل ابن الأثير: ج٤، ص٢١.
(٢) المنتخب للشيخ الجليل الطريحي.
(٣) ابن الأثير: ج٢، ص٧٦.

بتجاهل العارف أو سوق المعلوم مساق المجهول وإذا كان فاطر الأشياء الذي لا يغادر علمه صغيراً ولا كبيراً يقول لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ ويقول سبحانه لعيسى عليه السلام ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ لضرب من المصلحة فالإمام المنصوب من قِبله أميناً على شرعه ودليلاً لعباده لا تخفى عليه المصالح.

وهذا كسؤال النبي عن اسم الجبلين واسم الرجلين اللذين قاما لحلب اللقحة ألم يكن النبي الأعظم المتكون من النور الأقدس عالماً بذلك؟ وإنما النكتة ما أشرنا إليه.

لقد ورد عن الشارع أحاديث ربما يستظهر منها غير المتأمل في أسرارهم إثبات الطيرة مثل ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا عدوى ولا طيرة وإنما الشؤم في ثلاثة: المرأة والفرس والدار[1].

وهذا في الحقيقة إخبار عما تعلقت به إرادة المولى جل شأنه بعدم السعادة في هذه الأشياء لمن اقترن بها وصاحبها نظير خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة فبعض الأشخاص يتلذذ بها وبعض يلحقه الضرر منها كما أودع تعالى شأنه في بعض الأحجار خواص من خير أو شر تلحق من يحملها.

---

(١) صحيح مسلم: ج٢، ص٢٦١.

ومن هذا القبيل المرأة والفرس والدار فإن الله تعالى قضى بسعادة من قارنها كما قضى بنحوسته جرياً لناموس المصالح والمفاسد في الأشياء فأين هذا من الطيرة التي يحكم فيها بنحوسة الشيء وإن لم يجعله الله كذلك.

والنبيﷺ حيث لم يعتمد المصارحة بهذه الأسرار لبعد العقول عنها أجمل البيان ثم نصب قرينة على المراد باقتران هذه الثلاثة بنفي الطيرة في كلام واحد وإلا فلا يعقل منهﷺ أن ينفي الطيرة ثم يفرضها في كلام واحد فيقول: لا طيرة وإنما الشؤم في ثلاثة إلخ.

على أنه ورد في أحاديث آل الرسول ما يفسر ذلك الشؤم المخبر عنه ففي حديث الصادق شؤم المرأة كثرة مهرها وعقوق زوجها وأما الدابة فمنعها ظهرها وجماحها وأما الدار فضيق ساحتها وشر جيرانها وكثرة عيوبها ومن بركة المرأة خفة مؤنتها ويسر ولادتها[1].

وفي وصية النبي لأمير المؤمنين: العيش في ثلاثة دار قوراء وجارية حسناء وفرس قباء[2].

ونفي العدوى في هذا الحديث لا ينافي ما ورد أن الرجل

---

(١) معاني الأخبار للصدوق: ص٤٩.

(٢) الخصال للصدوق: ج١، ص٦٢.

يصيب إبله الجرب فيوردها إلى إبل صحيحة فقال النبيﷺ: لا توردن ذا عاهة على مصحّ[١].

فإن الغرض من النهي التحرز عن إيذاء المؤمن بإدخال الإبل الجرباء على الصحيحة لاعتقاده أن ذلك مؤثر في العدوى فيتسبب منه التنفر من هذا الفاعل والمذمة له وقد جاءت الشريعة بالتعاضد والألفة بين المسلمين فقوله (لا توردن ذا عاهة) ليس العدوى إذ قد يكون في الحيوان الوارد عليه المريض مناعة تضاد ميكروب الجرب فلا يصاب بذلك الداء ومن هنا قال الشريف المرتضى: إنا نجد كثيراً ممن يخالط الجربى فلا يجرب ويخالط الصحيح ذا عاهة فلا يصيبه من دائه شيء فنهي النبي لم يكن للملازمة الواقعية في التأثير.

كما أن أمرهﷺ بالفرار من المجذوم في قوله: فرَّ من المجذوم فرارك من الأسد لا دلالة فيه على العدوى بحيث تكون مقاربة المجذوم علة غير تامة للتأثر لإمكان وجود المناعة الرافعة للانفعال بل الغرض من الأمر بالفرار الإيعاز إلى استقذاره ونتن

---

(١) أمالي السيد المرتضى: ج٤، ص١١١، ومختلف الحديث لابن قتيبة: ص١٢٣، وسفينة البحار: ج١، ص١٤٨، عن أمالي الصدوق والهيئة والإسلام للشهرستاني: ج١، ص٢٧، بغداد وصحيح البخاري: ج٤، ص٨، كتاب الطب ومفتاح دار السعادة: ج٢، ص٢٨٧.

ريحه والتنفر منه وربما يسبب ذلك تعييره والإزراء عليه فينكسر ذلك المبتلى بقضاء الله والمولى الحكيم لا يريد من العباد إلا التراحم والعطف في ما بينهم.

وامتناع النبي من إدخال المجذوم عليه للبيعة[١] لا دلالة فيه على العدوى وإلا فقد ورد الحديث أنه أخذ بيد مجذوم ووضعها في القصعة وقال كل ثقة بالله وتوكلاً عليه[٢].

كما أن السجاد عليه السلام السائر على ضوء جده وأبيه لم يمتنع من الأكل مع المجذومين ففي الحديث أنه عليه السلام مرّ على مجذومين يأكلون فدعوه إلى الأكل معهم فقال عليه السلام: لولا أني صائم لفعلت فلما صار إلى منزله أمر بطعام فصنع ثم دعاهم فأكلوا وأكل معهم[٣].

فلو كانت مقاربة المجذومين علة تامة للعدوى لما فعل الإمام عليه السلام ولكنه تبين للواقفين على فعله معهم ممن حضر ومن الأجيال المتتابعة أن الاتصال بذوي العاهات قد لا يؤثر في انفعال الأجسام الصحيحة لوجود القوة المانعة منه أو للتوكل على الله والثقة بأنه سبحانه مورد البلاء حسب المقتضيات.

---

(١) مختلف الحديث: ص١٢٣.

(٢) مفتاح دار السعادة: ج٢، ص٢٨٧.

(٣) البحار للمجلسي: ج١١، ص١١٧ عن الكافي.

١١٨ ..... الشهيد مسلم بن عقيل

مسلم يتفأّل

لقد طال البحث في هذا الموضوع والكلمة الفاصلة أن أحاديث نفي الطيرة وأمثالها إنما وردت لاكتساح عادات الجاهلية مما يوقف الإنسان عن المضي في أعماله متكلاً على هذه الأمور التي لا تأثير لها في جنب الإرادة الإلهية والقضاء الربوبي ومن أجل هذا ذكر أهل البيت عليهم السلام أسباباً توجب الانحراف عن تلك العقائد وتلزم بالمضي في الأعمال لئلا تقع الأمة في الضلال المردي والفشل الذي يفت في عضد الجامعة.

إذاً فما حدث به ابن جرير الطبري من تطير مسلم عليه السلام لما مات الدليلان عطشاً[1] لا واقع له فإن من يقرأ سيرة مسلم عليه السلام يعرف أنه ذلك الرجل العظيم السائر على نصوص القانون الإلهي المستنير بما جاء به حامل الدعوة مشرفهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من المعارف ومكارم الأخلاق وإذا كان مسلم لم يتباعد عما رواه

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص١٩٨.

سيد الوصيين عليه السلام من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (الإسلام قيد الفتك) فلم يفتك بابن زياد وهو الغشوم اللدود المفرق لأمة محمد الحائد بها عن الصراط السوي...

فكيف يتأخر عما أفادته الأحاديث الكثيرة من نفي الطيرة التي لم تزل أنديتهم تلهج بها صباحاً ومساءً وهم المقيضون لما يراد من العباد من أعمال الخير وتبعيدهم عن خطة الخسف والهوان فهل والحالة هذه يجوز العلم والوجدان نسبة التطير إلى رسول الحسين عليه السلام وخليفته في حاضرة الكوفة ليكون مرشداً ومهذباً ورادعاً للأمة عما لا يتفق مع قدس الشريعة.

ولئن غاضينا ابن جرير على عدم معرفته بما حواه هذا البيت المنيع من رجالات الإصلاح فلسنا نسالمه على هذه البادرة التي نسبها إلى مسلم الذي لم يعرف منزلته ولا مقدار عمله وما يتوخاه من أسمى الغايات وقد فاته أن الرواة أرادوا شيئاً كشف المستقبل عن تفكك قياسه.

نعم كان مسلم عليه السلام يتفأّل كما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبناؤه الهداة يتفأّلون وذلك لما ارتحل من ذلك الماء أشرف على رجل يرمي ظبياً فصرعه فسرّه وتفأّل بقتل عدوه[1].

ولئن فرح ابن زياد بالغلبة على رسول الحسين عليه السلام فقد (أخطأ

---

(١) إرشاد المفيد.

الحفرة) فإن الظافر هو ابن عقيل كما تفأل إذ ليس الفتح إلا ما يترتب على تلك النهضة من تعريف الأمة نوايا أولئك المتأمّرين عليها بالقهر والغلبة وقد أخذت الأمة بسبب ذلك القيام في وجه المنكر تتلو في كل زمان مخازي زياد وابنه ومن مكّنهم من رقاب المسلمين وابنه ولئن سَرّ ابن زياد الفتح العاجل فلقد أعقبه ندماً ولات حين مندم يوم كثر اللوم عليه حتى من أهله وخاصته.

فإن أخاه عثمان قال له وددت أن في أنف كل رجل من بني زياد خزي أمة وأنك لم تقتل حسيناً فلم ينكر عليه عبيد الله[١] وقالت له أمه مرجانة ماذا صنعت مع الحسين وماذا فعلت، فلم يجبها بشيء[٢] وبماذا يجيبها وللهتاف بخطئه وزلته دوي في أُذنيه وأكد ذلك ما شاهده من النار الخارجة من بعض نواحي القصر قاصدة سريره[٣] فولى هارباً منها إلى بعض بيوت القصر وعند ذلك تكلم الرأس الأزهر بصوت جهوري سمعه ابن زياد وبعض من حضر: إلى أين تهرب يا ملعون فإن لم تنلك في الدنيا فهي في الآخرة مثواك ولم يسكت الرأس حتى ذهب الناس وأدهش من في القصر لهذا الحادث الذي لم يشاهد مثله[٤].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٦٨.

(٢) المصدر: ج٧، ص٦.

(٣) المنتخب للشيخ الجليل الطريحي.

(٤) شرح قصيدة أبي فراس: ص١٤٩ إيران.

افتراء على الحسين

لقد تجلى مما ذكرناه من رفع الطيرة في الشريعة الافتراء على ابن عقيل في كتابه إلى الحسين عليه السلام: إني تطيرت من هذا الوجه فإن رأيت أن تعفيني وتبعث غيري، فيكتب إليه الحسين: أما بعد فقد خشيت ألا يكون حملك على هذا إلا الجبن فامضِ لوجهك الذي وجهتك له[1].

فإن المتأمل في صك الولاية الذي كتبه سيد الشهداء لمسلم ابن عقيل لا يفوته الإذعان بما يحمله من الثبات والطمأنينة ورباطة الجأش وأنه لا يهاب الموت وهل يجدر بآل أبي طالب إلا القتل الذي لهم عادة وكرامتهم من الله الشهادة ولو كان مسلم هياباً في الحروب لما أقدم سيد الشهداء على تشريفه بالنيابة الخاصة عنه التي يلزمها كل ذلك.

فتلك الجملة التي جاء بها الرواة وسجلها ابن جرير للحط

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص١٩٨.

من مقام ابن عقيل الرفيع متفككة الأطراف واضحة الخلل كيف وأهل البيت ومن استضاء بأنوار تعاليمهم لا يعبأون بالطيرة ولا يقيمون لها وزناً.

وليس العجب من ابن جرير إذا سجلها ليشوّه بها مقام شهيد الكوفة كما هي عادته في رجالات هذا البيت ولكن العجب كيف خفيت على بعض أهل النظر والتدقيق حتى سجلها في كتابه مع أنه لم يزل يلهج بالطعن في أمثالها ويحكم بأنها من وضع آل الزبير ومن حذا حذوهم.

في بيت المختار الثقفي

لم تكن زعامة الكوفة ولا التلفع بالمكارم العظيمة ولا الاعتصام بالقبيلة قصراً على المختار بن أبي عبيد الثقفي يومئذ فإنّ في (حاضرة الكوفة) رجالات يكافئون (أبا اسحاق) في العظمة والنفوذ إن لم نقل بأنهم ينيفون عليه وإنما وقع اختيار مسلم عليه السلام على المختار حيث عرفه منذ نعومة أظفاره من خاصة البيت العلوي وممن أخلص للعلويين بالمفاداة.

وذلك يوم جاء به أبوه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأجلسه على فخذه وهو صبي وقال له وهو يمسح على رأسه: يا كيس يا كيس[1] فكانت

(١) رجال الكشي: ص٨٤.

هذه الكلمة من سيد الوصيين العالم بما كان ويكون درساً بليغاً للواقف عليها تفيده فقهاً بما يظهر على يد المختار من مظاهر السداد وأفعال ذوي الحجى من الأخذ بحقهم وطلب تراتهم مشفوعاً ذلك بالحزم والكيس وأنّ هذه الكلمة الصادرة من أمير المؤمنين عليه السلام من مختبئات المستقبل نعرف من تدوين العلماء لها وتحمّل روايتها الاهتمام بها وأنها أشربت رمز المستقبل وألمعت إلى الحوادث التي يقوم بها وكشفت حاشية من الستر المرخى على ذلك السرّ المصون.

وكان المختار يحسب لهذه البشارة حساباً ويحدث بها نفسه والأحاديث التي أوردها الشيخ الجليل ابن نما الحلي من أعيان القرن السادس في رسالته (أخذ الثأر) تدلنا بكل وضوح على اعتقاد المختار بمغزى تلك الكلمة الغالية التي فاه بها باب مدينة علم الرسول.

ومن تلك الأحاديث:

(أ) إن المختار لقي معبداً الجدلي فقال له يا معبد إن أهل الكتب ذكروا أنهم يجدون رجلاً من ثقيف يقتل الجبارين وينصر المظلومين ويأخذ بثأر المستضعفين ووصفوا صفته فلم يذكروا صفة إلا وهي فيَّ غير خصلتين أنه شاب وقد جاوزت الستين وأنه رديء البصر وأنا أبصر من عقاب فقال له معبد أما السن فإن الستين والسبعين عند أهل ذلك الزمان شاب

وأما بصرك فما تدري ما يحدث الله فيه ولعله يكلّ.

فقال المختار عسى أن يكون ذلك إن شاء الله.

(ب) إن ابن زياد حبس المختار وميثماً التمار وعبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب الملقب (ببه) فطلب عبدالله حديدة يزيل بها شعر بدنه وقال: لا آمن من ابن زياد القتل فأكون قد ألقيت ما على بدني من الشعر فقال المختار لا يقتلك ولا يقتلني ولا يأتي عليك إلا القليل فتلي البصرة وميثم التمار يسمعهما فقال للمختار وأنت تخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الذي يريد قتلنا وتطأ بقدميك على وجنتيه فكان الأمر كما قالا ولي عبدالله البصرة وخرج المختار طالباً بثأر الحسين[١].

(ج) ساير المختار المغيرة بن شعبة أيام ولايته الكوفة من قِبل معاوية فمر بالسوق فالتفت المغيرة إلى المختار يقول: يا لها من غارة ويا له جمعاً إني لأعلم كلمة لو نعق لها ناعق لاتبعوه ولا سيما الأعاجم الذين إذا أُلقي إليهم الشيء قبلوه فقال له المختار وما هي يا عم قال المغيرة: يستادون بآل محمد فأغضى عليها المختار[٢].

---

(١) رسالة أخذ الثأر وشرح النهج الحديدي: ج١، ص١١٠.

(٢) أنساب الأشراف: ج٥، ص٢٢٣، طبع ليدن.

لم تزل هذه الكلمة تتردد في نفس المختار حتى أصاب لها موقعاً فإنه بعد أن قتل سيد الشهداء عليه السلام أخذ ينشر فضل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويتوجع لما أصابهم وكان على يقين من تحقق تلك البشائر معتقداً أن المولى سبحانه وتعالى سيوليه تلك المكرمة مؤيداً بالنصر عندما يرفرف على رأسه طائر الظفر ويخفق أمامه علم الفتح.

هذا هو السبب الوحيد في اختيار مسلم النزول في دار المختار[١] عندما ورد الكوفة لخمس خلون من شوال[٢] وقيل نزل على مسلم بن عوسجة الأسدي[٣] وكانت دار المختار تدعى دار سلام بن المسيب[٤].

ولم يكن انتقاله إلى دار هاني بن عروة لموجدة وجدها عليه وإنما كان ذلك بعد خطبة ابن زياد بعد دخوله الكوفة ووقوع الهرج في المصر خشية من بادرة ابن مرجانة فارتأى مسلم أن يستبدل بمحله محلاً لعله أمنع فإن هانياً كان شيخ مراد ومذحج وزعيمهما المقدم لا يفتأت رأيه ولا يعصى أمره على أنه كان من

---

(١) إعلام الورى للطبرسي: ص١٣٢.

(٢) مروج الذهب: ج٢، ص٨٦، وشرح الشريشي على مقامات الحريري: ج١، ص١٩٢.

(٣) البداية لابن كثير: ج٨، ص١٥٢.

(٤) روضة الواعظين للفتال: ص١٤٨.

الرجال المخلصين لآل الرسول عليهم السلام باشر الحروب معهم وحنكته التجارب ولكن قاتل الله الخذلان وأبعد الله الكوفيين عن الخير.

البيعة

لما حلّ مسلم عليه السلام ضيفاً على المختار الثقفي انثال عليه أهل الكوفة ولاث به حماة المصر وازدلف إليه كماته زرافات ووحداناً يهتفون بالترحيب بداعية حجة الزمن فقرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام وعرفهم أنه مجيبهم إلى ما يريدون إن لزموا العهد وتدرعوا بالصبر على مكافحة أعدائهم وهل كان هذا الهتاف بالترحيب والفرح بالأمنية عن طمأنينة وعقد الضمائر على التفاني في النصرة حتى يغلب الله على أمره أو أنه كان مصحوباً بنفاق تكنّه الصدور وبين الأضالع غدر كمين قد عرف به القوم في تطوراتهم وميولهم إلى جهات متعاكسة.

وإن موقف عابس بن شبيب الشاكري وصحبه المخلصين بالولاء للعترة الطاهرة يكشف عن نفسية هؤلاء الجمع المتراكم ويفسر لنا هذه المشكلة والحيرة ويعطينا درساً ضافياً عن نوايا القوم وعاداتهم وأن هؤلاء الشيعة كانوا على شك من عزائمهم إن لم نقل بأنهم على يقين من غدرهم ومتابعتهم الأهواء غير أنهم لم يرقهم المكاشفة لئلا يعود ذلك فتاً في عضد البيعة ومثاراً للإحن ومحتدماً للبغضاء فأجملوا القول وهم ينتظرون نواجم العاقبة.

فيقول عابس لمسلم إني لا أخبرك عن الناس ولا أعلم ما في نفوسهم وما أغرك منهم والله إني أحدثك عما أنا موطن عليه نفسي والله لأُجيبنّكم إذا دعوتم ولأُقاتلن معكم عدوكم ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله لا أريد بذلك إلا ما عند الله.

وقال حبيب بن مظاهر رحمك الله قد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما أنت عليه.

وقال سعيد الحنفي مثل قولهما[١].

وقد ثبت هؤلاء الأطهار في الدفاع عن آل نبيهم حفظاً للعهد وأداءً لأجر الرسالة فأعلنوا بما انطوت عليه جوانحهم من صدق المفاداة والإخلاص في النهضة وما غيروا وما بدلوا ومما يؤكد ما أشار إليه عابس وصحبه حديث علي بن الحجاج قال سألت محمد بن بشير الهمداني هل كان منك قول أنت فقال له إني كنت أحب أن يعز أصحابي بالظفر وما كنت لأُحب أن أُقتل وكرهت أن أكذب[٢].

فإن قوله (وكرهت أن أكذب) شهادة صدق على خداع القوم وكذبهم في ذلك الهتاف بالترحيب ومد الأكف للبيعة.

---

(١) الطبري: ج٦، ص١٩٩.

(٢) المصدر.

أما البيعة التي أخذها مسلم من الكوفيين فهي على حد البيعة التي أخذها رسول الله من الأوس والخزرج في العقبة الثانية[١] وفي يوم الفتح وأخذها من المسلمين يوم الغدير وأخذها أمير المؤمنين يوم بويع وأخذها الحسن من أهل الكوفة بعد شهادة أبيه الوصي فإنها في كل ذلك عبارة عن الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين وقسمة الفيء بين المسلمين بالسوية ورد المظالم إلى أهلها ونصرة أهل البيت على من نصب لهم العداوة والبغضاء وجهل حقهم والمسالمة لمن سالموا والحرب لمن حاربوا من دون رد لقولهم ولا تخطئة لفعلهم ولا تفنيد لرأيهم.

وإن المؤرخين وإن أغفلوا نص البيعة التي أخذها مسلم عليه السلام من الكوفيين كما أغفلوا الكثير من آثار أهل البيت التي تستفيد الأمة منها تعاليم راقية في التهذيب والإصلاح لكنا نقطع بأن

---

(١) السيرة الحلبية: ج٢، ص١٧، وذكر أنهم خمس وسبعون رجلاً فقال لهم رسول الله أخرجوا لي اثني عشر نقيباً كما أخذ موسى من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً يكونوا كفلاء على قومهم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم وأنا كفيل على من معي من المهاجرين فاختاروا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وهنا كلام للعباس بن عبدالمطلب في المحافظة على رسول الله ينم عن عقيدته الراسخة بالتوحيد والإيمان منذ البعثة فلا يعبأ بما ذكره المؤرخون من إسلامه بعد بدر.

داعية (إمام الحق) لم يتخطَّ طريقة النبي وخلفائه المعصومين المقيضين لإرشاد البشر بما يجب عليهم من أمر الدين والدنيا وأنهم كانوا في أخذ البيعة على هذا النهج.

وبعد أن فرغ من التعريف بأمر البيعة الذي يراد منهم تداكّ الناس يمسحون أيديهم على يده يهتفون بالرضا والتسليم كما فعل الأنصار مع النبيﷺ ليلة العقبة وقريش يوم الفتح والمسلمون يوم الغدير وأهل المدينة يوم بويع أمير المؤمنينعليه السلام وأهل الكوفة مع السبط الزكيعليه السلام فإن هذا هو المعروف في من يبايع يمسحون أيديهم على يده نعم في بيعة النساء يوم الفتح جيء بإناء فيه ماء وغمس النبي يده في الماء وكل امرأة تأتي للبيعة تغمس يدها في ذلك الماء.

فبلغ عدد من بايع مسلماًعليه السلام ثمانية عشر ألفاً أو خمسة وعشرين ألفاً[١] وفي حديث الشعبي أنهم أربعون ألفاً[٢] وسرعان ما انقلبوا على أعقابهم فخسروا شرف الدنيا كما عداهم الفوز في الدين وخلدوها صحيفة سوداء يتلوها الملوان ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص٢١٠.

(٢) مثير الأحزان لابن نما: ص١١.

كتاب مسلم إلى الحسين

لما أحصى ديوان مسلم ذلك العدد الكثير من المبايعين كتب إلى الحسين مع عابس بن شبيب الشاكري وقيس بن مسهر الصيداوي يخبره باجتماعهم على رأيه وطاعته وانتظارهم لقدومه وفيه يقول: الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي، وكان هذا قبل مقتل مسلم بسبع وعشرين يوماً[١] وانضم إليه كتاب أهل الكوفة وفيه: عجل القدوم يابن رسول الله فإن لك بالكوفة مائة ألف سيف فلا تتأخر[٢].

خطبة النعمان

لما بلغ النعمان بن بشير الأنصاري وهو والي الكوفة من قبل يزيد اجتماع الكوفيين على مسلم عليه السلام وبيعتهم له رقي المنبر

---

(١) الطبري: ج٦، ص٢٢٤.

(٢) البحار: ج١٠، ص١٨٥.

وقال: اتقوا الله عباد الله ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة فإن فيهما يهلك الرجال وتسفك الدماء وتغصب الأموال وإني لم أقاتل من لم يقاتلني ولا أثب على من لا يثب علي ولا أُشاتمكم ولا أتحرش بكم ولا آخذ بالقرف ولا الظنة ولا التهمة ولكنكم إن أبديتم صفحتكم لي ونكثتم بيعتكم وخالفتم إمامكم فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولو لم يكن لي منكم ناصر أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق أكثر ممن يرديه الباطل.

فأنكر عليه جماعة ممن له رأي مع بني أمية حتى قال له عبدالله بن مسلم بن سعيد الحضرمي وكان محالفاً لبني أمية: إن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين ولا يصلح ما ترى إلا الغشم.

فرد عليه النعمان: أن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الأعزين في معصية الله[١].

إن هذا الوالي لم يرد بكلمته (خالفتم إمامكم ونكثتم بيعتكم) إلا التمويه على العامة بصورة خلابة يذكر فيها البيعة ليزيد وأنه إمام لا تجوز مخالفته وإلا فهو جد عليم بأن ما رماه من القول لا صلة له بالحقيقة لولا تأليفه البسطاء وإغراؤه الضعفاء المتحرين

---

(١) الطبري: ج٦، ص١٩٩.

عيشة راضية مع أي مسيطر أليس هو القائل: إن ابن بنت رسول الله أحب إلينا من ابن بجدل[١].

ثم هب أنّا غاضيناه في نزعته الأموية ورأيه العثماني المباين لكل علوي في المبدأ فلسنا نسالمه على كلمته هذه المنهالة من شتى نواحيها أيحسب أنه يدلي بحجة قوية ويذكر بيعة صحيحة لإمام عدل لا تجوز مخالفته.

ألا مسائل هذا الرجل متى انعقدت هذه البيعة أبرضاً من أهل الحل والعقد أم بكراهية من الناس حين أحاط بهم الإرهاب من ناحية والطمع من ناحية أُخرى والسيف المزهق لنفوسهم على رؤوسهم وآخرون انثالوا عليه وحقائبهم مملوءة من وفره وأطراف المفاوز تقل كل فار بدينه وهناك صدور واغرة وفي زوايا الأندية ألسنة تلهج باستعظام الواقعة ووخامة العاقبة.

وكان عبد الرحمن بن أبي بكر يجاهر بأنها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل مكانه[٢] والأحنف يذكر معاوية بالشروط التي أعطاها الحسن وكان فيها أن لا يقدم على الحسنين أحداً مع ما لهما من الفضل وأهل الكوفة لم يبغضوهما منذ أحبوهما والقلوب التي أبغضوه بها بين جوانحهم[٣].

---

(١) الإمامة والسياسة: ج٢، ص٣.
(٢) ابن الأثير: ج٣، ص١٩٩.
(٣) الإمامة والسياسة: ج١، ص١٤١.

لكن معاوية لم يعبأ بكل نصيحة أسديت إليه من عماله والكبراء الملتفين حوله وأخذ يبذل الأموال لتمهيد البيعة لولده يزيد حتى تمكن مما أراد بالوعد والوعيد.

ثم نقول لهذا الوالي متى رضيت العامة والخاصة بالبيعة لابن هند حتى ترضخ لمن بعده لولا سماسرة الأهواء ومتبعي الشهوات ومن ذا الذي يقصده الوالي المستغشم للملأ حوله من هذا الإمام الذي لا تجوز مخالفته ولا يحلّ نكث بيعته أهو ابن ميسون المعروف ببوائقه ومخاريقه المستهتر الماجن وهل يعرّف مجهولاً أو ينوه بمن لا تعرفه الأمة لئن نسي النعمان بوائق يزيد فلم تنسه المواخير والقيان ولم تغفل عنه المعازف والدنان ولم تله عنه المعرة والفجور والعود والقرود.

ليس بغريب من النعمان إذا جاهر ببيعة يزيد بعد أن كان متأثراً بنفسية أبيه (بشير) الذي لم تشرق عليه أنوار الولاية فأخذ يتردد تردد الجمل في الطاحونة وصمّ سمعه عن النداء الإلهي يوم الغدير وغيره بنصب الوصيعليه السلام علماً يُهتدى به إلى الطريق اللاحب فكان السابق إلى بيعة أبي بكر يوم السقيفة ولم يبارح تلك الأندية إلى أن قتل في وقعة (عين التمر) مع خالد بن الوليد.

فمشى ولده النعمان على ذلك الأثر وجرته المطامع إلى

مهوى سحيق وكان أبغض شيء عليه أهل الكوفة لرأيهم في أمير المؤمنين عليه السلام وميلهم إلى آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هنا لم يمتثل أمر معاوية في زيادة أعطيات الكوفيين عشرة دنانير وكلما راجعوه في ذلك أبى[١].

ولرأيه العثماني ونزعته الأموية أرسلته نائلة بقميص عثمان إلى معاوية بالشام ليؤلب الناس على ابن عم النبي ووصيه المقدم[٢] وشهد مع معاوية صفين ولم يكن من الأنصار غيره[٣] وولاه معاوية على الكوفة[٤] وأقره يزيد عليها وبعد ولاية ابن زياد عليها ولاه حمص ولما ثار أهل المدينة على عامله بعد وقعة الحسين عليه السلام أرسله يزيد إلى المدينة ليهدأ أهلها[٥].

ومع هذا كله فإنه يعلم أن معاوية وابنه لم يستحقا من الخلافة موطئ قدم لخلوهما من كل فضيلة تؤهلهما لإمرة المسلمين ولم يخفَ عليه فضل (أبي الريحانتين) كيف وهتاف النبي وإصحاره بما له من الخصال الحميدة ملء مسامعه لولا حكم الهوى وحب الدنيا والتقلب في الولايات.

---

(١) الأغاني: ج١٤، ص١١٥.
(٢) المحبر لابن حبيب النسابة: ص٢٩٢، طبع حيدر أباد الدكن.
(٣) صفين لنصر بن مزاحم: ص٥٠٦، وص ٥١٠ مصر.
(٤) كامل ابن الأثير: ج٣، ص٢٠٤، حوادث سنة ٥٩.
(٥) تاريخ الطبري: ج٧، ص٤.

ولاية ابن زياد

لما حل مسلم بن عقيل في الكوفة وبايعه الناس ساء ذلك من كان له هوى في بني أمية فكتب عبدالله بن مسلم الحضرمي وعمارة ابن عقبة بن أبي معيط وعمر بن سعد بن أبي وقاص إلى يزيد:

أما بعد فإن مسلم بن عقيل قدم الكوفة وبايعته الشيعة للحسين ابن علي فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوك فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف أو يتضعف.

ولما اجتمعت عند يزيد كتبهم استشار (سرجون) مولى أبيه في من يوليه فأشار عليه بعبيد الله بن زياد فكتب إليه يزيد أما بعد فإن شيعتي بالكوفة كتبوا إلي بأن مسلم بن عقيل يجمع الجموع لشق عصا المسلمين فسر حين تقرأ كتابي إلى الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام.

فأقبل مسلم بن عمرو الباهلي بالكتاب إلى عبيد الله بالبصرة ولما قرأه تجهز للمسير إلى الكوفة من الغد.

ثم خطب أهل البصرة قائلاً:

إن أمير المؤمنين يزيد ولاني الكوفة وأنا غادٍ إليها الغداة فوالله إني ما تقرن بي الصعبة ولا يقعقع لي بالشنان وإني لنكل لمن عاداني وسمّ لمن حاربني أنصف القارة من راماها يا أهل

البصرة قد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان وإياكم والخلاف والإرجاف فوالذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنّه وعريفه ووليه ولآخذن الأدنى بالأقصى حتى تسمعوا لي ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق أنا ابن زياد أشبهته من بين من وطئ الحصى ولم ينتزعني شبه خال ولا ابن عم.

وسافر من البصرة إلى الكوفة مع مسلم بن عمرو الباهلي وشريك بن الأعور الحارثي وحشمه وأهل بيته[١] والمنذر بن الجارود العبدي وعبد الله بن الحارث بن نوفل في خمسمائة انتخبهم من أهل البصرة فجدّ في السير وكان لا يلوي على أحد يسقط في الطريق مخافة أن يسبقه الحسين إلى الكوفة حتى إن شريك بن الأعور سقط وسقط عبدالله بن الحارث ومعه أناس رجاء أن يلوي عليهم ابن زياد فلم يلتفت إليهم.

ولما ورد القادسية سقط مولاه مهران فقال له ابن زياد إن أمسكت على هذا الحال فتنظر القصر فلك مائة ألف قال لا والله لا استطيع فنزل عبيد الله وأخرج ثياباً من مقطعات اليمن ولبس عمامة سوداء وتلثَّم موهماً أنه الحسين وانحدر وحده ودخل الكوفة مما يلي النجف[٢].

وكلما مرّ بالمحارس ورأوا تلك البزة ظنوا أنه ابن رسول الله

---

(١) الطبري: ج٦، ص٢٠٠.

(٢) مثير الأحزان لابن نما: ص١٤.

فيهتفون بصوت عالٍ: مرحباً بابن رسول الله وهو لا يكلمهم وخرج إليه أناس من بيوتهم متباشرين ظناً أنه الحسين فرأى من تباشرهم بالحسين ما ساءه وانتهى إلى باب القصر وقد أغلقه النعمان بن بشير فأشرف من أعلا القصر يقول: ما أنا بمؤدٍّ إليك أمانتي يابن رسول الله وما لي في قتالك من أرب فغضب ابن زياد منه وقال له افتح لا فتحت فقد طال ليلك وسمعه من كان خلفه فرجع إلى الناس يقول إنه ابن مرجانة ورب الكعبة[١] فتقهقر الناس إلى منازلهم فرقاً من سطوة ابن زياد وأخذ الرجل يحدث جليسه بالشر المقبل من جراء هذا الطاغي.

خطبة ابن زياد

وعند الصباح جمع الناس عنده فقال في خطبته:

إن أمير المؤمنين يزيد ولاني مصركم وثغركم وفيئكم وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم وسوطي على من ترك أمري وخالف عهدي وليتقِ امرؤ على نفسه الصدق ينبئ لا الوعيد[٢]. فأبلغوا هذا الرجل الهاشمي مقالتي وليتقِ غضبي[٣].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٠١.

(٢) إرشاد المفيد.

(٣) نفس المهموم: ص٤٩.

ثم أمر العرفاء بكتابة أسماء من وافق ابن عقيل ومن لم يفعل ولا يضمن خروج أحد تحت عرافته فهو حلال الدم ويصلب على باب داره وتلغى عرافته من العطاء[١] أو يسيّر إلى الزارة موضع في عمان[٢] وإليها نفى ابن زياد المرفع بن ثمامة الأسدي فإنه يوم الطف كان مع الحسين ولما فنيت نباله أخذ يقاتل بسيفه فناداه بعض عشيرته أنت آمن اخرج إلينا فخرج إليهم فلما قدم عمر بن سعد بالأسارى إلى الكوفة وأخبر ابن زياد خبره سيّره إلى الزارة[٣].

موقف الكوفيين

مهما عزب عن الباحث شيء من نفسيات الأمم لغموض فيها أو لحواجز لم تكشف بعد فإنه غير خافٍ عليه غرائز الكوفيين وأنهم في ظعنهم وإقامتهم ونصرتهم وخذلانهم ونهضتهم وقعودهم كالريشة في مهب الريح تتلاعب بهم أهواء متضاربة ونزعات وقتية والذي ينتجه التفكير الصحيح في أمرهم أن القوم لا تحركهم غاية مرموقة ولا مبدأ ثابت شأن الرعاع من الناس الذين يحدوهم الجشع طوراً والشهوة أُخرى فرضيخة موهومة من

---

(١) الإرشاد: ص٢٠٧، طـ. الأعلمي.

(٢) ابن الأثير: ج٤، ص١٠.

(٣) الطبري: ج٦، ص٢٦١.

هذا تسوقهم ولماظة عيش من آخر تأخذ بأكظامهم وبالرغم من ذلك الهلع المردي فإنهم ينكفئون عنهما بخفَّيْ حنين فلا دين يحمد ولا دنيا يتهنأ بها.

على هذا جروا في عاداتهم وضرائبهم منذ مصرت هذه الحاضرة وأخص من أيامها العهد العلوي وأيام الإمام المجتبى الحسن ودور سيد الشهداء وأعطف النظرة بعد هذا إلى نهضة التوابين وأيام المختار وأيام العلويين كزيد الشهيد ونظرائه الذين غرّوهم فأغروهم بالقيام ثم انثالوا عنهم.

هذه شناشن القوم لم يفتأوا يسيرون عليها منذ الأول إلى أن دمرت وعاد أمر الكوفة كحديث أمس الدابر وعجيب ممن يذهب إلى أن الكوفة علوية إذاً فمن ذا الذي استأصل شأفة العلويين وقتل كل ترابي في النسب أو في المذهب وهل كان في جيش ابن سعد في مشهد يوم الطف غير كوفي يعرف وقد بلغوا ثلاثين ألفاً أو يزيدون ألم يكاتبوا الحسين يستقدمونه إليهم حتى إذا حلّ بين أظهرهم انتكثوا عليه تحت راية ابن مرجانة إلى هنات كثيرة سوّدوا بها صحائفهم:

أتت كتبهم في طيِّهن كتائب وما رقمت إلا بسمّ الأراقم
أن اقدم إلينا يابن أكرم من مشى على قدم من عربها والأعاجم

هكذا عرفت مقادير القوم من الثبات ومبالغهم من السداد

وكمياتهم من الاستقامة هب أن القوم لا يهمهم دين ولا تردعهم تقوى ولا يتأثرون بجاذب الحق وإنما هم سماسرة الأطماع يتحرون المعيشة تحت أي راية لمحق أو مبطل فيخدمون كل ناعق شأن النفوس الضعيفة والطبائع المسفة مع الضعة. . .

فهلّا كان الشرف الإنساني يقودهم إلى اتباع أشرف الفريقين نسباً وأرفعهم شأناً وأعزهم حمىً وأنداهم يداً وأرجحهم حجىً وأكرمهم جدوداً وأزكاهم نفوساً وأطهرهم ذيولاً وأرساهم قدماً عند مستن النزال واشتباك الرماح فيستبدلون الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل.

ولو كان في الكوفة يومئذ رجل شريف غير أسرة قليلة ضمتهم أعماق السجون وضربت على أيدي آخرين القسوة الأموية لما بغوا عن آل الله بدلاً ولما وجدوا عنهم حولاً لكنهم أبوا كما هو لازم جبلتهم إلا أن يتسيطر عليهم ابن آكلة الأكباد يزيد الفجور ويتولى أمرهم مثل ابن مرجانة ولم يرقهم سبط نبي الهدى وابن سيد الأوصياء وفلذة كبد البتول الزهراء سيد شباب أهل الجنة.

وأي زنة تجمع بين سليل الهدى وبين عصارة المخازي والمنكرات وأي مقياس يؤلف بينهما.

وهل تقام للقوم حجة يعذرون بها عندما يوقفون للمحاكمة وقد دخل ابن مرجانة عليهم وحده بلا عدة ولا عدد ولم يملك

من الكوفة إلا موطئ قدمه وليس معه ثانٍ يسدد خطاه ولذا تزيّا بزي سيد الشهداء وتلثم كي لا يعرف فيقتل وكل من رآه حسبه أبي الضيم فيسلّمون على ابن الرسول ولو علموا أنه ابن مرجانة لنالوا منه وليتهم علموا وليتها كانت القاضية فكان من أوسع الأمور البطش به أو اعتقاله لكنهم لم يفعلوا.

ولما دخل القصر لاث به أناس يعدون بالأنامل وكان الفتك بهم لإخماد الفتنة أهون شيء للكوفيين فإنه ومن معه في القصر مقطوعون عن المدد والذين بايعوا مسلماً يزيدون على خمس وعشرين ألفاً.

أيعذر هذا الجمع المتراكم في تفككهم وتفرقهم ونكثهم البيعة التي أعطوها برغبة واختيار لمجرد تهديد الدعي ابن الدعي بجيوش الشام وهل كان في الشام جيش عتيد يساق إلى العراق والحالة الأموية قلقة وصفوهم متعكر بهلاك ابن هند وعدم الجدارة في ولي عهده فكان جو المملكة الأموية قاتماً ومراجل الأحقاد تغلي على بني عبد شمس فمن متخافت برفض يزيد إلى مهامس بلعنه إلى متجاهر بمناوأته ومظاهر عداء الناس تنجم وتخبو.

وفي كل من المدن والرساتيق مؤامرة حول الخلافة المنبوذة فهل كان ابن ميسون والحالة هذه يقدر أن يؤلب جيشاً يحوز الكفاءة لتدمير العراق.

هب أنه كان يتسنى له شيء من ذلك فهل يتصور وصول الجيش إلى العراق قبل أن يُمزّق ابن زياد في قصره تمزيقاً لو كانت النفوس متحفزة للحق ناهضة للدفاع عن الدين القويم.

ثم في أي وقت يصل ذلك الجيش الموهوم إلى العراق وفي وسع العراقيين عندئذ استلام الأمر للحسين عليه السلام قبله ولديهم مقانب وكتائب ممن بايع مسلم بن عقيل عليه السلام ولو أنهم فعلوا ذلك ووثبوا في وجه ابن زياد لازدلف إليهم من كان ينتظر العواقب ويتحفز للفتح والظفر وهناك من رواد المطامع أكثر فعندها يسوقون إلى عدوهم الألد جيشاً لهاماً فينتكث عليه الأمر وتنقلب الدائرة ويتم الأمر لداعية الحسين.

فهل في القوم من يعرف شيئاً من هذا أو أنهم طبع الله على قلوبهم فهم لا يعقلون وكيف فاتتهم هذه القضايا الطبيعية وراعتهم الأوهام وكلهم قد مارسوا الحرب وتعاورت عليهم السياسات عادلة وجائرة.

وهب أنه لم يكن معهم من قوة النفس وثبات الإيمان ما يكبح ذلك الجماح أو يدحر تلكم الشهوات فينصروا الإمام العادل عليه السلام أفلا كان في وسعهم التواني والتخاذل عن قتله كما كانوا يفعلونه مع أمير المؤمنين بعد منصرفه من صفين وقد عزم على النهضة الهامرة لمُلك ابن هند فكانوا يتفرقون عنه من هنا وهناك حتى وقف عليه السلام فيهم وقال:

فيا عجباً والله يميت القلب ويجلب الهم اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم وددت أني لم أعرفكم معرفة جرت ندماً، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً أفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراساً وأقدم فيها مقاماً مني، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها أنا ذا ذرفت على الستين[1].

ولعمر الحق لو لم تجد بنو أمية أنصاراً منهم لما تسنى لهم إبادة العترة الطاهرة فتألبوا على آل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ووثبوا عليهم وثبة الأعداء الألداء وفي مطاوي نياتهم أن لا يدعوا لهم نافخ ضرمة كأنهم قوم من الترك أو الديلم وكأن لم يكن لهم من الدين موطئ قدم فاستباحوا قتل الأطفال ولو نالوا من الشهامة نصيباً لما استباحوا سبي النساء من بلد إلى آخر وهن عقائل الوحي وحرائر النبوة ولو كانوا يملكون شيئاً من النخوة العربية لما استسهلوا تلكم المخازي التي تندى منها جبهة الإنسانية وتبرأ منها العاطفة البشرية لكنهم نبذوا الإسلام بما ارتكبوا، نبذوا دين العطف والغيرة نبذتهم العروبة، نبذتهم العادات والتقاليد فأهون بهم منبوذين لا يردهم شيء إلى المجد العربي ولا الشرف القومي

(١) نهج البلاغة: ج١، ص٧٧.

ولا الفخر الديني ولا أبعد الله غيرهم يوم كاتبوا الحسين واستنهضوه كاتبوا عدوه فأغروه به ألا لعنة الله على القوم الظالمين.

ابن سعد مع يزيد

لا مناص من الخضوع لناموس الوراثة الحاكم في الجملة بأن لنفسيات الآباء تأثيراً في الأبناء إما بتسربها إليهم مع الطبيعة المشتركة بين الفريقين أو بتمرين مما يترشح من أواني سلفهم المفعمة بالفضائل أو الرذائل من مفعولات تلكم الغرائز وبطبع الحال إن الناشئ يتخذ النواجم من ضرائب سلفه سنّة متبعة اللهم إلا أن يكبح ذلك الجماح ما تتأثر به الأبناء بواسطة الكسبيات وهذا على خلاف ذلك الناموس.

وعلى هذا فهلم معي إلى عمر بن سعد الذي لم يعرف من أبيه غير المناوأة لأهل هذا البيت عليهم السلام والحسد لهم وكان أخف ما نجم من بغضاء سعد بن أبي وقاص قعوده عن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل وهو الإمام المفروض طاعته بعد اجتماع الأمة عليه وقالوا له لا يصلح لإمامة المسلمين سواك ولا نجد أحداً يقوم بها غيرك وهو ممتنع عليهم أشد الامتناع حتى تداكوا عليه لا يرون أحداً صالحاً سواه فلما رأى حرصهم عليها بسط

يده للبيعة فتمت بيعة المهاجرين والأنصار ولم تكن بيعته مقصورة على واحد أو اثنين أو ثلاثة كبيعة أبي بكر وإمامة عمر الثابتة بأبي بكر وحده وتمت البيعة لعثمان في الحقيقة بابن عوف.

ولما عاتبه أمير المؤمنين عليه السلام تظاهر سعد بالشك في الجهاد معه وقال: إني أكره الخروج في هذا الحرب فأُصيب مؤمناً فإن أعطيتني سيفاً يعرف المؤمن من الكافر قاتلت معك[١].

وهذا أعجب شيء منه وقد شاهد من فضل أبي الريحانتين الكثير وسمع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حقه أكثر ألم يكن هو القائل: إني سمعت رسول الله يقول لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى[٢] إلا أنه لا نبي بعدي ثم وضع إصبعيه على أذنيه وقال: إني سمعته يقول ذلك وإلا استكّتا[٣].

ولما قال له معاوية ما يمنعك أن تسب أبا تراب قال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من أن يكون لي حمر النعم فلن أسبّه سمعت رسول الله يقول وقد خلفه في بعض المغازي فقال له علي يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون

---

(١) الجمل للشيخ المفيد: ص٢٩، طبع النجف ثاني.
(٢) صحيح البخاري: ج٢، ص٢٥٩.
(٣) صحيح مسلم: ج٢، ص٣٢٣.

من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي وسمعته يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاولنا لها فقال ادعوا لي علياً فأتاه وبه رمد فبصق في عينيه ودفع إليه الراية ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ فدعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال اللهم هؤلاء أهلي[١].

ولما عاتبه معاوية على ترك القتال معه في صفين قال له أتأمرني أن أقاتل رجلاً قال له رسول الله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، فقال معاوية من سمع هذا معك فقال سعد سمعه فلان وفلان وأم سلمة قال معاوية: لو كنت سمعت هذا لما قاتلته[٢].

ولا شك فيما لأمير المؤمنين من السوابق والفضائل والمواقف والتأهل للخلافة كما لا ريب في ثبوت البيعة له باختيار من الأمة وأن الخارج على الإمام العادل باغٍ يجب قتله وقد اعترف أبو بكر الجصاص المتوفى سنة ٣٧٠ بأن علياً عليه السلام كان محقاً في قتاله الفئة الباغية ولم يخالف فيه أحد[٣].

---

(١) الإصابة لابن حجر: ج٢، ص٥٠٩.
(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج١، ص٢٠١.
(٣) أحكام القرآن: ج٣، ص٤٩٢.

وقال أبو بكر ابن العربي الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٦ إن علياً كان إماماً لأنهم اجتمعوا عليه ولم يمكنه ترك الناس لأنه كان أحق الناس بالبيعة فقبلها حوطة على الأمة وأن لا تسفك دماؤها بالتهارج ويتخرق الأمر وربما تغير الدين وانقض عمود الإسلام وطلب أهل الشام منه التمكين من قتلة عثمان فقال لهم علي ادخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا إليه وكان علي أسدّهم رأياً وأصوبهم قولاً لأنه لو تعاطى القود لتعصبت لهم قبائلهم فتكون حرباً ثالثة فانتظر بهم أن يستوثق الأمر وتنعقد البيعة العامة ثم ينظر في مجلس الحكم ويجري القضاء ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة.

وحينئذ فكل من خرج على علي عليه السلام باغٍ وقتال الباغي واجب حتى يفيء إلى الحق وينقاد إلى الصلح وإن قتاله لأهل الشام الذين أبوا الدخول في البيعة وأهل الجمل والنهروان الذين خلعوا بيعته حق وكان حق الجميع أن يصلوا إليه ويجلسوا بين يديه ويطالبوه بما رأوا فلما تركوا ذلك بأجمعهم صاروا بُغاة فتناولهم قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾.

ولقد عتب معاوية على سعد بن أبي وقاص بعدم مشاركته له في قتال علي عليه السلام، فرد عليه سعد بأني ندمت على تأخري عن قتال الفئة الباغية يعني بها معاوية ومن تابعه[1].

---

(١) أحكام القرآن: ج٢، ص٢٢٤.

وحكى الألوسي عن الحاكم والبيهقي أن عبدالله بن عمر يقول: ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت من نفسي من هذه الآية ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾ الآية. حيث إني لم أُقاتل الفئة الباغية يعني معاوية ومن معه من الباغين على علي عليه السلام.

ولم يتعقبه الألوسي بشيء وزاد بتصريح بعض الحنابلة بوجوب قتال الباغين احتجاجاً بأن علياً اشتغل في زمان خلافته بقتال الباغين دون الجهاد فهو إذاً أفضل من الجهاد[1].

وما أدري بماذا يعتذر سعد مع ذلك التصريح منه لمعاوية بأنه باغٍ ولم ينهض مع خليفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لجهاد من يبغي في دين الله عوجاً وكيف تفوّه بطلب السيف العارف بالمؤمن من الكافر ولم يطلبه من الشيخين في قتالهم أهل الردة وكان موافقاً لهما على ذلك مع أن أهل الردة لم يمتنعوا من أداء الزكاة إلا بشبهة الدفع لمن أقامه النبي خليفة على المسلمين يوم الغدير ولم يخلعوا يداً عن طاعة ولا فارقوا جماعة المسلمين لولا أن قتالهم أمر دبّر بليل.

فأين كانت جلبة سعد وضوضاء أسامة وتزفّر ابن عمر من قتل علي عليه السلام لأهل الجمل أيام تفريط خالد في أولئك المسلمين الذين لم يتركوا الشهادتين حتى آخر نفس لفظوه وكما كان

---

(١) تفسير روح المعاني: ج٢٦، ص١٥١.

لأصحاب الجمل عند هؤلاء عذر في الخروج على سيد الوصيين يكون لأولئك الذين أطلقت عليهم الردة عذر في الامتناع عن أداء الزكاة أهل كان الحكم بقتال المرتدين مقصوراً على خصوص من خالف أبا بكر أم هو عام لكل من تمت له البيعة؟

نعم الحسد من جهة وعدم الرضوخ إلى الحق من جهة أُخرى لم يدعا لسعد وأمثاله طريقاً في الخضوع لأمير المؤمنين عليه السلام (وإنما متسافل الدرجات يحسد من علا).

لقد كان سعد ممن يشمخ أنفه بالفخفخة الباطلة والمجد الكاذب ويرى نفسه في أشراف الصحابة وإذا قايسها مع أخي الرسول وجده أطهر منه نسباً وأعلى حسباً وأغزر علماً وأثبت في المواقف وأشجع في الهزاهز وأقوى حجة وأشرف نفساً إلى أن تنتهي حلقات الفضل ولأمير المؤمنين بقايا غير محصورة ينبو عنها الحساب.

فكان في رضوخه لأبي الحسن عليه السلام خضوع إلى هاتيك المآثر وظهور لنقصه فيها ولطموح نفسه إلى التعالي ولم يكن عنده من التقوى ما يكبح عامل الكبرياء ليستسهل البخوع للمجد العلوي وإن أضرّ ذلك بدينه وأرداه في آخرته فإن العصبية أعشت بصره والنخوة الجاهلية تحكمت بين أحشائه والحسد المحتدم بصدره ألقاه في مدحرة الهلكة وحفزه إلى مكامن البغضاء وإن تستّر بظواهر الإسلام وتعاليمه.

يشهد لذلك سؤاله أمير المؤمنين عليه السلام لما سمعه يقول في خطابه: سلوني قبل أن تفقدوني فوالله ما تسألوني عن شيء مضى ولا عن شيء يكون إلا أنبأتكم به.

فقام إليه سعد وقال: يا أمير المؤمنين أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة، فقال عليه السلام: لقد سألتني عن مسألة حدثني عنها خليلي رسول الله أنك ستسألني عنها وما في لحيتك ورأسك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس وإن في بيتك لسخلاً يقتل ولدي الحسين، وعمر يدرج بين يدي أبيه[١].

وهذا منه سؤال مستهزئ لا مستفهم ظن في ذلك أن يفحم الإمام لأن الجواب الحقيقي يعوزه البرهان فإن أمير المؤمنين لو عين عدداً فأي أحد يمكنه عدّ الشعرات ولا يرمى بالخطأ وحيث وضح لأبي الحسن عليه السلام الواقف على ضمائر العباد ما أضمره سعد عدل إلى ما فيه خزي لذلك المتعنت اللدود وقد بقي وصمة عليه إلى آخر الأبد فحكى له حديث الرسول.

فهذا الذي عرفناه من نفسيات سعد وبوائقه يسير من كثير ولو أردنا الاستقصاء لأريناك غرائب.

إذاً فليس من البدع إذا قام ابنه عمر بهاتيك المظاهر الذميمة

---

(١) كامل الزيارة لابن قولويه من أعيان القرن الثالث: ص٧٤.

فوأد الحق ونصر الباطل وأجهز على بقايا الرسالة وشظايا النبوة إلى مخازٍ لا تحصى مع القسوة التي يمجها الطبع البشري وتتذمر منها الإنسانية فأعقبها سبّة خالدة وشية من العار سجلها له الدهر منذ خيانته مسلم بن عقيل إلى مشهد الطف إلى ما بعده حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وإلى هذه القضايا الطبيعية كان يوعز أمير المؤمنين بعلمه المستقى من بحر النبوة فيقول: إن في بيتك لسخلاً يقتل ابني الحسين.

وإذا كان سعد يستهزئ بسيد الوصيين فلقد استهزأ ابنه عمر بسيد شباب أهل الجنة يوم اجتمع به قبل اشتباك الحرب وقال له: أي عمر أتقاتلني أما تتقي الله الذي إليه معادك فأنا ابن من علمت ألا تكون معي وتدع هؤلاء فإنه أقرب إلى الله تعالى، فاعتذر ابن سعد بمعاذير لا ترضي الخالق تعالى قال (أولاً) أخاف أن تُهدم داري، قال الحسين: أنا أبنيها لك، و(ثانياً) أخاف أن تؤخذ ضيعتي، قال عليه السلام: أُخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز[1] ويروى أنه قال له أعطيك البغيبغة وكانت عيناً عظيمة فيها نخل وزرع كثير دفع فيها معاوية ألف ألف دينار فلم يبعها منه[2] و(ثالثاً) أخاف من ابن زياد أن يقتل أولادي.

---

(١) مقتل العوالم: ص٧٨.

(٢) تظلم الزهراء: ص١٠٣.

ولما أيس منه أبو عبدالله قام من عنده وهو يقول: ما لك ذبحك الله على فراشك عاجلاً ولا غفر لك يوم حشرك فوالله إني لأرجو أن لا تأكل من بر العراق إلا اليسير.

فقال ابن سعد مستهزئاً: في الشعير كفاية[١].

إن المواعظ لا تفيد بمعشر صموا عن النبأ العظيم كما عموا

إنك يا سيد الشهداء أبصر بهذا الطاغي وأنه يعشو عن الحق لدناءة حسبه وضآلة مروءته وضعف دينه وبعده عن الصراط السوي وانغماره في الشهوات لكنك ابن من تحمّل الأذى ولاقى المتاعب في سبيل إنقاذ الأمة وانتشالها من موج الضلال فلم ترد بتلك النصائح وإدلاء الحجج وضرب الأمثال إلا إتمام الحجة ولم تبقِ له مسرحاً يلتوي إليه ولا منتكصاً يتحرج منه حتى أتممت عليه كلمة العذاب وقطعت عنه المعاذير يوم تنشر الصحف وتنصب الموازين.

وإذا كان أبوه سعد لم يستضئ بنور النبوة ولا استفاد من تعاليمه ما يقربه إلى الحق فيتباعد عن وصي النبي مع ما يعلمه من الحق الثابت له فجدير بابنه إذا بات ليلته مفكراً في النصائح التي أُلقيت إليه ممن يمحضه الود ولا يرديه في باطل فجار عن الطريق

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي بترجمة عمر بن سعد.

الواضح واختار الدنيا على الآخرة فإن (الشجرة المرّة لا تنبت إلا مراً) والذي خبث لا يخرج إلا نكداً وهل ترجى الهداية منه بعد قوله[١]:

أأتركُ ملك الري والري رغبتي أم أرجع مذموماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها حجاب ومُلك الري قرة عيني

وبعد هذا فهل يعجب القارئ ويستغرب من كتابة عمر بن سعد إلى يزيد بن معاوية بخبر مسلم بن عقيل واجتماع الناس عليه وتوقف النعمان بن بشير عن محاربته[٢] وكان محرضاً له على تدارك الأمر لئلا ينتكث فقتله.

ولقد تحققت فيه كلمة سيد الشهداء (لا تأكل من بر العراق إلا يسيراً) فإنه رجع من كربلا صفر الكف خالي الوطاب من الزلفى وهل أحد أخسر صفقة منه حين دعاه ابن زياد وطلب منه العهد بولاية الري فاعتذر بضياعه فلم يقبل منه وألحّ عليه قال إني تركته يُقرأ على عجائز قريش اعتذاراً منهن أما والله لقد نصحتك في الحسين نصيحة لو نصحتها أبي سعداً لكنت قد أديت حقه[٣] وبقي في الكوفة خاسراً ربح السلطان والفوز بجوار المصطفى

---

(١) ابن الأثير: ج٤، ص٢٢.
(٢) الطبري: ج٦، ص١٩٩.
(٣) المصدر: ص٢٦٨.

حتى قتله المختار شر قتلة في ذي الحجة سنة ست وستين ومعه ابنه حفص[١] ولعذاب الله أشد.

لفت نظر

تقدم في حديث ابن قولويه أن سعد بن أبي وقاص اعترض على أمير المؤمنين لما قال سلوني إلخ، ورواه الصدوق في الأمالي ص ٨١ مجلس ٢٨ والاستبعاد بأن سعداً لم يرد الكوفة موقوف على أن يكون هذا الخطاب بالكوفة ولم تقم قرينة على أن أمير المؤمنين لم يقل سلوني إلا في الكوفة إذ من المحتمل أن يكون ذلك الاعتراض بعد خطبته عليه السلام بالمدينة إما في أيام خلافته أو في أيام خلافة من تقدمه ويؤيد تكرر هذا القول منه عليه السلام حديث عباية الأسدي كان أمير المؤمنين علي كثيراً ما يقول سلوني قبل أن تفقدوني إلخ[٢].

ولعل حديث ابن قولويه: وكان عمر يدرج بين يديه يؤكد هذا الاحتمال أعني وقوع الخطاب والاعتراض في المدينة فإنه على هذا يكون عمر صغيراً حتى على القول بولادته أيام النبي واحتمال بعض العلماء أن تعيين الأب والابن في حديث ابن قولويه والصدوق من الراوي للمغروسية في الأذهان بأن عمر بن

---

(١) تاريخ أبي الفدا: ج١، ص١٩٥.

(٢) أمالي ابن الشيخ الطوسي: ص٣٧.

سعد قاتل الحسين فعين الأب والابن باجتهاده وحسبه الآخر رواية فدوّنها ورواها . . .

مبني على حصر الخطاب في الكوفة وليس له شاهد في الحديث والتاريخ ومما يشهد لتعدد الواقعة ما يروى أن تميم بن أسامة بن زهير بن دريد التميمي اعترض على أمير المؤمنين لما سمعه يقول سلوني إلخ فأخبره عليه السلام بأن في بيته سخلاً يقتل الحسين وكان ابنه الحصين طفلاً صغيراً يرضع اللبن وعاش إلى أن صار على شرطة عبيدالله بن زياد وأخرجه إلى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين ويتوعده إن أخَّر[١].

وهناك رواية ثالثة تشهد بأن المعترض هو أنس النخعي فقال عليه السلام وإن في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله وكان ابنه سنان قاتل الحسين وهو يومئذ طفل يحبو.

وهذه الروايات الحاكية لتعدد المعترض تدل على تعدد الخطاب من أمير المؤمنين فليس من البعيد أن يكون سعد في جملة هؤلاء.

وكيف كان فقد جاء في منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد: ج٥، ص ١١٣، وتذكرة الخواص ص ١٤١، وابن الأثير

---

(١) نهج البلاغة: ج٢، ص٥٠٨.

في الكامل: ج٤، ص ٩٤ ومثير الأحزان لابن نما: ص ٢٥، أنّ أمير المؤمنين لقي عمر بن سعد وقال كيف بك يابن سعد إذا قمت مقاماً تخير فيه بين الجنة والنار فتختار النار ويزيد ابن الأثير أن عبدالله بن شريك يقول: أدركت أصحاب الأردية المعلّمة وأصحاب البرانس السود إذا مرّ بهم عمر بن سعد قالوا هذا قاتل الحسين وذلك قبل أن يقتله.

وكان عمر يقول للحسين يزعم السفهاء أني أقتلك فقال الحسين ليسوا بسفهاء[١].

وكانت ولادة عمر إما في أيام النبيﷺ كما ارتآه ابن عساكر لرواية ابن اسحاق أن أباه سعداً أرسل إلى الجزيرة جيشاً كان معهم ولده عمر وذلك في سنة ١٩ واختار ابن معين أن عمر بن سعد كان غلاماً حدث السن سنة موت عمر بن الخطاب لحديث سيف أن سعداً تزوج يسرى بنت قيس بن أبي الكتم من كندة أيام الردة فولدت له عمر[٢] وفي الرياض النضرة أمه بنت قيس بن معديكرب.

---

(١) تهذيب التهذيب: ج٧، ص٤٥١.

(٢) الإصابة: ج٣، ص١٨٤.

في بيت هاني

كان هاني بن عروة بن نمران بن عمرو بن قعاص بن عبد يغوث بن مخدش بن عصر بن غنم بن مالك بن عوف بن منبه بن عطيف المرادي العطيفي[١] من أشراف الكوفة[٢] وقرائها[٣] وله منزلة في المصر ولبيته في العشيرة منعة[٤] وله الزعامة الكبرى في مراد يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل فإذا تلاها أحلافها من كندة ركب في ثلاثين ألفاً[٥] ولازم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فاستفاد منه آداباً[٦] وحضر معه في حروبه الثلاثة وأبلى بلاءً حسناً[٧] وفي يوم الجمل كان يرتجز:

---

(١) الإصابة بترجمة عروة المرادي.
(٢) الأخبار الطوال: ص٢٣٥.
(٣) الأغاني: ج١٤، ص٩٥.
(٤) الطبري: ج٦، ص٢١٣.
(٥) مروج الذهب: ج٢، ص٨٩.
(٦) تاريخ ابن عساكر.
(٧) ذخيرة الدارين: ص٢٧٨.

يا لك حرب حشها جمالها قائدة ينقصها ضلالها
هذا علي حوله أقيالها[١]

وأدرك النبي[٢] وله يوم قتله بضع وتسعون سنة[٣].

ولسيدنا بحر العلوم الطباطبائي كلام ضافٍ في ترجمته في (رجاله) وقد أغرق نزعاً في إثبات جلالته والدفاع عنه والجواب عما قيل فيه وتابعه على رأيه السديد السيد المحقق الأعرجي في (عدة الرجال) وكل من تعرض له من علماء الرجال ذكره مترحماً ومترضياً عليه وبالغ شيخنا الحجة الشيخ عبدالله المامقاني في (تنقيح المقال) بترجمته في مدحه والثناء عليه ووافقه المحقق الشيخ عباس القمي في نفس المهموم: ص ٦٢.

وذكر محمد بن المشهدي من أعيان القرن السادس والشريف النقيب رضي الدين ابن طاووس في مزاريهما زيارة خاصة تزار في مشهده وفيها وصفه (بالعبد الصالح الناصح لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام والشهادة بأنه قتل مظلوماً وأنه لقي الله تعالى وهو راضٍ عنه بما فعل ونصح وأنه بلغ درجة الشهداء السعداء بما نصح لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم مجتهداً وبذل

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج١، ص٦١٤.
(٢) الإصابة بترجمة هاني.
(٣) الإصابة لابن حجر بترجمته.

نفسه في ذات الله ومرضاته ثم الترحم عليه).

ثم ذكرا بعد الزيارة صلاتها ودعاء الوداع وزاد ابن المشهدي (تقبيل القبر).

وحيث إنهما ذكرا في مزاريهما أن ما أودعاه في كتابيهما على الوجه الذي ظهر لهما من الروايات يتجلى لنا أن هاتيك الآداب مأثورة عن أهل بيت العصمة وجلالة هذين العلمين تفيدنا القطع بعثورهما على أثر حاكم بذلك العمل الخاص حتى لو لم ينصّا في الكتاب على ما حصل لديهما من جهة الرواية وإلا لتسرّب إلى نقلهما شبهة البدعة في الدين وهؤلاء الأعلام في المذهب لا يتورطون في البدعة التي لا تقال عثرتها إذاً ففي قولهما الحجة البالغة.

ولو سلمنا عدم الورود فلا أقل من أن يكون كلامهما في حقه كشهادة من تقدم من علماء الرجال من أن الرجل متحلٍّ بتلكم الفضائل ولو كانت لهما كتب في الرجال لاتخذها العلماء من الأصول المسلَّمة التي يعوّل عليها في هذا العلم إذ لم يقصر قولهما عن سائر الكتب في تمييز الرجال وبيان الممدوح والثقة منهم كما أن قولهما في غير هذا العلم حجة قوية يركن إليه ويستشهد به.

ثم يكفينا في القناعة بفضل الرجل وجلالة مقامه عند آل

الرسول ترحم سيد الشهداء عليه فإنه عليه السلام لما نزل (الثعلبية) ممسياً أُخبر بقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وأنهما سُحبا من أرجلهما في الأسواق قال عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون رحمة الله عليهما ردد ذلك مراراً[١].

وإذا كان ترحم الإمام الحجة الواقف على نفسيات الرجال ومقادير أعمالهم على شخص يعدّ تزكية له وشهادة منه في نزاهته وطهارته وأنه مضى محمود الطريقة متبعاً للحنيفية البيضاء فأي رجل مثل هاني بن عروة يقرنه سيد شباب أهل الجنة بنائبه الخاص وخليفته في ذلك المصر المثبت له في صك الولاية شرف الأخوّة له والوثاقة في الأمور وأنه مفضل عنده من أهل بيته ويترحم عليه كما ترحم على ابن عمه وداعيته.

إن هذا الترحم من أبي عبدالله الحسين عليه السلام وشهادة أولئك الأعلام تنم عن أن (ابن عروة) كان على أرفع منصة من الإيمان ومن الراسخين في ولاء العترة الطاهرة وأنّ ما قام به من إتمام البيعة لمسلم عليه السلام في داره وجمع العتاد والأخذ بالتدابير اللازمة لحافز ديني وإيمان بأجر الرسالة المرغوب فيه لسيد النبيين وخاتم الرُسل أجمع.

ولم يزل يلاقي في ذلك المحن والكوارث حتى أُودي به

---

(١) الطبري: ج٦، ص٢٢٥.

شهيداً في سبيل نصرة ابن عم رسول الله وهو الذي شارك شريكاً الأعور في التدبير لقمع جذور الفساد بقتل الدعي ابن مرجانة لكن القدر حال دون ما يريدون.

ومن أمعن النظر في سيرته من كتب التواريخ والمقاتل ولا سيما في رجال آية الله السيد بحر العلوم الطباطبائي يزداد بصيرة في ما قلناه وهناك تعرف أن ما تشدق به ابن أبي الحديد من حكاية أخذه البيعة ليزيد من الأقاصيص التي لا نعرف سندها ولا من جاء بها أراد به تشويه مقام هذا الرجل العظيم الناصح لأهل البيت حتى آخر نفس لفظه ومما يزيد في وهنه إعراض أرباب الفن من المنقبين في الآثار عن ذلك والقصة بمرأى منهم.

وكان السبب في انتقال مسلم إلى داره أنه لما بلغه خطبة ابن زياد ووعيده وظهر له حال الناس وفرقهم من ابن زياد خاف أن يؤخذ غيلة فخرج من دار المختار بعد العتمة إلى هذا الزعيم الكبير لعلمه بمكانته في المصر وشرفه في العشيرة وأنه مهاب الجانب أكثر من المختار مع ولائه الصميم وعقيدته الراسخة ونصرته الصادقة فلاقاه هاني بكل ترحيب وعلم أن تشريف ابن عقيل محله يعود عليه بأسمى السعادتين إما حياة مع ابن المصطفى أو شهادة طيبة ودرجات عالية مع النبي الأقدس.

وستعرف في الفصل الآتي من حفظ الجوار المراد من قوله لابن مرجانة آتيك بضيفي وجاري إلخ.

ونزل مع مسلم في دار هاني شريك[١] بن عبد الله[٢] الأعور الحارثي الهمداني البصري وكان من كبار شيعة علي عليه السلام بالبصرة جليل القدر في أصحابنا[٣] شهد معه صفين وقاتل مع عمار بن ياسر[٤] ولشرفه وجاهه ولاه معاوية كرمان[٥] وكانت له مواصلة مع هاني.

ولشريك محاورة مع معاوية تنم عن قوة جنان وذرب لسان وأن المال مهما تكثر من معاوية لا يغويه فيخضع له. دخل على معاوية وكان دميماً فقال له معاوية إنك لدميم والجميل خير من الدميم وإنك لشريك وليس لله شريك وإنك لأعور والصحيح خير من الأعور فكيف سدت قومك.

فقال له شريك: وإنك لمعاوية وما معاوية إلا كلبة عوت

---

(١) الإصابة بترجمة هاني.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ج٤، قسم ثانٍ.

(٣) مثير الأحزان لابن نما: ص١٤.

(٤) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٠٣.

(٥) النجوم الزاهرة لابن تغربردي: ج١، ص١٥٣، وابن الأثير: ج٣، ص٢٠٦، والأغاني: ج١٧، ص٧٠.

فاستعوت لها الكلاب وإنك ابن حرب والسلم خير من الحرب وإنك ابن صخر والسهل خير من الصخر وإنك ابن أمية وما أمية إلا أمة صغرت فكيف صرت أمير المؤمنين وخرج وهو يقول[١]:

أيشتمني معاوية بن حرب وسيفي صارم ومعي لساني
وحولي من بني يزن ليوث ضراغمة تهشّ إلى الطعان
يعيّر بالدمامة من سفاه وربات الخدور من الغواني
ذوات الحُسن والرئبال جهم شتيم وجهه ماضي الجنان

(١) ربيع الأبرار للزمخشري في باب الأجوبة المسكتة.

١٧٠ ..... الشهيد مسلم بن عقيل

مسلم لا يغدر

الفتك من الغدر ولا يوصم به مؤمن يعرف أن شريعة الإسلام جاءت لتحلية النفوس بالفضائل وتخليتها عن الرذائل ولم يرد الشارع المقدس لمن اعتنق دينه القويم إلا أن يكونوا في الغارب والسنام من كل فضيلة رابية فيسلكوا سبل السلام في أعراق طاهرة ومآزر عفة وقلوب نزيهة وجوارح مؤدبة بآداب الله تعالى وجوانح ممرّنة بالقداسة.

وجاء في وصية رسول الله لأمير المؤمنين: إياك والغدر بعهد الله والإخفار لذمته فإن الله جعل عهده وذمته أماناً أمضاه بين العباد برحمته والصبر على ضيق ترجو انفراجه خير من غدر تخاف أوزاره وتبعاته وسوء عاقبته[١] فإن كل غادر يأتي يوم القيامة مائلاً شدقه[٢] وله لواء يعرف به فيقال هذه غدرة فلان[٣].

---

(١) دعائم الإسلام للقاضي نعمان المصري.

(٢) الوسائل: ج٢، ص٤٢٥، عين الدولة.

(٣) نهاية الأرب للنويري: ج٣، ص٣٧١.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: الوفاء توأم الصدق ولا أعلم جُنة أوفى منه وما يغدر من علم كيف المرجع ولقد أصبحنا في زمان اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً ونسبهم أهل الجهل إلى حُسن الحيلة ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي العين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين[١].

وقال على منبر الكوفة: أيها الناس لولا كراهية الغدر لكنت أدهى الناس ألا إن لكل غدرة فجرة ولكل فجرة كفرة ألا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار[٢].

والغدر لا يأتلف مع شيء من المآثر الفاضلة لأنه ينم عن خسة في الطبع ودناءة في العنصر وعدم المبالاة بالنواميس الدينية والبخس لحقوق المسلمين ويشب منه تفريق الكلمة وملاشاة الألفة واحتدام البغضاء.

وإن الشريعة المطهرة حاولت ببيانها الأوفى بث روح التحابب بين الجامعة البشرية والغادر يبغضه كل من مسه غدره وكل من عرف شيئاً من ذلك وكلما اتسعت الدائرة بمرور الزمن ازداد التباغض واشتدت عوامله.

---

(١) شرح النهج: ج١، ص٢١٦.
(٢) الوسائل: ج٢، ص٢٤٥.

ومن هنا ضربوا المثل بغدرة آل الأشعث وقالوا أعرق العرب في الغدر آل الأشعث فإن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث غدر بأهل سجستان وغدر أبوه محمد بأهل طبرستان فإنه عقد بينهم وبينه عهداً فغزاهم فأخذوا عليه الشعاب وقتلوا ابنه أبا بكر وفضحوه وغدر الأشعث ببني الحارث بن كعب وكان بينه وبينهم عهد فغزاهم وأسروه ففدى نفسه بمائتي قلوص فأدى مائة وعجز عن البقية ولما أسلم أهدره الإسلام وغدر قيس أبو الأشعث ببني مراد فإنه كان بينه وبينهم عهد إلى أجل وآخره يوم الجمعة فغزاهم يوم الجمعة قالوا له لم ينتهِ الأجل فكان جوابه أنه لا يحل لي القتال يوم السبت لأنه يهودي فقتلوه وهزموا جيشه وغدر معديكرب أبو قيس ببني مهرة وقد كان بينهم صلح فغزاهم غادراً بالعهد فقتلوه وشقوا بطنه وملأوه حصى وقالوا: اشبع لا شبعت يابن بغايا ضريه[١].

فالغدر ضامن العثرة قاطع ليد النصرة والغالب بالغدر مغلول ولا عذر لغادر وفي ذلك يقول الشاعر[٢]:

أخلق بمن رضي الخيانة شيمة ألّا يُرى إلا صريع حوادث

---

(١) المحبر لابن حبيب النسابة: ص٢٤٤، وشرح الصفدي على لامية العجم: ج٢، ص٢٠١، ونهاية الأرب للنويري: ج٣، ص٣٧٣.

(٢) نهاية الأرب للنويري: ج٣، ص٣٧٢.

ما زالت الإرزاء تلحق بؤسها أبداً بغادر ذمة أو ناكث

وكانت العرب تنصب الألوية في الأسواق الحافلة بالناس للتعريف بغدرة الغادر فتشهره ليتجنبه الناس[١].

وغدرة خالد بن الوليد ببني جذيمة أعقبت ندماً وجرت له الخزي حين تبرأ النبي من فعلته وغدرته وذلك أنه صلى الله عليه وآله أرسله لهم داعياً لا مقاتلاً وكانت بينه وبينهم إحنة فإنهم في الجاهلية قتلوا عمه الفاكه فلما نزل على ماء لهم أخذوا السلام فرقاً منه فصاح بهم ضعوا السلاح فإن الناس أسلموا فلما وضعوا السلاح آمنين من غدر المسلم أمر جماعته فكتفوهم وقتل منهم مقتلة عظيمة فلما بلغ رسول الله هذا المنكر ساءه ورفع يديه مبتهلاً إلى الله تعالى: اللهم إني أبرأ إليك من فعل خالد، ثم أرسل أمير المؤمنين علياً عليه السلام ومعه مال ليودي بني جذيمة حتى ميلغة الكلب[٢].

على أن الغادر لا يرى للنفوس والأموال والأعراض المحترمة شرعاً حرمة فمتى ثارت فيه هذه الخصلة الخسيسة يكون

---

(١) شرح الصفدي على لامية العجم: ج٢، ص٢٠١.

(٢) صحيح البخاري: ج٣، ص٤٧، في كتاب المغازي والاستيعاب بترجمة خالد وتاريخ الطبري: ج٣، ص١٢٣، وكامل ابن الأثير: ج٢، ص٩٧ حوادث سنة ٨.

من السهل عليه وأد النفوس ونهب الأموال والنيل من الأعراض وكله نقض لغرض المولى سبحانه فقد شاء لعباده أن يكونوا متحابين ليقيموا عمد الحق ويرفعوا راية الهدى ويتم بهم الاجتماع والتعاون على مناجح الحياة من غير منافرة بينهم وما ذكرناه من تبعات الغدر أعني النفاق والمباغتة والاغتيال لا يخلو من وصمة على المجتمع البشري كما يوجب منقصة في مروءة الغادر ودرن ردائه والغمز في حسبه.

وهذا في أمراء المسلمين وولاة أمرهم أشد من غيرهم لكونهم مرموقين في النفسيات الحميدة قبل أفراد الرعية وإن الأمم تحتج بملكات ولاتهم وغرائزهم وأعمالهم ويكون ما يتصفون به من نواميس المذهب حجة لازمة فإذا تخلوا الأمراء عن هذه الملكات عاد الطعن على المبدأ الديني فالواجب على أمير المسلمين ووالي شؤونهم أن يثابر على الشدائد مهما بلغت ويقاسي النكبات وإن تراكمت ولا يغدر ولا يفتك ليكون ذكره بريئاً من كل وصمة.

على أن ولاة الأمور حيث كانوا قدوة لجيلهم يكونون أسوة لمن يأتي بعدهم فيعرف الناس في المستقبل الكشاف الذي يميط الستار عن نواياهم الحسنة وأعمالهم الصالحة ومساعيهم المشكورة فاللازم على الوالي أن يرتكب خطة تسير على أثره الرعية في غاياتهم المرموقة.

وإذا وضح هذا فلا يرتاب أحد في غاية مسلم بن عقيل عليه السلام في جوابه لشريك لمّا لم يقتل ابن زياد.

وذلك أن شريك بن الأعور نزل في دار هاني بن عروة لمواصلة بينهما ولما مرض أرسل إليه ابن زياد إني عائد لك فأخذ شريك يحرض مسلم بن عقيل على الفتك بابن زياد وقال له: إن غايتك وغاية شيعتك هلاكه فأقم في الخزانة حتى إذا اطمأن عندي اخرج إليه واقتله وأنا أكفيك أمره بالكوفة مع العافية[١].

وبينا هم على هذا إذ قيل: الأمير على الباب، فدخل مسلم الخزانة ودخل عبيدالله فلما استبطأ شريك خروج مسلم أخذ عمامته من على رأسه ووضعها على الأرض ثم وضعها على رأسه فعل ذلك مراراً ونادى بصوت عال يسمع مسلماً:

مالإنتظار بسلمى لا تحيّوها حيوا سليمى وحيّوا من يحيّيها
هل شربة عذبة أُسقى على ظمأٍ ولو تلفت وكانت منيتي فيها
وإن تخشيت من سلمى مراقبة فلست تأمن يوماً من دواهيها

وما زال يكرره[٢] وعينه رامقة إلى الخزانة ثم صاح بصوت رفيع اسقونيها ولو كان فيها حتفي فالتفت عبيد الله إلى هاني وقال إن ابن عمك يخلط في علته فقال هاني إن شريكاً يهجر منذ وقع

---

(١) مثير الأحزان: ص١٤.
(٢) رياض المصائب: ص٦٠.

في علته وإنه ليتكلم بما لا يعلم[١] فلما ذهب ابن زياد وخرج مسلم قال له شريك: ما منعك منه؟ قال عليه السلام: منعني خلتان الأولى حديث علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الإيمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن[٢] والثانية امرأة هاني فإنها تعلقت بي وأقسمت علي بالله أن لا أفعل هذا في دارها وبكت في وجهي، فقال هاني: يا ويلها قتلتني وقتلت نفسها والذي فرت منه وقعت فيه[٣].

ولبث شريك بعد ذلك ثلاثة أيام ومات فصلى عليه ابن زياد ودفن بالثوية[٤].

---

(١) ابن نما: ص١٤.

(٢) الطبري: ج٦، ص٢٠٤، وابن الأثير: ج٤، ص١١، والأخبار الطوال: ص٢٣٦ ـ وهذا الحديث تكرر ذكره في الجوامع رواه أحمد بن حنبل في المسند: ج١، ص١٦٦، وفي منتخب كنز العمال بهامش المسند لأحمد: ج١، ص٥٧، والجامع الصغير للسيوطي: ج١، ص١٢٣، وكنوز الحقائق بهامشه: ج١، ص٩٥، ونص عليه من علمائنا ابن شهر آشوب في المناقب: ج٢، ص٣١٨، والبحار في معاجز الصادق: ج١١، وفي وقائع الأيام عن الشهاب في الحكم والآداب.

(٣) مثير الأحزان لابن نما: ص١٤.

(٤) في المعجم مما استعجم: ج١، ص٣٥٠، الثوية موضع وراء الحيرة كان سجناً بناه تبع وفي معجم البلدان: ج١، ص٢٨، كان النعمان يحبس فيه فيقال للمحبوس ثوى فسمي الموضع به وهو قريب من الكوفة ودفن فيه =

ولما وضح لابن زياد أن شريكاً يحرّض على قتله قال والله لا أُصلي على جنازة عراقي أبداً ولولا أن قبر زياد فيهم لنبشت شريكاً[١].

إن القارئ جد عليم بأن الأمة إذا بلغها عن ممثل سيد الشهداء (مسلم بن عقيل) بأنه آثر انتكاث الأمر عليه وقدّم تضحيته على الفتك بابن مرجانة فلم يقدم على اغتياله والغدر به تكريماً لنفسه القدسية عن ارتكاب هذه الخصلة الذميمة التي نهى الشارع الأقدس عن ارتكابها فلا يقال رسول الحسين وداعيته إلى مناهج الرشاد باغت صاحبه في حين لو أجهز عليه لقضى على فاجر فاسق ولكنه عليه السلام ترك ذلك وعرض بنفسه للهلاك تعليماً للأمة على اتخاذ مقدسات الأحكام طريقاً لاحباً للفوز بالرضوان فلا يتجرأ الناس على الملة الحقة ولا يباغت الرجل من دونه في غايات طفيفة تسف إليها الطبقات الواطئة.

فالأمة إذا بلغها أن هذا الداعي إلى الحق ضحى نفسه ونفيسه دون الفتك والغدر وذهب ضحية الشرف ضحية السؤدد والخطر ضحية المجد والكرامة كان هذا دليلاً للتأسي به فإن للشيعة نفوساً نزاعة إلى اقتصاص أثر أهل البيت والاستنارة بضوء تعاليمهم ولا محالة تنعقد ضمائرهم على القيام بمثله أو ما يشبهه كما تسعه

= المغيرة وأبو موسى الأشعري وزياد وضبطها بالثاء المثلثة مفتوحة بعدها واو مكسورة ثم ياء مشددة بعدها هاء وفي تاج العروس أنها كسمية.

(١) ابن الأثير: ج٤، ص١١.

نفوسهم وتنضح به آنيتهم.

فمسلم عليه السلام كبقية رجالات أهل هذا البيت الرفيع أراد بفعله هذا وبقية أعماله أن يفيض على الأُمة دروساً أخلاقية لا تعدوها في التجنب عن رذيلة الفتك والغدر فتستفيد به كما استفادت من كل فرد من شهداء الطف إباءً ونخوة وحمية دون القويم.

فهذه الكلمة (الإيمان قيد الفتك) التي أفاضها عالم آل أبي طالب وخليفة الإمام الحجة في الدينيات والمدنيات أوقفتنا على سر من أسرار الشريعة وهو مبغوضية الغدر وأن النفوس الطاهرة تأبى للضيف أن يدخل بمن استضافه ما يكرهون.

وهناك سر آخر لتأخر مسلم عليه السلام عن الفتك بابن مرجانة لم تكن الظروف تساعده على كشفه نعرفه من نظائر ما صدر عن المعصومين فإن أمير المؤمنين لما أتاه ابن ملجم يبايع له وولى عنه قال من أراد أن ينظر إلى قاتلي فلينظر إلى هذا فقيل له ألا تقتله قال عليه السلام يا عجباه تريدون أن أقتل قاتلي[1].

وليس مراده عليه السلام بيان عدم جواز القصاص قبل الجناية كما ظنه من لا خبرة له وإنما أراد بيان ما ثبت لديه من أن الله سبحانه قدّر شهادته على يد أشر بريته وأنه عنده كعاقر ناقة صالح وقد علم أمير المؤمنين بما أودع الله تعالى فيهم من القوة النورانية

---

(١) بصائر الدرجات للصفار: ص٦.

التي بها يدركون ما في الكون من حوادث وملاحم كما هو الحق الذي لا محيص عنه أن هذه الشهادة على يد ابن ملجم من القضاء الذي لا مرد له فيكون المعنى كيف أقدر أن أنقض ما أبرمه المولى الجليل عز شأنه من هذه الشهادة.

وإلى هذا أوعز عليه السلام في كلامه مع ابن ملجم حين مرّ عليه ورآه نائماً على وجهه فعرّفه بأن نومته تلك يمقتها الله تعالى ثم قال له: لقد هممت بشيء تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ولو شئت لأنبأتك بما تحت ثيابك[1].

على أن أمير المؤمنين لو فرضنا علمه بتأخر شهادته ذلك الحين لم يقدم على قتل ابن ملجم لأن به تتجرأ الناس على الفتك بمن يحتملون أنه يريد الإجهاز عليهم بل قد يكون العداء فيما بينهم والضغائن التي تحملها جوانحهم حاملاً لهم على إزهاق النفوس معتمدين على دعوى العلم أو الظن بذلك فيكثر الهرج وينتشر الفساد.

وعلى ذلك الأساس يكون جواب الحسين لأم سلمة حين قالت له: لا تحزنّي بخروجك إلى العراق فإني سمعت جدك رسول الله يقول يقتل ولدي الحسين بأرض العراق (يقال لها كربلا) وعندي تربتك في قارورة دفعها إلي النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) البحار: ج٩، عن أبي الحسن البكري.

فقال الحسين يا أماه وأنا أعلم أني مقتول مذبوح ظلماً وعدواناً وقد شاء ربي أن يرى حرمي ورهطي مشردين وأطفالي مذبوحين مأسورين مقيدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً.

قالت أم سلمة وا عجباه فأنى تذهب وأنت مقتول.

فقال الحسين يا أماه إن لم أذهب اليوم ذهبت غداً وإن لم أذهب في غد ذهبت بعد غد وهل من الموت والله بدّ وإني لأعرف اليوم الذي أُقتل فيه والساعة التي أُقتل فيها والحفرة التي أُدفن فيها كما أعرفك وأنظر إليها كما أنظر إليك وإن أحببت يا أماه أن أُريك مضجعي ومكان أصحابي فطلبت منه ذلك فأراها تربته وتربة أصحابه[١] ثم أعطاها من تلك التربة وأمرها أن تحتفظ بها في قارورة فإذا رأتها تفور دماً تيقنت قتله وفي اليوم العاشر بعد الظهر نظرت إلى القارورتين فإذا هما تفوران دماً[٢].

وعلى هذا فمن الجائز الممكن أن مسلم بن عقيل عليه السلام كان على يقين من شهادته ومحل تربته وأنها تكون على يد الدعي ابن الدعي ابن مرجانة استفاده ممن أُودع عنده هذا العلم المكنون وهو سيد الشهداء عليه السلام.

وعلم المعصومين وإن كان صعباً مستصعباً لا يحتمله إلا

---

(١) مدينة المعاجز: ص٢٤٤.

(٢) الخرائج للراوندي: ج١، في باب معجزات الحسين ص٢٥٣، ح٧ ط. الأعلمي.

ملك مُقرّب أو نبي مُرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان لكنّهم عليهم السلام إذا علموا قابلية من أشرقت عليه أنوار ولايتهم لتحمل تلك الأسرار يوقفونه عليها كما أخبر أمير المؤمنين ميثماً التمار وكميل بن زياد وعمرو بن الحمق ورشيداً الهجري إلى أمثالهم بقتلهم وعلى يد من تكون الشهادة والوقت الذي يقتلون فيه وكما أخبر سيد الشهداء من ثبت معه على التضحية والمفاداة.

ومسلم بن عقيل عليه السلام كان في الغارب والسنام من الإيمان واليقين والبصيرة النافذة من أولئك الأفذاذ فأي مانع من أن يوقفه أبو عبدالله الحسين عليه السلام على ما يجري عليه من كوارث ومحن حرفاً حرفاً.

ثم إن الفتك الذي هو قيد الإيمان كما في نص الحديث شامل بإطلاقه لكل من أراد الوقيعة بالمؤمن سواء من ناحية الإجهاز عليه أو من جهة اغتيابه وإظهار عيوبه للناس أو من جهة النميمة المثيرة للإحن والبغضاء الموجبة لملاشاة الأخوّة بين المؤمنين أو من جهة إشاعة الفاحشة التي يقول فيها سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾.

فإن في كل ذلك وردت الشريعة المحذرة عنه الحاكمة على مرتكب هذه الجهات بالخروج عن ربقة الإيمان.

حفظ الجوار

حماية الجار من عادات العرب الفاضلة ولهم في ذلك أيام بيض وصحائف ناصعة وإن تطرق فيها بعضهم فخرج إلى الرعونة[١] لكنهم في الجملة يمدحون بها ولم يبرحوا متهالكين عليها فكانت تراق على ذلك الدماء وتقوم الحرب العوان على أشدها لأنها من ولائد الحفاظ والشهامة والغيرة على الأحساب وفيها الإبقاء على المستجيرين من عادية المرجفين وجلب ودّهم وود ذويهم وقبائلهم وسيادة الألفة وتوارث المحبة وظهور الأبهة وبروز المنعة وإخماد الفتن ودحض الفوضى ولعل العداء يعود حناناً بإرجاء الفتك لأجل الاستجارة إلى التفاهم أو تبيين أغراض

---

(١) في غرر الخصائص للوطواط: ص١٦، كان حارثة بن مر يسمى مجير الجراد لأنه حمى جراداً حط بفنائه وكان ثور بن شحمة الضبي يسمى مجير الطير فلا تصاد بأرضه وحمى زياد الأعجم حمامة تصوت على شجرة فقتلها حبيب وشكاه زياد إلى المهلب فألزم حبيباً دية الحر وأعطى زياداً ألف دينار.

النمامين المثيرين للعداء أو بالمعاذير المقبولة.

وقد حفظ المؤرخون من قضاياهم في هذه الخصلة التي تتفق مع العقل ما نأتي على بعضها منها قصة (أوفى بن مطر المازني) مع رجل جاوره وعنده امرأة أعجبت أخاه قيساً فلم يصل إليها مع زوجها فقتله غيلة وبلغ ذلك (أوفى) فقتل أخاه قيساً بجاره وقال:

إني ابنة العمري لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنع
سعيت على قيس بذمة جاره لأمنع عرضي إن عرضي ممنّع

ومرت سنة مجدبة على بني تيم الله بن ثعلبة فقصد جماعة منهم وهم مالك وعامر وحليحة مجاورة (بدر بن حمران الضبي) فوفى لهم حتى أحيوا ورجعوا مسرورين إلى وطنهم مكرمين وقصد جماعة منهم (مساوراً) فجعل يفخر بنسائهم فقال بدر بن حمران:

وفيت وفاءً لم ير الناس مثله بتعشار إذ تحنو إليّ الأكابر
ومن يك مبنياً به عرس جاره فإني امرؤ عن عرس جاري جافر

واستجار امرؤ القيس بن حجر الكندي بعامر بن جوين الطائي ثم الجرمي فقبّل عامر امرأة امرئ القيس فأعلمته بذلك فارتحل عنه واستجار (بأبي حنبل جارية بن مر الطائي ثم الثعلبي) فلم يصادفه فقال له ابن جارية أنا أُجيرك من الناس كلهم إلا من أبي حنبل يعني أباه فرضي امرؤ القيس وتحول إليه ولما قدم أبو

حنبل رأى كثرة أموال امرئ القيس وأعلمه ابنه بما شرط له في الجوار فاستشار أهله بذلك فقالوا له: لا ذمة له عندك فخرج أبو حنبل إلى الوادي ونادى: ألا إن أبا حنبل غادر، فأجابه الصدى من الجبل بذلك ثم نادى: ألا إن أبا حنبل وافٍ، وأجابه الصدى بذلك فقال الثانية أحسن ثم أتى منزله وحلب جذعة من غنم امرئ القيس وشرب لبنها ومسح بطنه وقال: (أغدر وقد كفاني لبن جذعة) ثم قال:

لقد آليت أغدر في جذاع ولو منّيت أُمات الرباع
لأن الغدر في الأقوام عار وإن الحُر يجزأ بالكراع

ثم عقد له وأعلمه امرؤ القيس فعلة عامر بن جوين بامرأته فركب أبو حنبل في أسرته حتى أتى منزل عامر بن جوين ومعه امرؤ القيس فقال له قبّل امرأة عامر كما قبّل امرأتك ففعل[1].

إلى غير ذلك من قضاياهم الكثيرة في حفظ الجوار وحماية النزيل ولا يشفقون في الدفاع عمن استجار بهم وإن كان فيه ذهاب أنفسهم وعشائرهم وأموالهم أو يحصلون على أغراضهم.

وقد جاءت الشريعة المطهرة الحافلة بمكارم الأخلاق الحاثة على السلام والوئام فأقرّت تلك الفضيلة وأدخلت التحسينات فيها

---

(١) هذه القضايا في المحبر لابن حبيب: ص٣٤٨، إلى ص٣٥٥.

حتى أجازت الإجارة للمشركين قصداً للتأليف وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم، وفسّره الإمام الصادق عليه السلام بأن جيش المسلمين إذا حاصر قوماً من المشركين فأشرف رجل وقال أعطوني الأمان حتى ألقى صاحبكم وأُناظره فأعطاه أدناهم الأمان وجب على أفضلهم الوفاء به[١].

وقام الأئمة من أبنائه عليهم السلام بالمحافظة على هذه النواميس التي فيها الإبقاء على الجامعة فما زالوا يوصون شيعتهم بحرمة الجوار وإن كان المجير عبداً أو امرأة وتناهوا فيه حتى عدوا الإيماء بالأمان لازم الوفاء به وأنّ من أعطى الأمان بأي لغة فلا تخفر ذمته ووجب الوفاء به[٢].

وأنت إذا عرفت ما هتفت به العادة من حُسن حماية الجوار والذب عن النزيل وما أيدته الشريعة الإلهية تعرف أن ما قام به هاني بن عروة من هذه المأثرة في حماية ابن عقيل عليه السلام وإجارته مما يمدح عليه في حد ذاته لكن في الحقيقة أن ما قام به هاني منبعث عما هو أرقى من تلك الناحية وهو جهة دينية وعقيدة راسخة بأن الحسين عليه السلام هو الإمام المفترض طاعته وحيث إن

---

(١) الوسائل: ج٢، ص٤٢٥، عين الدولة.

(٢) المستدرك للنوري: ج٢، ص٢٥٠.

مسلماً ممثل حجة الله على الخلق كان الواجب الأخذ بعضده والدفاع عنه وكلاءته عن عادية الشقي وأنه من أداء أجر الرسالة.

وإن صبّه في مجلس ابن زياد في قالب التقليد والعادة فقال إني ما دعوته إلى منزلي حتى رأيته على باب داري وسألني النزول فاستحيت من رده ودخلني من ذلك ذمام فأدخلته داري وضيفته وآويته إلخ.

فإن هانياً لم يسعه في ذلك الموقف الحرج إلا أن يعتذر بما يقتضيه الحفاظ والغيرة كيف لا وهو بين ناب الدعي ومخلبه مغلوب على أمره فحسب أنه سوف يجديه إخفاء أمر مسلم لكنه لم ينتفع بهذه المعاذير بعد قيام (معقل) جاسوس ابن مرجانة وقد أعلم ابن زياد بكل ما وقف عليه من أمر مسلم في دار هاني.

وعلى هذا فما ذكره ابن جرير الطبري من قول هاني لمسلم: لقد كلفتني شططاً ولولا دخولك داري لسألتك الخروج عني غير أني يأخذني من ذلك ذمام وليس يرد مثلي على مثلك عن جهل ثم آواه وكذا ما ذكره من أن هانياً قال لشريك لا أُحب أن يقتل ابن زياد في داري[1]...

لا يعبأ به لأن ولاء هاني لأهل هذا البيت واعتقاده بكون

---

(١) الطبري: ج٦، ص٢٠٤ وص٢٠٣.

مناصرتهم من واجبه الديني لا يرتاب فيه من يقرأ حياته المفعمة بالمآثر والمفاخر.

ومما يشهد له أن هانياً لو كانت إجارته لمسلم لمحض وقوفه على باب داره ودخوله عليه فما الذي ألزمه بإدخال الشيعة على مسلم وقد اعترف به ابن جرير حيث قال: (وأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هاني بن عروة)[١].

وكان يهيئ له الأمور ويدبر الشؤون ويرتب العساكر ويجمع المال والعتاد[٢] وفي وسعه أن يقول لمسلم: ادخل أنت وحدك ولا تهج عليّ أمراً ساكناً ولا يدخل عليك أحد.

ثم إن المؤامرة الواقعة بين شريك الأعور وبين مسلم بالفتك بابن زياد كانت بمشهد من هاني فلم يمنع منها حتى إن مسلماً لما اعتذر عن الفتك بأن امرأة هاني سألته أن لا يفعله في دارهم قال هاني: يا ويلها قتلتني وقتلت نفسها والذي فرّت منه وقعت فيه.

أليس هذا يشف عن مرضاة هاني بالفتك بابن مرجانة لما رسخ بين جنبيه من وجوب التنكيل بأعداء آل الرسول ومن هنا قال لمسلم: أما والله لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً[٣].

---

(١) الطبري: ج٦، ص٢٠٣، والأخبار الطوال: ص٢٣٥.

(٢) الأخبار الطوال: ص٢٣٥.

(٣) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٠٤، وابن الأثير: ج٤، ص١١.

هاني مع ابن زياد

لما انتقل مسلم إلى بيت هاني وأخذت الشيعة تختلف إليه في هذا البيت[١] على تستر واستخفاء وتواصوا بالكتمان[٢] وخفي على ابن زياد موضع مسلم دعا مولاه معقلاً وأعطاه ثلاثة آلاف درهم وذلك بعد موت شريك الأعور وأمره أن يلقى الشيعة ويعرِّفهم أنه من أهل الشام مولى لذي الكلاع الحميري وقد أنعم الله عليه بحب أهل هذا البيت وبلغه قدوم رجل منهم داعية للحسين وعنده مال يريد أن يوصله إليه.

فدخل معقل الجامع الأعظم ورأى مسلم بن عوسجة الأسدي من بني سعد بن ثعلبة يصلي وسمع الناس يقولون هذا يبايع للحسين اجتمع به وأوقفه على ما عنده فدعا مسلم بن عوسجة له بالخير والتوفيق وأخذ منه البيعة والمواثيق ليناصحن ويكتمن كي لا يفشو الخبر إلى ابن مرجانة.

---

(١) الأخبار الطوال: ص٢٣٥.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد.

ثم أدخله على ابن عقيل في دار هاني وسلم المال إلى أبي ثمامة الصائدي وكان بصيراً شجاعاً ومن وجوه الشيعة عيّنه مسلم لقبض ما يرد إليه من المال يشتري به سلاحاً فكان ذلك الرجل يختلف إلى مسلم كل يوم فلا يحجب عنه ويتعرف الأخبار ويرفعها إلى ابن زياد عند المساء[١].

ولما وضح الأمر لابن زياد وعرف أن مسلماً مختبئ في دار هاني دعا أسماء بن خارجة ومحمد بن الأشعث وعمرو بن الحجاج الزبيدي وسألهم عن انقطاع هاني عنه فقالوا الشكوى تمنعه فلم يقتنع ابن زياد بعد أن أخبرته العيون بجلوسه على باب داره كل عشية فركب هؤلاء الجماعة إلى هاني وسألوه المصير إلى السلطان لأن الجفاء لا يحتمله وألحوا عليه فركب بغلته ولما طلع على ابن زياد قال:

(أتتك بحائن رجلاه)[٢] والتفت إلى شريح القاضي يقول[٣]:

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

---

(١) الطبري: ج٦، ص٢٠٤.

(٢) في مجمع الأمثال للميداني: ج١، ص١٩، قاله الحرث بن جبلة الغساني لما ظفر بالحرث بن جبلة العبدي حين هجاه.

(٣) في الإصابة: ج٣، ص٢٧٤، بترجمة قيس بن المكشوح قاله عمرو بن معديكرب في أبيات في ابن أخته وكانا متباعدين. وفي الأغاني: ج١٤، ص٣٢، أنّ أمير المؤمنين علياً تمثل به لما دخل عليه ابن ملجم يبايعه.

ثم التفت إلى هاني قائلاً أتيت بابن عقيل إلى دارك وجمعت له السلاح فأنكر هاني ولما كثر الجدال دعا ابن زياد ذلك الجاسوس معقلاً ففهم هاني أن الخبر أتاه من جهته فاعتذر بأنه لم يدعه إلى منزله وإنما استجار به واستضافه والذمام الذي يحمله يأبى له ألا يجير من استجار به ثم طلب من ابن زياد أن يمضي إلى داره ويخرج مسلماً منها إلى حيث شاء ليخرج بذلك من جواره ولا يكون سُبّة للعرب ويعطيه رهناً على ذلك فأبى ابن زياد أن يطلق سراحه إلا أن يأتيه بمسلم[1].

ههنا جاهر ابن عروة بعقيدته فعرف ابن مرجانة أن مسلماً أحق منه بالأمر ولوفاء أبيه زياد ومكافأته في ولده لمعروفه معه يقوم بحمايته والدفاع عنه وعن أهله حتى يخرجوا بأموالهم إلى الشام سالمين لأن داعية الحسين أولى بالقيام على أمر الأمة وإدارة شؤونها.

فغضب ابن مرجانة من كلام هاني وألحّ عليه بالإتيان بابن عقيل فأفهمه هاني بأن هذا محال عليه ويأباه دينه وعقيدته فقال في التعبير عنه: لو كان ابن عقيل تحت قدميّ لما رفعتهما عنه فأغلظ له ابن زياد في القول وتهدده بالقتل فتعجب هاني من

---

(١) ابن الأثير: ج٤، ص١١.

جرأته وهو واحد ويتبع ابن عروة ثلاثون ألفاً فقال لابن زياد: إذاً تكثر البارقة حولك.

فاستدناه ابن زياد وأخذ بظفيرتيه وضربه بالسوط حتى كسر أنفه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته وتناول هاني سيف شرطي ومانعه الرجل فأمر به ابن زياد إلى الحبس فأُدخل بعض بيوت القصر وجعل عليه حرسي.

فقال أسماء بن خارجة أرسل غدر سائر اليوم أمرتنا نجيئك بالرجل حتى إذا أدخلناه عليك هشمت وجهه وأسلت دمه فأمر به ابن زياد أن يخرج من المجلس فأخرجه الشرطة ولما رأى ابن الأشعث ذلك قال: إن الأمير مؤدب رضينا برأيه لنا أم علينا.

وبلغ عمرو بن الحجاج قتل هاني الذي هو صهره على أخته روعة وهي أم يحيى بن هاني فأقبل في مذحج وأحاط بالقصر فأمر ابن زياد شريحاً القاضي أن يدخل على هاني ويخبرهم بحياته[١].

ولما سمع هاني لغط الرجال حول القصر وعرف أنهم مذحج صاح يا للرجال أين عشيرتي أين أهل الدين أين أهل المصر ألا عشرة من قومي ينقذوني من عدوّهم وابن عدوّهم. ومن يسمع

---

(١) الطبري: ج٦، ص٢٠٦، ولكن في مثير الأحزان واللهوف لابن طاووس اسمها رويحة وأنها ابنة عمرو بن الحجاج.

صوته وأين من يبلغهم نداؤه والخوف على رؤوسهم والطمع مخيم على نفوسهم.

نعم دخل قاضي المسلمين شريح على هاني ممتثلاً أمر ابن زياد وخرج إلى القوم يخبرهم بأنه حي فهلا مسائل لهذا القاضي المائل عن الحق كيف ساغ له إخفاء استغاثة هاني بقومه وعشيرته وطمّن القوم بحياته وسكن فورتهم حتى أزالهم عن القصر وهو يعلم وقوع الرجل بين يدي الضبع الكاسر فأودى به وأشاط بدمه وبماذا يعتذر عن تهاونه أبالخوف من بادرة ابن مرجانة فهلا ضحى نفسه على تقديره دون مناصرة الحق وأهله وإنقاذ المؤمن الأسير من أنياب الطاغية ولماذا كان يدخر الحياة الذميمة وقد بلغ من الكبر عتياً؟ ومن ذا الذي أخبره أنه لو أصدق القوم في المقال وزحفوا على القصر وأخرجوا زعيمهم وانتكث الأمر على ابن زياد كان يتمكن الدعي من التنكيل به لكنه يتحرى الحياة مع الظالمين!

ثم ألا مُسائل مذحجاً لماذا تجمهروا على القصر ولماذا تفرقوا لمحض القول بأنه حي فتكون تلك الجلبة واللغط للوقوف على حياته أو مماته بحيث إذا وجدوه ميتاً شيعوا جنازته وإن كان حياً تركوه عرضة للذئاب وليست لهم حاجة في إنقاذه إذاً فعلى الحفاظ والشهامة السلام.

راية الأمان

لما رجع ابن الحجاج بمن معه من مذحج خرج ابن زياد إلى الجامع الأعظم وخطب الناس وقال: اعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم ولا تختلفوا ولا تفرقوا فتهلكوا وتذلوا وتقتلوا وتجفوا وتحرموا إن أخاك من صدقك وقد أعذر من أنذر[١].

وأمر محمد بن الأشعث وشبث بن ربعي والقعقاع بن شور الذهلي وحجار بن أبجر وشمر بن ذي الجوشن وعمرو بن حريث أن يرفعوا راية الأمان ويخذّلوا الناس[٢] فأجاب جماعة ممن خيم الفرق عليهم وآخرين جرّهم الطمع الموهوم واختفى غيرهم ممن طهرت ضمائرهم وكانوا يترقبون فتح الأبواب للحملة على صولة الباطل.

نهضة مسلم

كان لنهضة مسلم موعد مضروب بينه وبين الناس ولم يزل هو ومن بايعه يتأهبون لذلك الأجل من تعبئة الرجال وتهيئة العتاد ورسم خطط الحرب والأخذ بالتدابير اللازمة غير أن الأمر باغته بالقبض على هاني وهو آخذ بعضده وموئل رأيه وفي داره قاعدة

---

(١) الطبري: ج٦، ص٢٠٧.

(٢) ابن الأثير: ج٤، ص١٢.

ولايته ومركز سلطته فاضطرت الحالة مسلماً إلى أن يتعجل الخروج قبل الأجل مخافة أن يؤخذ غيلة ولعله ينقذ صاحبه من مخلب الظالم وقد أسلمته عشيرته.

وكان رسوله إلى القصر عبدالله بن حازم الكبري من الأزد من بني كبير[١] ليأتيه بخبر هاني فعرَّفه حبسه وأن نسوة مراد مجتمعات ينادين وا ثكلاه وا عثرتاه فعندها أمره أن ينادي في أصحابه (يا منصور أمت)[٢] وقد ملأ بهم الدور حوله وتنادى أهل الكوفة بذلك الشعار فاجتمع إليه أربعة آلاف فعقد راية لعبيد الله ابن عمرو بن عزير الكندي على ربع كندة وربيعة وأمّره على الخيل وراية لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد وأمّره على الرّجالة وراية لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان وراية للعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة.

ثم أقبل مسلم عليه السلام بهؤلاء الجمع إلى القصر وكان ابن زياد في الجامع الأعظم يخطب الناس فدخلت النظارة المسجد من باب التمارين يهتفون بمجيء ابن عقيل فراع ذلك ابن زياد وأسرع إلى القصر وأغلق أبوابه.

---

(١) الطبري: ج٦، ص٢٠٨.

(٢) منصور رئيس الملائكة الذين نزلوا لنصرة النبي يوم بدر وكان شعار المسلمين يا منصور أمت.

واجتمع الناس حتى امتلأ المسجد والسوق منهم وأحاطوا بالقصر وضاق بابن زياد ذرعه إذ لم يكن معه إلا ثلاثون رجلاً من الشرطة وعشرون رجلاً من اشراف الناس وأهل بيته ومواليه[١].

فكان أسهل شيء على أولئك الدارعين الإجهاز على ابن مرجانة ومن معه لأول وهلة في طليعة الزحف وفي القوم مساعير للحرب ولعل منهم من لا يروعه التقحم على أولئك النفر المعدودين بالأنامل ولم يكن لابن زياد في ذلك الوقت غير قعقعة الإرهاب وما أدري كيف انطلت هذه البهرجة على ذوي البصائر بشؤون المصر الواقفين على ما في أرجائه من قلاقل وفي أجوائه من محن وإحن.

ولكن لا عجب من أذناب الكوفيين إذا مالوا مع عُصبة الشيطان بمجرد أن سمعوا ابن الأشعث وحجار بن أبجر وشمر ابن الجوشن يمنونهم العطاء مع الطاعة ويهددونهم بجند الشام الموهوم وأشرف عليهم كثير بن شهاب حين كادت الشمس أن تغرب وقال: أيها الناس ألحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر ولا تعرضوا أنفسكم للقتل فإن هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت وقد أعطى الله الأمير عهداً لئن أتممتم على حربكم ولم تنصرفوا

---

(١) ابن الأثير: ج٤، ص١٢.

من عشيتكم أن يحرم ذريتكم العطاء ويفرق مقاتلتكم في مغازي الشام على غير طمع وأن يأخذ البريء بالسقيم والغائب بالشاهد حتى لا يبقى فيكم بقية من أهل المعصية إلا ذاق وبال ما جرت يده[١].

فطفق الأخ يخذّل أخاه والمرأة تتعلق بزوجها حتى يرجع والآباء يفصلون أبناءهم عن الجهاد ويحبذون لهم العافية شأن أذناب الناس الدقاق حسباً الضعفاء حلوماً.

فتفرّق أولئك الجمع عن مسلم عليه السلام حتى لم يبقَ معه إلا ثلثمائة رجل وصلى العشاء بالمسجد ومعه ثلاثون رجلاً وانصرف نحو كندة[٢] ومعه ثلاثة ولم يمضِ إلا قليلاً وإذا لم يشاهد أحداً يدله على الطريق فنزل عن فرسه ومشى متلدداً في أزقة الكوفة[٣] لا يدري إلى أين يتوجه[٤].

إن من العجيب الغريب أمير مصر يتفرق عنه جنده ووالي قارة أسلمته أنصاره لماذا كان ذلك للأوهام والتافهات أو للمطامع والشهوات أين النخوة والحفاظ أين الإباء والحمية أيظنون أنهم

---

(١) الطبري: ج٦، ص٢٠٨.
(٢) الأخبار الطوال: ص٢٤٠.
(٣) الشريشي في شرح مقامات الحريري: ج١، ص١٩٢.
(٤) اللهوف لابن طاووس.

لو انضووا إلى راية الهدى يحرمهم صاحبها العطاء أو يضن عليهم بالوظائف أو يقيم الحق بغيرهم لاها الله ما كان يدخر الأعطيات إلا لهم ولا ينضد الكراسي بمن عداهم ولا قيادة الجيوش إلا بهم ولو عدلوا لما استلم الحكم سواهم.

لكن خسة الطباع ولؤم العنصر حالا دون أن يحظوا بالشرف الوضاح والسعادة في الدنيا والآخرة فاستمرأوا أجاج الأمويين تحت راية ابن مرجانة وتركوا التاريخ يذكرهم مع منافيات المروءة والحفاظ ولوازم قول الزور وخفر الذمم ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

خطبة ابن زياد

لما تفرق الناس عن مسلم عليه السلام وسكن لغطهم ولم يسمع ابن زياد أصوات الرجال أمر من معه في القصر أن يشرفوا على ظلال المسجد لينظروا هل كمنوا فيها فكانوا يدلون القناديل ويشعلون النار في القصب ويدلونها بالحبال إلى أن تصل إلى صحن الجامع وفعلوا ذلك بالظلة التي فيها المنبر فلم يروا لأصحاب ابن عقيل أثراً فأعلموا ابن مرجانة فأمر مناديه أن ينادي في الناس ليجتمعوا في المسجد ولما امتلأ المسجد بهم رقي المنبر وقال إن ابن عقيل قد أتى ما قد علمتم من الخلاف والشقاق فبرئت الذمة من رجل وجدناه في داره ومن جاء به فله ديته اتقوا الله عباد الله والزموا طاعتكم وبيعتكم ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً.

إلى السجن

ثم أمر ابن زياد صاحب شرطته الحصين بن تميم أن يفتش

الدور والسكك وحذره بالفتك الذريع إذا أفلت مسلم وخرج من الكوفة[١].

فقام الحصين بهذه المهمة فبث العيون ووضع الحرس على أفواه السكك وتتبع الأشراف الناهضين مع مسلم فقبض على عبد الأعلى بن يزيد الكلبي وعمارة بن صلخب الأزدي فحبسهما ثم قتلهما.

وحبس جماعة من الوجوه استيحاشاً منهم وكان فيهم المختار الثقفي وعبدالله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب[٢] وقد خرجا لنصرة ابن عقيل وكان المختار عند خروج مسلم في قرية له تدعى (لقفا) فجاء بمواليه يحمل راية خضراء ويحمل عبدالله بن الحارث راية حمراء وانتهيا إلى باب الفيل[٣] ووضح لهما قتل مسلم وهاني وأشير عليهما بالدخول تحت راية عمرو بن حريث ففعلا وشهد لهما ابن حريث باجتنابهما مسلماً عليه السلام فأمر ابن زياد بحبسهما بعد أن شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشتر عينه وبقيا في السجن إلى أن قتل الحسين عليه السلام.

ولما أحضر سبي آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مجلسه أخرج المختار

---

(١) الطبري: ج٦، ص٢٠٩.
(٢) المصدر: ص٢٠٨ وص٢١٤ وص٢١٥.
(٣) أنساب الأشراف للبلاذري: ج٥، ص٢١٥.

من الحبس شامتاً منه وفرحاً بما يحسبه من الظفر وإذ رأى المختار هيئة منكرة زفر زفرة كادت روحه أن تخرج فيها ولم يثنِ هذا من عزمه ولا أوهن من عقيدته فأغلظ لابن زياد في كلام جرى بينهما[١] وعرفه بالعقيدة التي يحملها من مصدر وثيق بأن أيامه عدد ومُلكه بدد وسيلقى خزياً وبواراً يكون ذلك على يده.

فأضحك ابن زياد هذا النبأ من أسير تحت قبضته وليس له مساعد له يحذر سطوته خصوصاً يرى أعناق الأشراف ذللاً نحوه وقد ملأ السجن بمن يتحفز لنخوته فأرجعه إلى السجن ولم يطلق سراحه إلا بشفاعة عبدالله بن عمر بن الخطاب عند يزيد لاقترانه من (صفية) ابنة أبي عبيد الثقفي أخت المختار.

ولما خطب ابن زياد بعد قتل ابن عفيف الأزدي ونال من أمير المؤمنين بحضرة أولئك الأجلاف من الكوفيين ولم يلقَ منهم راداً عليه غير المختار فقد ثار في وجهه شاتماً له ومعرفاً بأن اللصيق لم يستحق من الإمارة موطئ قدم وأن أهلها العاملون بالحق السالكون بالأمة طريق الجدد المهذبون المرشدون كابن عقيل ومن حذا حذوه من أهل هذا البيت الطاهر.

فأمر ابن مرجانة بقتله غير أن عمر بن سعد تشفّع فيه لأنه كان

---

(١) رياض الأحزان: ص٥٢، عن روضة الشهداء.

صهره على أخته أولدت له حفصاً فأرجعه إلى السجن ثم تشفّع فيه ثانياً عبدالله بن عمر عند يزيد فكتب إلى ابن زياد يأمره بإطلاقه فأخرجه من السجن على أن لا يساكنه في البلد[١].

(١) المصدر: ص٥٨، عن روضة الصفا.

في بيت طوعة

لقد كان في الكوفة من تحلى بسمات الرجال المهذبين الذين لم تلمّ بساحتهم أي لائمة ولا توجهت إليهم مغبّة وإنه ذلك الإنسان الواحد الحاوي للشرف المعلى والذكر الخالد والثناء الجميل وقد حظي بالرضوان مع حبيب الله وخاتم رسله ألا وهو طوعة.

ولو كن النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء على الرجال
فلا التأنيث باسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

أصحيح أن امرأة تفوق الرجال في الفضائل والفواضل نعم إن ذلك لما أجنته في أضالعها من طهارة النفس وشرف المنبت والولاء الصحيح لأهل هذا البيت فقامت بما يرضي الله ورسوله ويحبذه الشرف والإنسانية ويدعو إليه الخطر والناس يتمايزون بالنفسيات الكريمة والغرائز الطيبة والعمل الصالح.

وماذا على طوعة وقد طاوعتها نفسها على متابعة العقل

واقتصاص أثر الدين وأداء أجر الرسالة بإيواء ابن عم سيد الشهداء وممثله الفذ فتحلت بما تخلى عنه ذوو الهمم القاصرة والنفوس الضعيفة والحلوم الضئيلة فشع نورها بين هاتيك الظلم المدلهمة كما شاع ذكرها في الجوامع والزبر وفي ثنايا الحقب والأجيال المتتالية فهي حية بعمرها الثاني حتى يسكنها الله تعالى الخلد محبورة في جوار المصطفى ووصيه المرتضى.

قال المؤرخون لما بقي مسلم وحده يتلدد في أزقة الكوفة لا يدري إلى أين يتوجه انتهى به السير إلى باب امرأة يقال لها طوعة أم ولد كانت للأشعث بن قيس أعتقها وتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً كان مع الناس وكانت هذه المرأة على الباب تنتظره فلما رآها مسلم عليه السلام استسقاها فسقته فجلس على الباب لا تطاوعه نفسه أن يبتدئها بطلب الإذن في الدخول للدار ولا يعرف موضعاً يؤويه من عادية الطاغي ولا من يأخذ به إلى الخُلَّص من صحبه والشوارع فيها الحرس وقد فرق الخوف جُل الناهضين معه.

فالتفتت إليه قائلة: ألم تشرب؟ فأجابها بصوت منكسر وزفرات متصاعدة: نعم قد شربت، قالت: إذاً لماذا لم تذهب إلى أهلك؟ فسكت عنها إذ لم يكن له أهل ولا يعرف من يؤويه ولكنها لم تقتنع بذلك لأنها امرأة مصونة تأنف من وقوف الأجنبي على بيتها فقالت له: إني لا أُحل لك الجلوس هنا ولا يصلح لك.

فعندها رقّ وتلاين وقال: يا أمة الله ما لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة فهل لك إلى أجر ومعروف ولعلي مكافئك به بعد هذا اليوم.

فاستفزتها هذه الكلمة الغالية لأن الأجر من أعمال الصالحين والمعروف لا يكافئ عليه إلا أهله فقالت مستفهمة: وما ذاك؟ قال أنا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغرّوني.

فلما سمعت باسمه شعرت بزلفى الأبد وسعادة لا يتوفق لها إلا من أودع الله تعالى فيه نور الإيمان فأعادت عليه السؤال عن اسمه متأكدة من الحصول على الغاية الثمينة وقالت له: أنت مسلم؟ قال نعم، فرحبت به وامتلأ قلبها سروراً بالحظوة بضيافة مثل داعية ابن الرسول ﷺ وأدخلته بيتاً غير الذي يأوي إليه ابنها وعرضت عليه الطعام فأبى.

ولما وافى ابنها المنزل ورآها تكثر الدخول لذلك البيت استراب منه فاستفهمها عنه فأعرضت وألحّ عليها فلم تخبره إلا بعد أن أخذت عليه العهود أن لا يعلم أحداً بمن في البيت فبات الغلام فرحاً بجائزة ابن زياد[1].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ص٤١، إيران.

مسلم في اليوم الثاني

كانت هذه الليلة أطول ليلة مرت على مسلم عليه السلام يرقب آناءها ويعد دقائقها وثوانيها ينظر بعين البصيرة إلى زوايا البيت وهو يعلم أنه مأتيّ لا محالة ولكن كيف يؤتى ومن أين يتوقع الهجوم عليه وكيف يدافع ولا يبصر إلا ناحية واحدة شد إليها الرحال منذ خرج من المدينة بأمر السبط الشهيد ألا وهي إظهار الدعوة إلى حُكم الكتاب المجيد وسنّة الرسول وإنقاذ الأمة من مخالب الضلال وتعريفها سبل الرُشد من الغي ومما زاد في طمأنينته رؤياه عمه أمير المؤمنين في المنام يقول له: أنت معي غداً فالعجل العجل[١].

فعرفت نفسه المطمئنة الملهمة أن في صباح هذه الليلة اللقاء والفناء الذي فيه البقاء الأبدي فلم تبعثه الحالة إلا إلى النشاط والبسالة والوثوق بأزوف الموعد فلما انفلق عمود الفجر وانفتل من صلاته ودعائه ونوافله تأهب لمجاهدة من مَرَقَ عن الدين وأعرض عن وصايا النبي في أهله وذويه وقال لطوعة قد أديتِ ما عليكِ من البر والإحسان وأخذتِ نصيبكِ من شفاعة رسول الله وقصّ عليها الرؤيا[٢].

أما ابن العجوز فذهب إلى القصر وأعلم عبد الرحمن بن

---

(١) نفس المهموم: ص٥٦، عن كامل البهائي.

(٢) نفس المهموم: ص٥٦.

محمد بن الأشعث بمكان مسلم عليه السلام في بيتهم فأخبر عبد الرحمن أباه ووضح الأمر لابن زياد فدعا الغلام وطوقه بطوق من ذهب[١] وأمر ابن الأشعث أن يذهب إليه في سبعين من قيس ليأتيه به.

فلما سمع مسلم عليه السلام وقع حوافر الخيل ولغط الرجال علم أن هذا طليعة الشر[٢] فخرج إليهم بجأش طامن وجنان راسخ بهضب يهز الرواسي وحشو الرداء منه فروسية وشجاعة وملء إهابه بشر ومسرة فاستقبلهم كميّ آل أبي طالب في جحفل مجر من عزمه وحشد لهام من بأسه والقوم سبعون دارعاً وهو واحد في ذلك المأزق الحرج من نواحي البيت فلم يفتأوا يرجفون عليه الدار وهو يكردهم غير مكترث بعددهم ولا بعدتهم.

ألا تعجب من مكثور أطلت عليه أعداؤه حيث لا متسع فيه لكرّ أو فرّ في مضايق الشوارع ومرتبك الأزقة والجراح تؤلمه والعطش يرمضه وهناك جلبة الصاخبين وتشجيع المنشطين وهلهلة النساء كما يقتضيه طبع الحال عند العرب وهم على يقين بالمدد إن أعوزتهم القوة.

وصريخة الهاشميين خالٍ من ذلك كله ولكن سل القوم والموقف كما وصفناه هل ألمّ بابن عقيل خور أو داخله فَرق أو فترت

---

(١) رياض المصائب: ص٢٦٥.

(٢) مقاتل الطالبيين: ص٤١.

منه عزيمة أو تثبط منه إقدام لا ومن ترك (الجديدين) يرتلان صحيفته البيضاء على رؤوس الأجيال حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ولم يشعروا أهو مسلم ينساب عليهم بصارمه الذكر أو عمه أمير المؤمنين يشق الصفوف ويطرد الألوف أو أن زوبعة الحمام أخذتهم من نواحيهم فقتل من السبعين أربعين وهو يرتجز[١]:

هو الموت فاصنع ويك ما أنت صانع
فأنت بكأس الموت لا شك جارع
فصبراً لأمر الله جل جلاله
فحكم قضاء الله في الخلق ذائع

وكان من قوته يأخذ الرجل من محزمه ويرمي به فوق البيت[٢] والمرأة الطاهرة طوعة تحرضه على القتال[٣] فاضطرهم البؤس واليأس من الظفر إلى الاستمداد فأنفذ ابن الأشعث إلى ابن مرجانة يستمده الرجال فبعث إليه: إنا أرسلناك إلى رجل واحد لتأتينا به فثلم في أصحابك هذه الثلمة فكيف لو أرسلناك إلى غيره[٤].

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص٢١٢.
(٢) نفس المهموم: ص٥٧.
(٣) رياض المصائب: ص٢٦٥.
(٤) مقتل محمد بن أبي طالب.

فأرسل إليه ابن الأشعث: أيها الأمير أتظن أنك أرسلتني إلى بقال من بقالي الكوفة أو جرمقان من جرامقة الحيرة وإنما وجهتني إلى سيف من أسياف محمد بن عبدالله، فأمدّه بخمسمائة فارس[١].

إن ابن مرجانة يعجب من هذه البسالة الطالبية وما لهم من القسط الأوفر منها ولا تزال أنباء مواقفهم في الحروب ترن في مسامعه كما أن صداها لم ينقطع عن أُذن الدهر ومسامع الأجيال والأندية تلهج بحديث النبي (لو ولد الناس كلهم أبو طالب لكانوا شجعاناً)[٢] لكن طيش الملك وغرور الحاكمية أخذا به إلى الاستخفاف بسريّ مضر من أنه واحد فكيف يثلم ذلك الجمع نعم هو واحد بالذات كثير في العزم والبأس فتجمهروا عليه من كل الجهات وصريخة آل أبي طالب لا يكترث بجمعهم ولم ترعه كثرتهم فأوقع فيهم الموت الزؤام واختلف هو وبكير بن حمران الأحمري بضربتين ضرب بكير فم مسلم عليه السلام فقطع شفته العليا وأسرع السيف إلى السفلى ونصلت لها ثنيتان وضربه مسلم على رأسه ضربة منكرة وأُخرى على حبل العاتق كادت أن تطلع إلى جوفه[٣] فمات منها[٤].

---

(١) رياض المصائب: ص٢٦٦.

(٢) غرر الخصائص للوطواط: ص١٧ في باب حفظ الجوار.

(٣) الطبري: ج٦، ص٢١٠.

(٤) مقتل الخوارزمي.

وأخذ يقاتلهم وحده في ذلك المجال الضيق حتى أكثر القتلى والناس من أعلى السطوح يرمونه بالحجارة ويقلبون عليه القصب المضرم بالنار[١] وهو يرتجز في حملاته[٢]:

أقسمت لا أُقتل إلا حرا وإن رأيت الموت شيئاً نكرا
كل امرئ يوماً ملاقٍ شرا ويخلط البارد سخناً مرا
رد شعاع النفس فاستقرا أخاف أن أُكذب أو أُغرا

ولما أثخنته الجراح وأعياه نزف الدم استند إلى جنب تلك الدار فتحاملوا عليه يرمونه بالسهام والحجارة فقال: ما لكم ترموني بالحجارة كما ترمى الكفار وأنا من أهل بيت الأنبياء الأبرار ألا ترعون حق رسول الله في عترته[٣].

وحيث أعوزتهم الحيل والتدابير الحربية لإلقاء القبض عليه أو

---

(١) ابن الأثير: ج٤، ص١٣.

(٢) في اللهوف: ص٣٠، صيدا الأبيات لحمران بن مالك النخعي قالها يوم القرم وعند ابن نما (القرن) ويشهد له ما في المعجم مما استعجم: ج٣، ص١٠٦٨ قرن اسم جبل كانت فيه وقعة لغطفان على بني كنانة فهو يوم قرن وفي تاج العروس: ج٩، ص٣١٠، يوم أقرن كأملس يوم لغطفان على بني عامر وفي معجم البلدان: ج٧، ص٦٤ قرن اسم جبل كانت به وقعة لبني قرن على بني عامر بن صعصعة وفي نهاية الأرب للقلقشندي ص٣٢١ بنو قرن بطن من مراد وهم بنو قرن بن رومان بن ناجية بن مراد منهم أُويس القرني المشهور.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص٢١٢.

التوصل إلى قتله أو تحري منجاة من سيفه الرهيف قابلوه بالأمان عساه يكف عن القتال فيتسنى لهم بعض ما يرومونه فقال له ابن الأشعث أنت آمن إلا عبيد الله بن العباس السلمي فإنه تنحى وقال لا ناقة لي في هذا ولا جمل[١].

أما ابن عقيل عليه السلام فلم تفته خيانتهم ونقضهم العهود وأنهم لا يرقبون في مؤمن إلّاً ولا ذمة فلم يعبأ بأمانهم فقال لا والله لا أُؤسر وبي طاقة لا يكون ذلك أبداً وحمل على ابن الأشعث فهرب منه ثم تكاثروا عليه وقد اشتد به العطش فطعنه رجل من خلفه فسقط إلى الأرض وأُسر[٢].

وقيل إنهم عملوا حفيرة وستروها بالتراب وانكشفوا بين يديه حتى إذا وقع فيها أسروه[٣].

ولما أركبوه البغلة وانتزعوا سيفه دمعت عينه فقال له عمرو ابن عبيد الله بن العباس السلمي إن الذي يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل ما نزل بك لم يبكِ فقال عليه السلام ما على نفسي أبكي ولكن أبكي لأهلي المقبلين إليكم أبكي للحسين وآل الحسين[٤].

---

(١) ابن الأثير: ج٤، ص١٣.
(٢) ابن شهر آشوب في المناقب: ج٢، ص٢١٢.
(٣) المنتخب للطريحي.
(٤) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢١١.

تفيدنا هذه الجملة درساً آخر من نفسية مسلم وقوة إيمانه وثبات جأشه وقداسة نفسه فإن هذا البكاء لم يكن لجروحه الدامية أو عطشه المبرح لما ألمّ به من الضرب والطعن وهو في الحالة نفسها مكثور وأنه سوف يودي به الظلوم الغاشم في منتأى عن أهله وولده.

لكن الذي أبكاه أمام ذلك الجمع المحارب أمر ديني وطاعة للمولى نظير الغاية التي أوقفته هذا الموقف وهو ما سيجري على حجة الوقت الواجب على العباد الانقياد له والخضوع لأمره وأن سيد شباب أهل الجنة سيرد هذا المورد متى حلّ بين ظهراني أهل الكوفة الطغاة وهو لا يريد أن تشوك سيده شوكة ولا يستهين أن يصيبه أي أذى وإنما وقف هذا الموقف للحصول على مرضاة إمامه والدعوة إليه والذب عنه ولم يبرح هذه نواياه حتى نسي نفسه ولم ينس أبيّ الضيم عليه السلام فطفق يبكي لما يصيبه وهو مرتث بالجراح وفي آخر رمق من الحياة فحياه الله من شهم سيط الإيمان بلحمه ودمه وعاد مزيج نفسه الكريمة.

وفي نص سبط ابن الجوزي أنّ ابن الأشعث سلب مسلم بن عقيل درعه وسيفه فقال بعض الشعراء يؤنبه على فعلته هذه وتركه نصرة هاني[1]:

---

(١) تذكرة الخواص: ص١٣٩.

وتركت عمك لم تقاتل دونه فشلاً ولولا أنت كان منيعا
وقتلت وافد آل حزب محمد وسلبت أسيافاً له ودروعا

ولما جيء به إلى القصر تساند إلى الحائط وقد أخذه الضعف لنزف الدم وشدة الظمأ فرأى قلة مبردة فطلب منها ما يبل غلته فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: أتراها ما أبردها لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم!

فكبرت هذه الكلمة على ابن عقيل أن تصدر من رجل يدعي الإسلام ويتشهد الشهادتين ثم لا تسمح نفسه ببذل الماء الذي هو مباح لعامة الحيوانات ولا يمنع منه حتى الكافر والشريعة تنادي بأعلى صوتها: الناس شرع سواء في الماء والنار والكلأ، ثم إنّ أي رجل يحمل أقل شيء من العاطفة يشاهد إنساناً بتلك الحالة المشجية ثم يضنّ عليه بشربة من ماء فإنّه لخارج عن الحدود البشرية ومستوى الإنسانية.

ومن هنا تعجب مسلم علي عليه السلام واستفهم عن حسبه فقال له من أنت؟ قال: أنا ابن من عرف الحق إذ أنكرته ونصح لإمامه إذ غششته وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفته أنا مسلم بن عمرو الباهلي!

فقال ابن عقيل لأمّك الثكل ما أجفاك وأفظك وأقسى قلبك وأغلظه أنت يابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم.

وعلى هذا الحوار بعث عمرو بن حريث غلاماً له يدعى سليماً فأتاه بالماء[١] وفي نص آخر أرسل عمارة بن عقبة بن أبي معيط غلامه قيساً وأتاه بالماء[٢] وهل شرب ابن عقيل من الماء فيخفف من اللغوب ويطفئ أوار الظمأ؟ لا! فإنه كلما أدنى القدح منه امتلأ دماً للضربة التي على شفتيه وفي الثالثة امتلأ دماً وسقطت في القدح ثناياه فتركه وقال: لو كان من الرزق المقسوم لشربته[٣].

وهذا من أشد مستويات تمكّن القداسة في ذاته الملكوتية التي هي قطعة ذلك الجامع المنبسط على رجالات بيت الوحي وهو روح الطهارة والعصمة عن الرذائل فتلك ذات لم تمازجها دنيّة ولا ألمّت بها ضعة ولا وصمت برذيلة فراق داعية السبط الشهيد عليه السلام أن لا يعلق به شيء لا يتفق مع عنصره الزاكي وذاته المطهرة ولم يقاربه طيلة عمره ألا وهو شرب الماء المشوب بالدم وإن كان يجوز له ذلك.

لأن الله تعالى اختار لهذه النفوس القدسية المتفانية في نيل مرضاته الداعية إلى كلمته وبرهانه حتى قاست ما لا يدركه العقل

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد.
(٢) الطبري: ج٦، ص٢١١.
(٣) المصدر: ص٢١٢.

من كوارث ومحن في سبيل طاعته أشرف الموت وهو القتل ممنوعين من الورود لتكون الحجة ألزم على أولئك المتمردين على قدس المولى سبحانه الخارجين على حدود سننه وتعاليمه.

في قصر الإمارة

لقد جرى من الكفور الملحد نغل زياد الظلوم المعتدي
ما قد جرى من فاحش الخطاب ومن قبيح الرد والجواب
وغير ضائر عواء الكلب إذا عوى على النجوم الشهب
وكيف يرجى من عدوّ الله في وليّه شيء من التعسف[١]

أُدخل ابن عقيل عليه السلام على ابن زياد وهو على سرير الطغيان والجور ومسلم أسير مكتوف لا يجد أحداً ينجده ولا من يقف دونه فلم يتظاهر بالخضوع لابن مرجانة ولا استلان له واستعطفه بالسلام عليه ولما اعترضه الشرطي بقوله: ألا تسلم على الأمير؟ قال: إنه ليس لي بأمير[٢] ويقال إنه قال: السلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى[٣].

---

(١) المقبولة الحسينية: ص١٤، لشيخنا الحجة الشيخ هادي كاشف الغطاء.
(٢) اللهوف لابن طاووس: ص٣٠.
(٣) المنتخب للطريحي.

أراد بهذه الكلمة تعريف الحضور بأنه مقاوم للسلطة الغاشمة ومناوئ لهذا الجائر حتى عند تضاؤل قواه وانفلات الأمر من يده وعند منصرم العمر ولعل بذلك يتجدد المقت من الأمة على ابن مرجانة وتحتدم القلوب عليه وعلى من ولاّه أمر البلاد فيستطيع حينئذ أن يقول القائل إن داعية الصلاح رافض لحكومة الضلال حتى في أحرج المواقف ولا يهوله شيء من أمرها فلا يفوت أهل الكوفة العلم بمشروعية هذه الولاية وأن الأخوّة التي شرّفه بها سيد الشهداء أخوّة شرف وإيمان والثقة التي فاز بها كما في صك الولاية لا يدرك مداها.

ولم يقتنع مسلم عليه السلام بكل ذلك حتى أخذ يعرّف الناس في ذلك المجلس نفسية عبيد الله وأبيه ومن أجلسه هذا المجلس لتتم الحجة فلا يعتذر أحد بالغفلة والجهل وأن لقوة الجور مفعولاً آخر.

فإنه لما قال له ابن زياد: إيهاً يابن عقيل أتيت الناس وأمرهم واحد فشتت أمرهم وفرقت كلمتهم وحملت بعضهم على بعض! قال: كلا لست أتيت لذلك، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب.

قال ابن زياد: ما أنت وذاك يا فاسق أولم نكن نعمل فيهم بذلك وأنت بالمدينة تشرب الخمر.

قال مسلم: أأنا أشرب الخمر؟ إن الله ليعلم أنك غير صادق وأنك تقول بغير علم وأني لست كما ذكرت وأن أحق بشرب الخمر مني من ولغ في دماء المسلمين ولغاً فيقتل النفس التي حرّم الله قتلها ويقتل النفس بغير النفس ويسفك الدم الحرام ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً.

فقال ابن زياد: إن نفسك تمنيك ما حال الله دونه ولم يرك أهله.

فقال مسلم: فمن أهله؟

فقال ابن زياد: أمير المؤمنين يزيد.

فقال مسلم: الحمد لله على كل حال رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.

فقال ابن زياد: كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئاً.

فقال مسلم: والله ما هو الظن ولكنه اليقين.

فقال ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام!

فقال مسلم: أما إنك أحق من أن تحدث في الإسلام ما لم يكن، وإنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة لأحد من الناس أحق بها منك.

فشتمه ابن زياد وشتم حسيناً وعلياً وعقيلاً!

لقد نضحت آنية ابن مرجانة بما فيها من فحش وخنا وأسمع مسلماً ما لا تحمله الجبال الرواسي فما استهان ولا استلان ولا تكعكع عن إبداء الحقيقة للناس وإيقافهم على مخازيه ومخاريق أبيه وبوائق من استعملهما حتى أحرج الموقف وسدّ المذاهب عليه فلم ير الدعي وسيلة لمقابلة ابن عقيل إلا بسب أمير المؤمنين ذلك الذي يقول فيه رسول الله: يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت وما عرفني إلا الله وأنت وما عرفك إلا الله وأنا[١] يا علي من سبّك فقد سبّني ومن سبني فقد سبّ الله[٢].

ههنا لم يطق مسلم صبراً وإن صبر قبل ذلك على مثل حزّ المدى فقال لابن مرجانة فاقضِ ما أنت قاضٍ يا عدو الله.

---

(١) دار السلام للنوري: ج٢، ص٣٣٨.

(٢) تقدم في الأبحاث السابقة رد سعد على معاوية لما أراد منه أن يسب علياً.

كتم السر

كتم السر من لوازم المروءة فإن في إفشائه إما فضيحة على من أُذيع عنه إن كان ذلك المذاع من الرذائل غير متجاهر بها والله سبحانه يحب الستر على المؤمنين إبقاءً لحيثياتهم في الجامعة وكلاءة لعضويتهم فيها فإن الحط من الكرامة يوجب سقوط محله بين الناس ويعود منبوذاً بينهم فلا يصغى لقوله ولا يحترم مقامه فيختل التكاتف والتعاون على حفظ النظام ويكون ذلك مبدأً لتجرؤ الغير كما هو مقتضى الجبلة البشرية، ومثالاً لنفرة أناس ممن يترفعون عن أمثالها فتسود المنابذة وتحتدم البغضاء وإذا كان المولى سبحانه وهو القابض على أزمّة الخلق القادر على كشف ما انطوت عليه ضمائرهم يستر عليهم ويفيض ألطافه مع التناهي في الطغيان وينادي كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ولما سأل رسول الله ﷺ ربه جل شأنه أن لا يحاسب أمته

بحضرة الملائكة والأنبياء فيطلعوا على عيوبهم قال تعالى يا حبيبي أنا أرأف بعبادي منك وإذا كرهت كشف عيوبهم عند غيرك فأنا أكره أن أكشفها عندك فأُحاسبهم وحدي بحيث لا يطلع على عثراتهم غيري[١].

فإفشاء السر وإذاعته ممنوع منه سواء كان فيه العيب والنقص على الشخص بخروجه عن قانون الشريعة أو لم يكن فيه العيب لأن في إذاعة السر إيذاءً له وهتكاً لحرمته وخيانة لما استودع له فإن الحديث بين الناس أمانة[٢] إذاً فهو محرم بجميع أقسامه سواء كان بالغيبة أو النميمة أو بالإفضاء لمن لا يرضى صاحب السر عليه غيره لكونه إيذاءً له فلا يوصف به مؤمن فاضل ولا إنسان كامل إلا من ضربت الخسة في عنصره ومدت الدناءة فيه عروقها.

ومن هذا تعرف كيف بلغ اللؤم ورداءة المنبت بعمر بن سعد حين أفضى بالسر الذي أودعه عنده مسلم بن عقيل وذلك أن ابن عقيل طلب من ابن زياد أن يوصي إلى بعض قومه فأذن له فنظر إلى الجلساء فرأى فيهم ابن سعد فقال له إن بيني وبينك قرابة ولي إليك حاجة ويجب عليك نجح حاجتي وهي سر فأبى أن يمكنه

---

(١) جامع السعادات: ص٣٣٩، طبع إيران.

(٢) المصدر: ص٣٤٠.

من ذكرها فقال ابن زياد لا تمتنع من النظر في حاجة ابن عمك فقام معه بحيث يراهما ابن زياد فأوصاه مسلم عليه السلام أن يقضي من ثمن سيفه ودرعه ديناً استدانه منذ دخل الكوفة يبلغ ستمائة درهم[١] وأن يستوهب جثته من ابن زياد ويدفنها وأن يكتب إلى الحسين يخبره.

فأفشى ابن سعد جميع ذلك إلى ابن زياد فقال ابن زياد لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن[٢].

لم يفت مسلماً ما عليه ابن سعد من لؤم العنصر وأنه سيفشي بسره بين الملأ لكنه أراد تعريف الكوفيين بأن هذا الذي يعدّونه من كبرائهم ويتبجح بأن أباه فاتح البلاد هذا حدّه من المروءة وموقفه من الحفاظ فلا يغتر به أحد إذا تحيّز إلى فئة أو جنح إلى جانب فإنه لا يهوى إلا مثله وهناك دقيقة أُخرى لاحظها مسلم في هذه الوصية وهي الإرشاد إلى أنه ومن يعقبه من الرهط الهاشمي لم يقصد هذا المصر لاستنزاف أموالهم وإنما جاؤوا منقذين وملبين لدعوتهم ونشر الإصلاح فيهم وأول شاهد على ذلك أنه أيام إقامته بالكوفة لم يمدّ يده إلى بيت المال على أنه جاء والياً

---

(١) في الأخبار الطوال: ص٢٤١، يبلغ ألف درهم وفي تاريخ الطبري: ج٦، ص٢١٢، يبلغ سبعمائة درهم.

(٢) الإرشاد.

يتصرف كيف شاء وتحت يده ما يجمع من المال إلا أنه قضى أيامه البالغة أربعة وستين يوماً بالاستدانة وهكذا ينبغي أن يسير أولياء الأمور فلا يتخذون مال الفقراء مغنماً وأين من يفقه هذه الأسرار.

الشهادة

لما أكثر مسلم عليه السلام من الطعن على ابن زياد في حسبه ونسبه أمر رجلاً شامياً[١] أن يصعده إلى أعلى القصر ويشرف به على موضع الجزارين[٢] ويضرب عنقه ويرمي بجسده ورأسه إلى الأرض فأصعده الشامي ومسلم يسبّح الله ويكبّره ويستغفره ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغرونا وخذلونا وقتلونا[٣] ثم صلى ركعتين[٤] وتوجه نحو المدينة وسلّم على الحسين[٥] فضرب الرجل عنقه ورمى بجسده إلى الأرض كما

---

(١) مقتل الخوارزمي ومنه يعرف الاضطراب في نقل ابن جرير فإنه نص على أن بكيراً الأحمري هو الذي أصعده إلى أعلى القصر وقبل هذا ذكر أن مسلماً ضربه على عاتقه حتى كادت أن تطلع إلى جوفه ومثل هذا الجريح هل يستطيع القيام بقتله.

(٢) في إرشاد الشيخ المفيد موضع الحذائين.

(٣) الطبري: ج٦، ص٢١٣.

(٤) رياضي المصائب: ص٦٨.

(٥) أسرار الشهادة: ص٢٥٩.

أمره ابن زياد[١] ونزل مذعوراً فسأله ابن زياد عما دهاه قال رأيت ساعة قتله رجلاً أسود سيئ الوجه حذائي عاضاً على اصبعه فقال له: لعلك دهشت![٢] قصداً لتعمية الأمر على الجالسين حوله لئلا يفشو الخبر فتزداد عقيدة الناس بداعية الحسين عليه السلام، ولعل الأمر ينتكث عليه لأن النفوس متكهربة بولائهم ولهم العقيدة الراسخة بفضلهم الكثار.

وهنا نقلٌ آخر في قتله، وهو أنه دفعه إلى الأرض على أم رأسه فتكسر وكانت فيها شهادته[٣] ولانفراد ناقله ونص المؤرخين على الأول مما يبعده.

ثم أمر ابن زياد بهاني بن عروة فأُخرج مكتوفاً إلى مكان من السوق يباع فيه الغنم فنادى: وا مذحجاه ولا مذحج لي اليوم وا مذحجاه ولا مذحج لي اليوم، فلما رأى أن أحداً لا ينصره انتزع يده من الكتاف ونادى: ألا عصا أو سكين أو عظم أو حجر يذب به رجل عن نفسه، فوثبوا عليه وأوثقوه كتافاً فقيل له مدّ عنقك قال ما أنا بسخيّ بها ولا معينكم على نفسي فضربه رشيد مولى لابن زياد تركي فلم تعمل فيه فقال هاني إلى الله المعاد اللهم إلى

---

(١) ابن الأثير: ج٤، ص١٥.
(٢) اللهوف لابن طاووس: ص٣١.
(٣) تظلم الزهراء: ص٢٦٨.

رحمتك ورضوانك ثم ضربه أُخرى فقتله.

وهذا العبد رآه عبد الرحمن بن حصين المرادي مع ابن زياد في وقعة (الخازر) فثأر بهاني وحمل عليه بالرمح فقتله[١].

بعد الشهادة

غير خافٍ أن الغاية العقلية من الحرب والقتل محصورة بكف ضرر المودى به واتقاء شرّه والتقصير من مدى تأهبه لإيذاء المقاتل ونصب العراقيل دون مسعاه فمتى غلب عليه بإزهاق نفسه أمن القاتل من بلواه واطمأن مما كان يحذر منه وحينئذ تكون الزيادة على القتل بالهتك والمثلة خروجاً عن ناموس المروءة والعاطفة البشرية ولا يأتي به إلا من كان دنيء الأصل لئيم العنصر لأن الضرورات تقدر بقدرها ولا شيء أوفى لقمع الخطر والضرر من القتل إذاً فالزيادة مذمومة عند العقلاء مبغوضة عند الشارع حتى في الحيوانات ففي حديث النبي ﷺ: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور، بل جاء النهي عن ضرب وجه الدابة لكون الزجر يحصل بما دونه.

ولذلك لم يذكر أحد من المؤرخين أن النبي في مغازيه مثَّل بالمشركين ولما تمكّن أمير المؤمنين عليه السلام من عمرو بن عبد ود لم

---

(١) الطبري: ج٦، ص٢١٤.

يمثّل به كما لم يسلبه مع ما عليه من الكفر والإلحاد وفي وصيته للحسن عليه السلام لما ضربه ابن ملجم: ولئن قتلت فضربة مكان ضربة ولئن عفوت فأنت وليّ الدم ولا تمثلن بالرجل فإني سمعت رسول الله يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور[١].

هذه وصايا الشريعة المطهرة باحترام الميت ولكن هل من مسلم يفقه هذه الدرر الثمينة والعجب ممن يتسنّم منبر الدعوة الإلهية ثم يمشي متردداً في حنادس الظلم ما شاء له الهوى ولا عجب من الأمويين وعمالهم إذا خالفوا قوانين الإسلام فإنهم ما أسلموا ليهتدوا وإنما استسلموا فرقاً من البوار أو تحكماً في الأموال والنفوس.

وليس بالغريب إذا أمر ابن زياد بسحب مسلم وهاني من أرجلهما في الأسواق[٢] ثم صلبهما في الكناسة منكوسين[٣] وأنفذ الرأسين إلى يزيد بن معاوية مع هاني بن أبي حية الوادعي والزبير بن الأروح التميمي وكتب معهما:

أما بعد فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه وكفاه مؤونة عدوه وأُخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن مسلم بن عقيل لجأ

---

(١) كتاب سليم الهلالي.

(٢) المنتخب للطريحي.

(٣) ابن شهر آشوب: ج٢، ص٢١٢.

إلى دار هاني بن عروة المرادي وإني جعلت عليهما العيون ودسست إليهما الرجال وكدتهما حتى استخرجتهما وأمكن الله منهما فقدمتهما وضربت عنقيهما وبعثت إليك برأسيهما مع هاني ابن أبي حية الوادعي والزبير بن الأروح التميمي وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة فليسألهما أمير المؤمنين عما أحب من أمر فإن عندهما علماً وصدقاً وفهماً وورعاً والسلام.

فكتب إليه يزيد:

أما بعد فإنك لم تعدُ أن كنت كما أُحب عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش فقد أغنيت وكفيت وصدقت ظني بك ورأيي فيك وقد دعوت رسوليك فسألتهما وناجيتهما فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت فاستوصِ بهما خيراً وإنه قد بلغني أن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق فضع المناظر والمسالح واحترس على الظن وخُذ على التهمة غير أن لا تقتل إلا من قاتلك واكتب إليّ في كل ما يحدث من الخبر والسلام عليك[١].

ثم أمر يزيد بالرأسين فنصبهما في درب من دروب دمشق[٢].

---

(١) الطبري: ج٦، ص٢١٤.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص٢١٢.

تاريخ الشهادة

الأقوال في يوم شهادة مسلم عليه السلام على ثلاثة:

(الأول) يوم الثالث من ذي الحجة سنة ستين نص عليه أبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال: ص **٢٤٢**، ويظهر من ابن طاووس الموافقة له فإنه قال في اللهوف: ص **٣٣** طبعة صيدا: توجه الحسين من مكة يوم الثلاثاء لثلاث مضين من ذي الحجة، وقال بعد ذلك: كان خروجه من مكة في اليوم الذي قتل فيه مسلم.

(الثاني) يوم الثامن من ذي الحجة قال به الوطواط في غرر الخصائص ص **٢١٠** وهو الظاهر من تذكرة الخواص ص **١٣٩** وتاريخ أبي الفدا ج١، ص **١٩٠**، قالا قتل مسلم لثمانٍ مضين من ذي الحجة وتذكير العدد يراد منه الليلة لنص أهل العربية أن العدد يذكّر مع المؤنث ويؤنّث مع المذكّر.

(الثالث) يوم عرفة نص عليه المفيد في الإرشاد والكفعمي في المصباح والمجلسي في مزار البحار: ص **٩٩**، وهو الظاهر من ابن نما في مثير الأحزان وتاريخ الطبري: ج٦، ص **٢١٥**، ومروج الذهب: ج**٢**، ص **٩٠** قالوا: وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثامن من ذي الحجة والمفروض أنه قُتل في ثاني يوم خروجه.

وحكى المسعودي قولاً في مروج الذهب أنه خرج يوم التاسع من ذي الحجة وإذا كان قتله في ثاني يوم خروجه تكون شهادته يوم الأضحى.

وعلى كل فمدة بقائه بالكوفة أربعة وستّون يوماً تقريباً لأنه كما مرّ عليك دخل الكوفة في الخامس من شهر شوال.

المرقد الأخير

لقد عرف الناس مسلم بن عقيل عليه السلام في بيته وحسبه ومروءته وفضائله منذ عهد الصبا إلى أن بلغ مبالغ الرجال المحنكين وقد وعوا كلمة الحسين عليه السلام في صك ولايته لكن ابن مرجانة من جراء ما تردى به من لؤم العنصر وخبث المنبت ودعارة الطبع حسب أنه سوف يحط شيئاً من كرامته الصورية عساه يتوصل به إلى تحطيم مبدئه وإخماد ذكره فأمر بمسلم وهاني بعد القتل أن يُسحبا من أرجلهما في الأسواق والجوادّ قضية لؤم الغلبة ودناءة المحتد.

وبعد أن بلغ الغاية فيما حسب أمر بدفنهما بالقرب من دار الإمارة لتستمر رقابة الشرطة عليهما فلا يقصدهما أحد بالزيارة ولا يحضر هناك مؤبن لهما ولا تلم بهما النوادب لأنه يعلم أن الكوفة بطبعها الأولي علوية الرأي على العكس من البصرة والشام فإن الأولى عثمانية والثانية أموية.

والكوفة وإن تأثرت بالسياسات الزمنية لكنها في نفس الحالة

قد تراجعها نفسها بمرتكزاتها الأولية فيعروها الندم فتتحول تلكم الهواجس ندباً وتأبيناً ويتسبب منهما فك عرى الطاعة للسلطان ويعود القبول في ما ارتكبه الوالي هياجاً في الأفئدة وحرباً وجلاداً فينتقض فتله ويتلاشى كل ما دبره من إطفاء النائرة والحصول على الغاية.

ولقد خاب الدعيّ وفشل لئن أخمد فورة مسلم أو قل ونهضة سيد الشهداء في ما زعم ذلك اليوم ولم يقف في وجه المنكر الذي ارتكبه أي أحد غير العقيلة زينب وبنات أمير المؤمنين عليه السلام فلقد وافاه المستقبل بما كشف عن بوادره وبوار من دعا إليه من طواغيت الشام يوم قام التوابون في وجهه ويوم وثبة غلام ثقيف الذي أخبر سيد الشهداء يوم الطف عنه إذ قال: (وكأني بغلام ثقيف يسقيكم كأساً مصبّرة) فأجهزت عليه ضربة ابن الأشتر وألحقته بأميره الذي دعا إليه.

وإن ما ذكرناه من الهاجسة التي حسب لها الوالي حسابه ولها وضع القبرين بالقرب من قصره شيء مطرد عند الولاة والحكام فإنهم لا يدعون أحداً يقرب ممن نكّلوا بهم إذا كان لهم شأن بين الأمة حذراً من تأثر النفوس واحتدام القلوب بتذكر ما جرى عليهم فتثور العواطف وتصبح الحالة مضطربة من جميع جهاتها.

ويشهد لذلك حديث الحسين ابن بنت أبي حمزة الثمالي فإنه

يعطينا صورة واضحة عما عليه الأمويون من الجد في منع الناس من إتيان قبر الحسين ولو لم يكن السبب الوحيد ما أشرنا إليه من خوف الأمراء من اضطراب الحالة عليهم وهياج الأمة عندما يتذكرون الفوادح الجارية عليه وإلا فأين الحسين وأين خلافة المروانيين.

قال الحسين خرجت في آخر دولة بني مروان إلى زيارة الحسين عليه السلام مستخفياً من أهل الشام ولما وصلت كربلا وأردت الدخول إلى القبر خرج إلي رجل ومنعني منه فقلت يا هذا لا تحل بيني وبين القبر فإني أخاف إذا طلع الصبح يقتلوني أهل الشام فقال الرجل إن موسى بن عمران استأذن ربه في سبعين ألفاً من الملائكة لزيارة الحسين فهم من أول الليل إلى طلوع الفجر. وبعد الفجر جئت إلى الزيارة فلم أرَ أحداً[١].

وجاء دور الرشيد فزاد على ما عليه المروانيون فإنه قطع السدرة التي هي عند قبر الحسين والزوار يستظلون تحتها وقد لعن النبي قاطع السدرة ثلاث مرات فلم يفهم الناس معنى الحديث إلى أن قطعها الرشيد[٢].

وحديث المتوكل العباسي متواتر عند المؤرخين فقد وضع

---

(١) كامل الزيارة: ص١١١.

(٢) أمالي ابن الشيخ الطوسي.

المسالح لذلك وفي سنة ٢٤٧ أرسل قائداً ومعه جند لمنع الناس من إتيان قبر الحسين فرأى خلقاً مجتمعين عنده ولهم سوق كبير فنادى: برئت الذمة ممن بقي هنا فتفرق الناس وفي هذه السنة أجرى الماء على القبر لإطفاء نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره فحار الماء واستدار على قبر المنحور على مجزرة الدعوة الإلهية ممنوعاً من الورود.

وهذا كله حذراً على الدست الذي اغتصبوه من آل رسول الله فإنهم علموا أن ذلك الاجتماع يوجب التعريف بمبدأ الحسين وسلفه إما بكلمة تلقى أو قريض يرتل أو أنشودة يصدح بها أو نوادب تجيش الأفئدة وتستفز الحلوم وفي خلال ذلك يعرف فضل العترة الطاهرة ووصايا الرسول بهم وأوامره بالأخذ بحجزتهم والتنديد بظالمهم والبراءة منهم فيعتكر حينئذ صفو الخلفاء ويقلق جوهم الهادئ وربما تكلفهم الحالة مقاساة معارك دامية.

هكذا صوّرت لهم أحلامهم وما صوّرت إلا حقيقة ناصعة كفلق الصباح فمنعوا الناس من المثول في (مجزرة الحقائق) ومشهد الطف.

لكن شيعة الحسين من ناحية تحفُّظهم على المبدأ القويم وتهالكهم في القيام بوصايا النبي بآله الأطهرين وطّنوا أنفسهم على كل ما يجري عليهم من القتل وقطع الأيدي والإرهاب دون

مقصدهم الراقي وضالتهم المنشودة فلم يتركوا المثول عند المرقد الأقدس.

وقد روى الشيخ الطوسي في (الأمالي) أن في سنة **٢٣٧** أنفذ المتوكل قائداً من قواده ومعه جند ليمنع الزائرين فرأى خلقاً كثيراً وثار إليه الناس وقالوا لو قتلتنا بأجمعنا لما أمسك من بقي منا عن زيارته فكتب بذلك إلى المتوكل فأمره بالكف عنهم مخافة أن يتسبب بما لا يحمد عقباه.

ثم إن الشيعة لم يقتصروا على أداء حق الحسين في الزيارة فقط بل طفقوا يعقدون الأندية والمحتشدات سرية وعلنية حسب مقتضيات الظروف والأحوال لتذكر ما جرى على آل الرسالة من القساوة الشائنة فلاقوا من أعدائهم القتل والنهب والحرق فلم يبالوا بكل ذلك حتى تسنّى لهم الحصول على طلبتهم من تدمير صروح النعرة الأموية في شتى الوسائل.

ثم لا تزال الشيعة يكثر عددها ويقوى أمرها حتى جاء منهم ملوك ووزراء وولاة وعلماء مجاهدون فتفننوا في توسيع دائرة الذكريات إلى حفلات تعقد في الأفراح والأحزان ومواكب تجول في الطرقات فيها تمثيل تلك المأساة الدامية إلى أن نمت بذرة الحق فأثمرت الولاء الأكيد لأهل البيت وفي القلوب عداء محتدم للأمويين نسباً ومذهباً فنسيتهم الأمة إلا عند كل سبّة فكأن وعاء

الدهر لم يقبل منهم أحداً أو أنهم حديث أمس الدابر.

وهذا الذي ذكرناه في دفن مسلم وهاني حول القصر اعتبار لم يبعد عن الحقيقة ولسنا نعتمد عليه فقط في إتيان هذا المشهد المطهر وإنما المستند الوحيد هو سيرة العلماء والصلحاء والشيعة عامة المتصلة بزمان المعصومين في المثول في هذا الموضع المقدس الذي لم تزل الكرامات تصدر ممن ثوى فيه فلم يؤمه مريض إلا عُوفي ولا طالب حاجة إلا قضيت ولا تجرأ عليه متمرد باليمين الكاذبة إلا عاد بالخيبة والخسران وهذه السيرة دليل قطعي في كل مشهد ولولاها فأي مشهد يمكننا تعيينه من دون نقاش.

زوجاته وأولاده

تزوّج مسلم عليه السلام رقية بنت أمير المؤمنين عليه السلام فولدت له عبدالله وعلياً[١] ومحمد من أم ولد[٢] وأما مسلم وعبد العزيز فلم يعين ابن قتيبة أمهما وله بنت اسمها حميدة أمها أم كلثوم الصغرى بنت أمير المؤمنين[٣] وحيث لا يصح الجمع بين الأختين فلا بد من فراق إحداهما أو موتها وتزوج حميدة ابن عمها وابن خالتها عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب وأمه زينب الصغرى بنت أمير المؤمنين وكان شيخاً جليلاً محدثاً فقيهاً عدّه الشيخ الطوسي من رجال الإمام الصادق عليه السلام وجزم الترمذي بصدقه ووثاقته وخرج حديثه في جامعه كما احتج به أحمد بن حنبل والبخاري وأبو داود وابن ماجة القزويني مات سنة ١٤٢[٤] وولدت حميدة

---

(١) المعارف: ص٨٨.

(٢) مقاتل أبي الفرج: ص٣٧، ط إيران.

(٣) عمدة الطالب: ص١٦، ط النجف.

(٤) تهذيب التهذيب: ج٦، ص١٥.

محمداً أعقب من خمسة: القاسم وعقيل وعلي وطاهر وابراهيم[١].

فأولاد مسلم الذكور خمسة: عبدالله ومحمد استشهدا يوم الطف واثنان قتلا بالكوفة ولم نقف على شيء من أمر الخامس.

وكان من حديث المقتولين بالكوفة ما يحدث به الشيخ الصدوق عن رجاله: قال أُسر طفلان من عسكر الحسين فجيء بهما إلى ابن زياد فدفعهما إلى رجل وأوصاه بالتضييق عليهما حتى في الطعام والشراب فمكثا في الحبس سنة فقال أحدهما للآخر لقد طال الحبس بنا ويوشك أن تفنى أعمارنا فإذا جاء الشيخ فأعلمه بمكاننا من رسول الله لعله يوسع علينا ولما جاء الرجل سألاه هل تعرف محمد بن عبد الله قال هو نبيّي ثم سألاه عن جعفر الطيار قال إنه الذي أنبت الله له جناحين يطير بهما مع الملائكة فسألاه عن علي بن أبي طالب قال إنه ابن عم رسول الله.

فقالا له نحن من عترة رسول الله نبيّك ومن أولاد مسلم بن عقيل وقد ضيقت علينا حتى في الطعام والشراب.

فانكب الرجل عليهما يقبّلهما ويعتذر من التقصير معهما مع ما لهما من المنزلة من رسول الله ثم قال لهما إذا جن الليل أفتح

---

(١) عمدة الطالب: ص١٧.

لكما باب السجن وخذا أي طريق شئتما ولما أن جاء الليل أخرجهما وقال سيرا في الليل واكمنا في النهار حتى يجعل الله لكما من أمره فرجاً.

فهرب الغلامان ولما أن جنّ عليهما الليل انتهيا إلى عجوز كانت واقفة على باب دارها تنتظر ختناً لها فوقفا عليها وعرّفاها بأنهما غريبان من عترة رسول الله لا يهتديان إلى الطريق واستضافاها سواد هذه الليلة.

فأدخلتهما البيت وقدمت لهما الطعام والشراب فأكلا وشربا وباتا راجيين للسلامة واعتنق أحدهما الآخر وناما وفي تلك الليلة أقبل ختن العجوز وقد أجهده الطلب للغلامين وقصّ على العجوز هرب الغلامين من سجن ابن زياد وأنه نادى في عسكره من أتاه برأسيهما فله ألفا درهم.

فحذّرته العجوز من العذاب الأليم ومخاصمة جدهما محمد وأنه لا فائدة في دنيا لا آخرة معها فارتاب الرجل من هذا الوعظ وظن أن الغلامين عندها ولما ألحّ على أن تخبره بما عندها وهي كاتمة عليه أمرها أخذ يفحص البيت عنهما فوجدهما نائمين فقال لهما: مَن أنتما؟ قالا إن صدقناك فلنا الأمان؟ قال نعم، فأخذا عليه أمان الله وأمان رسوله ثم جعلا الله عليه شهيداً ووكيلاً فأوقفاه على حالهما.

وعند الصباح أمر غلاماً له أسود أن يأخذهما إلى شاطئ الفرات ويذبحهما ويأتيه برأسيهما فلما أخذهما الغلام قالا له: يا أسود ما أشبه سوادك بسواد بلال مؤذن رسول الله أتقتلنا ونحن عترة نبيك، وقصّا عليه قصتهما في السجن وما لاقياه من النصب حتى أضافتهما العجوز.

فرقّ الغلام لهما واعتذر منهما ورمى السيف وألقى نفسه في الفرات وعبر إلى الجانب الآخر فصاح به مولاه: عصيتني، فأجابه: أنا في طاعتك ما دمت لا تعصي الله فإذا عصيت الله فأنا بريء منك.

فلم يتعظ الرجل ولا رقّ لهما بل دعا ابنه وقال له: إنما أجمع الدنيا حلالها وحرامها لك والدنيا محرص عليها فاضرب عنقي الغلامين لأحظى برأسيهما عند ابن زياد، ولما وقف عليهما الولد قالا له: يا شاب أما تخاف على شبابك من نار جهنم ونحن عترة رسول الله محمد، فرقّ الولد لهما وفعل مثل العبد.

فقال الرجل أنا أتولى ذبحكما فقال له الغلامان: إن كنت تريد المال فانطلق إلى السوق وبعنا ولا تكن ممن يخاصمك محمد في عترته، فما ارعوى عن غيّه فقالا له: انطلق بنا إلى ابن زياد ليرى فينا رأيه، فأبى قالا: أما ترعى حرمة رسول الله في آله، فأنكر قرابتهما من النبي، فاستعطفاه لصغر سنهما فلم يرقّ قلبه.

فطلبا منه أن يصليا لربهما سبحانه فقال صليا إن نفعتكما الصلاة وبعد أن فرغا رفعا أيديهما إلى الله سبحانه وهما يقولان: يا حي يا حليم يا أحكم الحاكمين احكم بيننا وبينه بالحق.

فقدّم الأكبر وذبحه فتمرغ الأصغر بدمه وقال: هكذا ألقى رسول الله وأنا مخضب بدم أخي ثم ضرب عنقه ورمى ببدنهما في الفرات وأقبل بالرأسين إلى ابن زياد وقصّ عليه ما شاهده منهما.

فاستجاب الله تعالى دعاءهما وحرمه الدنيا والآخرة إذ قال ابن زياد له: إن أحكم الحاكمين حكم بقتلك وأمر به فأُخذ إلى الموضع الذي قتل فيه الغلامين فضربت عنقه ونصب رأسه على قناة والصبيان يرمونه بالحجارة ويقولون هذا قاتل ذرية رسول الله[1].

وحكى في رياض الأحزان: ص ٣، عن المناقب أنهما من ولد جعفر الطيار اسم أحدهما محمد والآخر ابراهيم.

وإن السيرة بين الشيعة على المثول بمشهدهما الواقع بالقرب من (المسيب) تفيد القطع به وبناءً على ما أفادته الرواية من إلقاء بدنهما في الفرات يكون هذا الموضع إما محل القتل وإما أنهما أُخرجا فدفنا هناك.

---

(١) أمالي الصدوق: ص٥١، مجلس ١٩.

والتأمل في الرواية يفيد بأنهما لم يأتيا دار العجوز في الليلة التي هربا فيها من السجن فإن غاية ما تنص عليه أن ختن العجوز قال لها إن ابن زياد نادى في عسكره بهرب الغلامين وجعل لمن أتاه برأسيهما ألفي درهم وقطعاً لم يعلم ابن زياد بهربهما في تلك الليلة فلا بد أن يكون في صباحها كما لم يعلم مجيء ختن العجوز إلى الدار هل هو في الليلة الثانية أو بعدها لأنه كان بصدد التفتيش عنهما فالتشكيك في الرواية من جهة بعد الموضع الذي قتلا فيه عن الكوفة التي هي محل حبسهما إنما يتجه لو فرض قبض الرجل عليهما في الليلة التي هربا فيها، وأما مع احتمال عثوره عليهما في ما بعدها بأكثر فلا.

ثم إن الرواية لم تنص أيضاً على كون الحبس في نفس البلد فاحتمال بعض العلماء على أن يكون ابن زياد دفعهما إلى الرجل على أن يحبسهما ولو في بيته الخارج عن الكوفة وأنه لم يكن بعيداً عن موضع قتلهما بكثير متجه.

ولو إنّا ماشينا من ينكر هذه الرواية لبعض الاحتمالات فلا نوافقه على الالتزام ببطلان نسبة هذا المشهد إلى ولدي مسلم عليه السلام فإن سيرة الشيعة والشهرة بينهم تحقق كون المشهد المعروف لولدي مسلم على الإجمال ولم يحصل الشك في أدوارهم اتباعاً للخلف على طريقة السلف حتى كثرت زرافات الزائرين لهما تقرباً إلى الله تعالى مع النذور المهداة إليهما والعمارة المتجددة حول

القبرين على نحو غير واحد من المشاهد المحقق ثبوتها، وكل هذا بمشهد من العلماء فلا يعتنى حينئذ بمن تأخذه الوسوسة إلى مناحي ممقوتة كما هو شأنه في جملة من المظاهر والمشاعر.

الاحتفال بأمر مسلم

إن الإشادة بذكر عظماء الرجال مما جرى عليه العقلاء شكراً لجميلهم الذي أسدوه إلى الأمة وتنشيطاً لمن بعدهم وتشويقاً لهم على أن ينهضوا بمثل أعمالهم وحتى يكون ذلك فاتحة لنشر تعاليمهم وتلقّي علومهم واقتفاء آثارهم في الأخلاق والحكمة والتذكير بمبادئهم الملائمة للإصلاح وتوطيد السلام والوئام وما فيه جمام النفس وهدوء المجتمع وسعادة البشر دنياً وآخرة.

ولو علم الناس ما في الأخذ بالتعاليم الأحمدية وأن الاحتذاء لأثر آل محمد يعود عليهم بالزلفى المباركة لسروا إليهم وانسابوا إلى ساحتهم ولو حبواً على الركب فإن عندهم المثل العيا والحكم البالغة والغرائز الكريمة والتعاليم الكافلة لرقي الجامعة الإسلامية وتهذيب أفراد المجتمع الحافظ لها عن الملاشاة والتقهقر ولعادت أمة الإسلام أرقى الأمم وأطولها باعاً وأبسطها يداً غير أن خسة الطباع وقصر النظر وضؤولة التفكير وقفت بهم عن السعادة في الحياة.

وغير خفي أن داعية الحسين مسلم بن عقيل من أولئك الرجال الذين يجب أن يخلد ذكرهم ويقتص أثرهم فهو صريحة هاشم وسري من سروات المجد من آل محمد وقد استصلحه سيد الشهداء للنيابة عنه في الكوفة ثقة منه بعلمه وتقواه وعقله وبسالته وكرمه فأقبل عليه السلام ناشراً لواء العدل ليكتسح الجور ويكبح جماح الضلال بيد أن نزعات الباطل حالت دون إقامته الأمت وتثقيفه الأود فاستشهد دون إكمال رسالته ولكنه خلف من بعده هتافاً عالياً يسمع الصخر الأصم وعقيرته مرتفعة بين لابتي العالم تعيها أُذن واعية بأن الحق في دعوة سيد الشهداء وأن الباطل في من ناوأه وأن مبدأً صحيحاً كهذا يجب أن يضحى دونه بالنفس والنفيس ويرخص في سبيله ذلك الدم الغالي الزاكي، دم مسلم بن عقيل ومن يحذو حذوه من المجاهدين أعضاد الحفاظ الديني ورواد الصالح المدني.

المأتم:

فمن الاحتفال بأمره الكاشف عن الخضوع لخطته والمصافقة على ارتياد مبدئه عقد المأتم له وتذكار ما تلفع به من مكارم الأخلاق وما جرى عليه من الكوارث على حد فضله الكثار وقد قابل تلكم المحن بالصبر والثبات فلم يعطِ سريّ هاشم وليث أبي طالب المقادة عن ذلة ولا نكص على عقبه فرقاً ولم يفتأ مكافحاً كما شاء له الحفاظ حتى أمسى رافلاً بحلة الشهادة بين ذلك الجيل القدسي الزاهر.

فعلى مثل مسلم فليبكِ الباكون وليضجَّ الضاجّون كيف لا وقد بكى عليه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يُقتل وعدّ البكاء عليه من علائم الإيمان كما في حديث ابن عباس أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام قال لرسول الله: أتحب عقيلاً؟ قال: إي والله أحبه حبين حباً له وحباً لحب أبي طالب له وإن ولده لمقتول في محبة ولدك تدمع عليه عيون المؤمنين وتصلي عليه الملائكة المقربون، ثم بكى رسول الله وقال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي[1].

وهذا النص كافٍ في رجحان البكاء عليه لمن يتطلبه بالخصوص فإن إخبار النبي عن بكاء أمير المؤمنين عليه وارد لبيان كونه محبوباً له لأنه رتَّبه على شهادة مسلم المسببة عن محبة الحسين ثم قرن البكاء بصلاة الملائكة المقربين وهل يصح القول بأن صلاة الملائكة عليه غير محبوبة لله سبحانه فإذاً بكاء المؤمنين وصلاة الملائكة على مسلم المترتبان على شهادته مما يرغب فيه الرسول وهو محبوب لله سبحانه.

ولفظ الحديث وإن لم يذكر فيه مسلم صريحاً لكنّا نعلمه من إفراد لفظ القتل في قوله (وإن ولده لمقتول) ولو كان يريد أولاده أجمع لقال (وإن ولده لمقتولون) ثم تعقيبه بالضمائر المفردة شاهد آخر.

---

(١) المجالس: مجلس ٧٧، ص٢٧.

على أن النبي بكى عليه قبل شهادته وبكاؤه حجة في الرجحان ولو لم يقترن براجح آخر فكيف وقد قرنه بالشكوى إلى الله تعالى مما تلقاه عترته من بعده.

ثم إن الأحاديث العامة في البكاء لمن تذكر مصابهم وما جرى عليهم من الظلم كافية في رجحان البكاء عليه ففي بعضها عن الصادق عليه السلام: من دمعت عينه فينا دمعة لدم سُفك لنا أو حق لنا نقصناه أو عرض انتهك منا أو لأحد من شيعتنا بوأه الله بها في الجنة حقباً.

ويقول لفضيل: من ذكرنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له، وفي حديث الأربعمائة أن أمير المؤمنين عليه السلام قال إن الله تعالى اطلع إلى الأرض فاختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا أولئك منا وإلينا.

ومن هذا العموم نستفيد رجحان البكاء على أولاد المعصومين أيضاً ممن كانت نهضته وهتافه بين الأمة لإحياء أمر الأئمة والدعوة إليهم حتى جرى عليهم من الظلم بإزهاق النفوس والتنكيل بالحبوس ما تسيخ له الجبال فاستدرار الدموع لمظلومية هؤلاء المتسببة عن مظلومية أهل البيت يكون مشمولاً لهذه الأحاديث قطعاً.

الزيارة

ومن الاحتفال بأمر مسلم عليه السلام قصد مشهده بالزيارة خصوصاً يوم مقتله وهو التاسع من ذي الحجة وتلاوة ألفاظ الزيارة المأثورة التي نص عليها العلماء الثقات كابن المشهدي الذي هو من أعيان القرن السادس والشريف النقيب رضي الدين ابن طاووس الذي هو من أعيان القرن السابع فقد ذكر الأول في (المزار الكبير) والثاني في (مصباح الزائر) إذناً للدخول في الحرم المطهر وأوله: **الحمد لله الملك الحق المبين المتصاغر لعظمته جبابرة الطاغين المعترف بربوبيته جميع أهل السموات والأرضين المقر بتوحيده سائر الخلق أجمعين وصلى الله على سيد الأنام وأهل بيته الكرام صلاة تقر بها أعينهم ويرغم بها أنف شانئهم من الإنس والجن أجمعين.**

سلام الله العلي العظيم وسلام ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين وأئمته المنتجبين وعباده الصالحين وجميع الشهداء والصديقين والزاكيات الطيبات فيما تغتدي وتروح عليك يا مسلم

بن عقيل بن أبي طالب، إلى قوله: قتل الله أُمة قتلتكم بالأيدي والألسن.

وأما الزيارة في داخل الحرم فأولها: **السلام عليك أيها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام الحمد لله على عباده الذين اصطفى محمد وآله، إلى قوله: فجمع الله بيننا وبين رسوله وأوليائه في منازل المخبتين فإنه أرحم الراحمين.**

وبعد الفراغ من الزيارة يصلي ركعتين ويهديهما له.

ويقول بعد الفراغ منهما: **اللهم صلِّ على محمد وآل محمد ولا تدع لي ذنباً إلا غفرته، إلى قوله: إلا قضيتها يا أرحم الراحمين.**

وعند وداعه يقف على القبر ويقول: **أستودعك الله وأسترعيك وأقرأ عليك السلام،** إلى قوله: **فإني قد رضيت بذلك يا رب العالمين.**

وقد اتفق هذان العالمان على هذه الآداب والسنن في مزاريهما اللذين لم يزالا مخطوطين حتى اليوم إلا في ابتداء سلام الإذن فقد ابتدأ ابن المشهدي من قوله: سلام الله العلي العظيم وسلام ملائكته المقربين.

ومن أراد الوقوف عليهما فلينظر مزار البحار للمجلسي أعلى الله مقامه فقد طابقنا (المزارين) مع ما نقله عنهما فلم يكن فيه تغيير[١].

وإن في ذلك من التنويه بمقامه الرفيع وموقفه الشامخ وفضله الجم ومصائبه المؤلمة ما يلين الأفئدة ويستدر الدموع ويوصل إلى ما وصفناه من الغايات الكريمة وظاهر تلكم الآداب والسنن كونها مأثورة لأن سردها مرتبة كما في زيارات المعصومين عليهم السلام لا يمكن صدوره من علماء الدين بلا تخريج عن الأئمة بحيث يكون الداعي إلى ترتيب تلك الآداب محض الاستحسان والمناسبة لأن في الإقدام على هذا بعنوان أنه من الشريعة يستلزم الوقوع في ورطة البدعة التي لا تقال عثرتها وحاشا علماء المذهب الصحيح ارتكاب ما لم يرد من الشرع كيف وهم يقرأون ليلهم ونهارهم قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ومما يشهد لذلك أن الشيخ الكليني يقول في خطبة كتاب (الكافي): وقلت إنك تحب أن يكون عندك كتاب كافٍ يجمع جميع فنون الدين بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهما السلام والسنن القائمة التي عليها العمل وبها يؤدى فرض الله وسنة نبيه وقد يسر الله وله الحمد تأليف ما سألت.

---

(١) تقدم في العنوان المتعلق بهاني بن عروة ما ذكراه من الزيارة المتعلقة به والصلاة بعدها.

وقال الشيخ الصدوق في أول (من لا يحضره الفقيه): إني لم أقصد قصد المصنفين في إيراد جميع ما رووه بل قصدت إلى إيراد ما أُفتي به وأحكم بصحته وأعتقد أنه حجة فيما بيني وبين ربي تقدس ذكره وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة عليها المعول وإليها المرجع.

وقال ابن المشهدي في أول (المزار الكبير): إني جمعت في كتابي هذا من فنون الزيارات للمشاهد وما ورد من الترغيب في المساجد المباركة والأدعية المختارة وما يدعى به عقيب الصلوات وما يناجى به القديم تعالى من لذيذ الدعوات وما يلجأ إليه من الأدعية عند المهمات مما اتصلت به من ثقات الرواة إلى السادات الأطهار عليهم السلام.

وقال الشريف النقيب ابن طاووس في آخر (مصباح الزائر) إن ما وقع اختياره عليه في الكتاب وصل على الوجه الذي استحسنته وأعتمد عليه من جهة الرواية.

وإن ما ذكرناه في ترجمة الشريف المطبوعة في كتابه (الملاحم) تفيد القارئ معرفة بجلالته وسعة اطلاعه ومقامه عند العلماء وأما ابن المشهدي فهو أبو عبدالله محمد بن جعفر بن جعفر المشهدي الحائري ووصفه بهما صاحب المعالم في إجازته الكبيرة كان أعلى الله مقامه جليلاً في الطائفة متبحراً في أخبار

أهل البيت واسع الرواية عظيم المنزلة بين العلماء متكرر الذكر في الإجازات.

روى عن جماعة يزيدون على اثنين وعشرين منهم يحيى بن البطريق والشيخ ورّام صاحب (تنبيه الخاطر) وهبة الله بن نما الحلي والسيد عز الدين ابن زهرة وشاذان بن جبرئيل القمي إلى غيرهم.

وروى عنه محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما بن علي بن حمدون الحلي المعروف بابن نما على الإطلاق وذكر أن والده أجاز له أن يروي كتاب المقنعة للشيخ المفيد عنه عن محمد بن جعفر بن المشهدي وكان ابن المشهدي يقول قرأتها ولم أبلغ العشرين على الشيخ أبي منصور محمد بن الحسن بن منصور النقاش الموصلي وهو طاعن في السن وأخبره أنه قرأها في أول عمره على الشريف النقيب المحمدي الموصلي وهو طاعن في السن وأخبره أنه قرأها في أول عمره على المصنف الشيخ المفيد أعلى الله مقامه.

ولم نقف على تحديد عمر ابن المشهدي بالتحقيق غير أنه أرخ سماعه في مجلس عماد الدين الطبري بسنة ثلاث وخمسين وخمسمائة في مشهد أمير المؤمنين وإجازته من ابن الحمد النحوي في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وقراءته على الشيخ

عربي بن مسافر وهبه الله بن نما بن علي بن حمد في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة في ربيع الأول فهو من علماء القرن السادس.

له كتاب المصباح وإيضاح المناسك والمزار الكبير الذي ينقل عنه السيد ابن طاووس في كتبه والسيد عبد الكريم في (فرحة الغري) وصاحب المزار القديم وهو من مصادر (بحار الأنوار) لشيخنا المجلسي أعلى الله مقامه[1].

(١) المستدرك للنوري: ج٣، ص٣٦٥ وص ٤٧٧ وإجازة صاحب المعالم الكبيرة في البحار: ج٢٥، كتاب الإجازات.

الشعر

ومن الاحتفال بأمر مسلم عليه السلام تأبينه بسرد مآثره وبث فوادحه لتكون خالدة مع الدهر يرتل سطور نهضته الجديدان وتسير بها الركبان وتضمها طيات الكتب وصحائف المجاميع وتشدو بها خطباء المنابر وتصيخ إليها الأسماع وتعيها أُذن واعية فتتأثر بها النفوس وترق لها القلوب وبها يكون الولاء لمسلم عليه السلام مزيج روحية الملأ المستتبع لتحري مبادئه الصحيحة التي ضحى نفسه لانتشارها وتمهيد الطريق إليها وأول ما وقفنا عليه مما رُثي به قول شاعره:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هاني في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشّم السيف أنفه ... وآخر يهوي من طمار قتيل
أصابهما أمر الأمير فأصبحا ... أحاديث من يسري بكل سبيل
تري جسداً قد غيّر الموت لونه ... ونضح دم قد سال كل مسيل
فتى هو أحيا من فتاة حيية ... وأقطع من ذي شفرتين صقيل

أيركب أسماء الهماليج آمناً وقد طلبته مذحج بذحول
فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم فكونوا بغايا أُرضيت بقليل

وهذه الأبيات نسبها في رياض المصائب: ص ٢٦٨ إلى الفرزدق وفي اللهوف: ص ٣٢ صيدا وكامل ابن الأثير: ج٤، ص ١٥، قيل إنها للفرزدق وزاد في اللهوف أنّ بعضهم يراها لسليمان الحنفي ونسبها الدينوري في الأخبار الطوال: ص٢٤٢ إلى عبد الرحمن بن عبدالله الأسدي وفي البداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص ١٥٧ نسبها إلى الشاعر وفي نقله أنها قصيدة ولكنه ذكر منها خمسة أبيات وعند ابن الأثير في الكامل وأبي الفرج في المقاتل والشيخ المفيد وابن نما أنها لعبدالله بن الزبير الأسدي[١].

ولكن في نص الأغاني: ج١٣، ص ٣١ أن عبدالله بن الزبير من شيعة بني أمية وذي الهوى فيهم والتعصب والنصرة على عدوهم وأنه لا يمالئ أحداً عليهم ولا على عمالهم وكان عبيدالله ابن زياد يصله ويكرمه ويقضي ديونه وله فيه مدائح منها:

إليك عبيد الله تهوي ركابنا تعسّف مجهول الفلاة وتدأب
وقد ضمرت حتى كأن عيونها نطاف فلاة ماؤها متصبب

(١) في كامل ابن الأثير: ج٤، ص١٥، الزبير بفتح الزاء المعجمة وكسر الباء الموحدة.

فقلت لها لا تشتكي الأين إنه أمامك قرمٌ من أمية مصعب
إذا ذكروا فضل امرئ كان قبله ففضل عبيدالله أثرى وأطيب
وإنك لو يشفى بك القرح لم يُعدِ وأنت على الأعداء نابٌ ومخلب
تصافى عبيدالله والمجد صفوة الحليفين ما أرسى ثبير ويثرب
وأنت إلى الخيرات أول سابقٍ فأبشر فقد أدركت ما كنت تطلب

ويقول في مدح أسماء بن خارجة وكان يكرمه ويصله:

فمن مثل أسماء بن حصين إذا عدَّت شآبيبه أم أي شيء يعادله
وكنت إذا لاقيت منهم حطيطة لقيت أبا حسان تندى أصائله
تضيفه غسان يرجون سيبه وذو يمن أجيوشه ومقاوله[1]
فتى لا يزال الدهر ما عاش مخصباً ولو كان بالموتان يجدي رواحله
فأصبح ما في الأرض خلق علمته من الناس إلا باع أسماء طائله
تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت نائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله
ترى الجند والأعراب يغشون بابه كما وردت ماء الكلاب نواهله
إذا ما أتوا أبوابه قال مرحباً لجوا الباب حتى يقتل الجوع قاتله
ترى البازل البختي فوق خوانه مقطعة أعضاؤه ومفاصله

(١) الجيشان لقب عبد الرحمن بن حجر بن ذي رعين وإليه ينسب الجيشانيون والمقاول جمع مقول كثير يقال لملك اليمن أو ملوك حمير خاصة، القاموس وتاج العروس.

إذا ما أتوا أسماء كان هو الذي تحلّب كفاه الندى وأناملهُ[١]

وهل يستطيع أحد بعد مدائحه وعقيدته ونزعته الأموية أن ينسب الأبيات إليه خصوصاً وقد ذكر أبو الفرج أن أسماء بن خارجة له ذكر قبيح عند الشيعة يعدونه في قتلة الحسين ومعاوناً لعبيدالله بن زياد على هاني بن عروة حتى قتله ونصره على مسلم بن عقيل وذكر ذلك شاعرهم فقال[٢]:

أيركب أسماء الهماليج آمناً وقد طلبته مذحج بقتيل

فنسب هذا البيت وهو في جملة تلك الأبيات إلى شاعر الشيعة وقد عرفت أن عبدالله بن الزبير أموي الرأي ومادحاً ليزيد ابن معاوية وليس من شيعة آل علي.

نعم نسبة تلك الأبيات إلى الفرزدق قريبة جداً لتشيعه وموالاته الأكيدة لآل علي عليه السلام والذب عنهم وهجاء من عاداهم وكونه حاجاً بأمه سنة ستين لا يدفع نسبتها إليه إذ من القريب أنه أنشأها بعد رجوعه من الحج وقد بلغه فعل الدعي ابن مرجانة بعترة الرسول ومن آواهم ولبى دعوتهم.

وقد أكثر العلماء والأدباء باللغة الفصحى والعامية في

---

(١) الأغاني: ج١٣، ص٣٣ وص ٣٧.
(٢) الأغاني: ج١٣، ص٣٥.

التعريف بما لابن عقيل من نفسية قدسية وما حواه من فضائل وفواضل أهلته للنيابة الخاصة عن خليفة الله في أرضه وما أبداه من بسالة حينما كشفت الحرب عن ساقها وكشرت عن نابها فقابل بمفرده أولئك الجماهير من أعدائه (في موقف لو به أرسي ثهلان لزالا) حتى أكثر القتلى وضجت الكوفة بأهلها وكان لهتافه المعرب عن ثباته وإيمانه دويّ في أرجائها.

وممن بادر للفوز بالرضوان الأكبر سيد العلماء المحققين وقدوة الفقهاء الراسخين الآية الكبرى السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي أعلى الله درجته ونور ضريحه فقال[1]:

عين جودي لمسلم بن عقيل لرسول الحسين سبط الرسول
لشهيد بين الأعادي وحيد وقتيل لنصر خير قتيل
جاد بالنفس للحسين فجودي لجواد بنفسه مقتول
فقليل من مسلم طلّ دمع لدم بعد مسلم مطلول
أخبر الطهر أنه لقتيل في وداد الحسين خير سليل
وعليه العيون تسبل دمعاً هو للمؤمنين قصد السبيل
وبكاه النبي شجواً بفيض من جوى صدره عليه هطول

(١) القصيدة طويلة زادت على الثمانين بيتاً تعرّض فيها لمدح هاني بن عروة وشهداء الطف أنتخب منها ما أثبتناه الفاضل السيّد حسين ابن العلامة السيّد محمد تقي آل بحر العلوم.

قائلاً: إنني إلى الله أشكو ... ما ترى عترتي عقيب رحيلي
فابكِ من قد بكاه أحمد شجواً ... قبل ميلاده بعهد طويل
وبكاه الحسين والآل لما ... جاءهم نعيه بدمع همول
كان يوماً على الحسين عظيماً ... وعلى الآل أي يوم مهول
منذراً بالذي يحلّ بيوم ... بعده في الطفوف قبل الحلول
ويح ناعيه قد أتى حيث يرجى ... أن يجيء البشير بالمأمول
أبدل الدهر بالبشير نعياً ... هكذا الدهر آفة من خليل
فأحثوا الركاب للثأر لكن ... ثأروه بكل ثأر قتيل
فيهم ولده وولد أبيه ... كم لهم في الطفوف من مقتول
خصّه المصطفى بحبَّين حب ... من أبيه له وحب أصيل
قال فيه الحسين أي مقال ... كشف الستر عن مقام جليل
ابن عمي أخي ومن أهل بيتي ... ثقتي قد أتاكم ورسولي
فأتاهم وقد أتى أهل غدر ... بايعوه وأسرعوا في النكول
تركوه لدى الهياج وحيداً ... لعدو مطالب بذحول
لست أنساه إذ تسارع قوم ... نحوه من طغاة كل قبيل
وأحاطوا به فكان نذيراً ... باقتحام الرجال وقع الخيول
صال كالليث ضارباً كل جمع ... بشبا حد سيفه المسلول
وإذا اشتد جمعهم شد فيهم ... بحسام بقرعهم مفلول
فرأى القوم منه كر عليّ ... عمه في النزال عند النزول

وقال في الاعتذار عن أداء الحق:

يابن بنت النبي إن فات نصري ... يوم طعن القنا ووقع النصول
فولائي دليل أني قتيل ... فيك لو كنت بدء كل قتيل
باذلاً مهجتي وذاك قليل ... في وداد البتول وابن البتول
مقولي صارم وليس كليلاً ... وهو في ذا المصاب جد كليل
وقصاراي فيه جهد مقل ... منك يرجو قبول ذاك القليل
ما إلى رزئك الجليل سبيل ... فإلى (مسلم) جعلت سبيلي
إن يكن لي بكل عضو لسان ... ما وفى لي بمسلم بن عقيل

ولحجة الإسلام آية الله الشيخ عبد الحسين صادق العاملي المتوفى سنة ١٣٦١هـ بالنبطية:

سل كوفة الجند مُذ ماجت قبائلها ... تسدّ ثغر الفضا في سيلها العرم
غداة زلّت عن الإسلام فاتكة ... بمسلم حين أضحى ثابت القدم
فقام وهو بليغ الوعظ ينذرهم ... بالمرهفين غراري صارم وفم
لم أنسه وهو نائي الهم حين سرى ... من يثرب يملأ البيداء بالهمم
عجلان أقلقل أحشاه البسيطة في ... إرقالة من بنات الأينق الرسم
طوع ابن فاطمة أمّ العراق على ... علم بأن أمام السير سفك دم
جذلان نفس سرى والموت غايته ... أفديه من قادم للموت مبتسم
يرى المنية من دون ابن حيدرة ... أشهى له من ورود الماء وهو ظمي
هامت به البيض تقبيلاً وهام بها ... ضرباً وكلّ بغير المثل لم يهم

فكم تحلّب من أخلاف صارمه موت زؤام وحتف غير منخرم
وكم تلمَّظ بالأبطال أسمره غداة أطعمه أحشاء كل كمي
كبا به القدر الجاري وحان له من الشهادة ما قد خطّ بالقلم
فراح ملتثماً بالسيف مبسمه أفديه من مبسم بالسيف ملتثم
وحلقت نفسه للخلد صاعدة غداة في جسمه وجه الصعيد رمي
للَّه من مفرد أمست توزعه جموعهم بشبا الهندية الخذم
أضحى تريب المحيا الطلق ما مسحت
عنه غبار النقا كفّ لذي رحم
ما الشمس في بهجة الإشراق ناصعة
تحكي محياه مخضوباً بفيض دم
ما شدّ لحييه من عمرو العلى أحدٌ كلا ولا ندبته الأهل من أمم
نائي العشيرة منبوذ بمصرعه مترَّب الجسم من قرن إلى قدم
مَن مبلغ السبط أن الدهر فلّ له من الصوارم أمضى مرهف خذم
لا البيض من بعده حمر مناصلها ولا القنا بعده خفاقة العلم

لآية الله الحجة الشيخ محمد حسين الأصفهاني المتوفى سنة ١٣٦١ بالنجف:

يا ربي المحمود في فعاله صلِّ على محمد وآله
وصلِّ بالإشراق والأصيل على الإمام من بني عقيل
أول فاد فاز بالشهادة وحاز أقصى رُتب الشهادة

أول رافع لراية الهُدى ... خصّ بفضل السبق بين الشهدا
درة تاج الفضل والكرامة ... قرة عين المجد والشهامة
غرة وجه الدهر في السعادة ... فإنه فاتحة السعادة
كفاه فخراً منصب السفارة ... وهو دليل القدس والطهارة
كفاه فخراً شرف الرسالة ... عن معدن العزة والجلالة
وهو أخ ابن عمه المظلوم ... نائبه الخاص على العموم
وعينه كانت به قريرة ... حيث رآه نافذ البصيرة
لسانه الداعي إلى الصواب ... بمحكم السنة والكتاب
منطقه الناطق بالحقائق ... فهو ممثل الكتاب الناطق
له من العلوم ما يليق به ... بمقتضى رتبته ومنصبه
يمينه في القبض والبسط معا ... فما أجل شأنه وأرفعا
فارس عدنان وليث غابها ... وسيفها الصقيل في حرابها
بل هو سيف السبط سيف الباري ... وليث غاب عترة المختار
أشرق كوفان بنور ربها ... مُذ حلّ فيها رَبّ أرباب النهى[1]
بايعه من أهلها ألوف ... والغدر منهم شائع معروف
ثباته من بعد غدر الغدرة ... ثبات عمّه أمير البررة
بل هو في وحدته وغربته ... كعمّه في بأسه وسطوته
له من الشهامة الشماء ... ما جاز حدّ المدح والثناء

---

(١) رَبّ أرباب النهى: أي مصلح أصحاب العقول.

أيامه مشهودة معروفة ... يعرفها أبطال أهل الكوفة
كم فارس غدا فريسة الأسد ... كم بطل فارق روحه الجسد
وكم كميّ حدّ سيفه قضى ... على حياته كمحتوم القضا
وكم شجاع ذهبت قواه ... وذاب قلبه إذا رآه
شدّ عليهم شدّة الليث الحرب ... قرّت عيون آل عبد المطلب
بل عين عمه العليِّ قدرا ... إذ هو بالبارق أحيى بدرا
ذكر يوم خيبر وخندق ... بصولة تبيد كل فيلق
تكاثروا عليه وهو واحد ... لا ناصرٌ له ولا مساعد
رموه بالنار من السطوح ... لروحه الفداء كل روح
حتى إذا أُثخن بالجراح ... واشتد ضعفه عن الكفاح
لم يظفروا عليه بالقتال ... فاتخذوا طريق الاحتيال
فساقه القضا إلى الحفيرة ... أو ذروة القدس من الحظيرة
أصبح مسلم أسير الكفرة ... تعساً وبؤساً للِّئام الغدرة
كان أميراً فغدا أسيرا ... كذاك شأن الدهر أن يجورا
أدخل مكتوفاً على ابن العاهرة ... عذّبه الله بنار الآخرة
أسمعه سباً وشتماً فاحشا ... رماه باطلاً بما يدمي الحشا
وما اشتفى من مسلم بما لقي ... حتى اشتفى منه بضرب العنق
وبعده رماه من أعلى البنا ... فانكسرت عظامه واحزنا
وشدّ رجلاه ورجلا هاني ... بالحبل يا للذل والهوان
فأصبحا ملعبة الأطفال ... بالسحب في الأسواق بالحبال

فلتبكه عين السما دماً فما أجلَّ رزء مسلم وأعظما
وقد بكاه السبط حينما نعي إليه مسلم بقلب موجع
فارتجت الأرجاء بالبكاء على عميد الملة البيضاء
واهتز عرش الملك الجليل على فقيد الشرف الأصيل
وناحت العقول والأرواح لما استحلّوا منه واستباحوا
صبت دموع خاتم النبوة على فقيد المجد والفتوة
بكاه عمه على مصابه وحق أن يبكي دماً لما به
بكى على غربته آل العبا وكيف لا وهو غريب الغربا
ناحت عليه أهل بيت العصمة فيا لها من ثلمة ملمّة

للعلامة الحجة السيد رضا الهندي المتوفى سنة ١٣٦٢[1]:

لو أن دموعي استهلت دما لما أنصفت بالبكا مسلما
قتيل أذاب الصفا رزؤه وأحزن تذكاره زمزما
وأورى الحجون بنار الشجون وأبكى المقام وأشجى الحمى
أتى أرض كوفان في دعوة لها الأرض خاضعة والسما
فلبّوا دُعاه وأمّوا هُداه لينقذهم من عشاء العمى
وأعطوه من عهدهم ما يكاد إلى السهل يستدرج الأعصما
وما كان يحسب وهو الوفي أن ينقضوا عهده المبرما
فديتك من مفرد أسلموه لحكم الدعي فما استسلما

(١) من مجموعة الخطيب الأستاذ الشيخ مسلم الجابري.

وألجأه غدرهم أن يحلّ ... في دار طوعة مستسلما
فمذ أقحموا منه في دارها ... عريناً أبى الليث أن يقحما
أبان لهم كيف يضرى الشجاع ... ويشتد بأساً إذا أُسلما
وكيف تهبّ أُسود الشرى ... إذا رأت الوحوش حول الحمى
وكيف تفرق شهب البزاة ... بغاثاً تطيف بها حوّما
ولما رأوا بأسه لا يطاق ... وماضيه لا يرتوي بالدما
أطلّوا على شرفات السطوح ... يرمونه الحطب المضرما
ولولا خديعتهم بالأمان ... لما أوثقوا ذلك الضيغما
وكيف يحس بمكر الأثيم ... من ليس يقترف المأثما
لئن ينسني الدهر كل الخطوب ... لم ينسني يومك الأيوما
أتوقف بين يدي فاجر ... دعيّ إلى شرهم منتمى
ويشتم أسرتك الطاهرين ... وقد كان أولى بأن يُشتما
وتقتل صبراً ولا طالب ... بثأرك يسقيهم العلقما
وترمى إلى الأرض من شاهق ... ولم ترمِ أعداك شهبُ السما
فإن يحطموا منك ركن الحطيم ... وهدّوا من البيت ما استحكما
فلست سوى المسك يذكو شذاه ... ويزداد طيباً إذا حطّما
فإن تخلُ كوفان من نادب ... عليك يقيم لك المأتما
فإن ظبى الطالبيين قد ... غدت لك بالطف تبكي دما
زها منهم النقع في أنجم ... أعادت صباح العدى مظلما

وللعلامة السيد باقر نجل آية الله الحجة السيد محمد الهندي

قدس الله تربتهما أبياتاً سبعة وصدرها الخطيب الفاضل الشيخ قاسم الملا الحلي بثلاثة عشر بيتاً وذيّلها بأربعة أبيات وأتمها العالم الشيخ محمد رضا الخزاعي بتسعة أبيات.

الشيخ قاسم الملا:

لحيّكم مهجتي جانحه ونحوكم مقلتي طامحه
وأستنشق الريح إن نسّمت فبالأنف من نشركم نافحه
وكم لي على حيّكم وقفة وعيني في دمعها سابحه
تعاين أشباح تلك الوجوه فلا برحت نحوكم شابحه
وكم ظبيات بها قد رعت بقيصوم قلبي غدت سارحه
تقضّت ومن لي بها لو تعود فكيف وقد ذهبت رائحه
وعدت غريباً بتلك الديار أرى صفقتي لم تكن رابحة
كما عاد مسلم بين العدى غريباً وكابدها جائحه
رسول حسين ونعم الرسول إليهم من العترة الصالحه
لقد بايعوا رغبة منهم فيا بؤس للبيعة الكاشحه
وقد خذلوه وقد أسلموه وغدرتهم لم تزل واضحه
فيابن عقيل فدتك النفوس لعظم رزيتك الفادحه
لنبكِ لها بمذاب القلوب فما قدر أدمعنا المالحه

السيد باقر الهندي رحمه الله:

بكتك دماً يابن عم الحسين مدامع شيعتك السافحه

ولا برحت هاطلات العيون تحييك غادية رائحه
لأنك لم تروَ من شربة ثناياك فيها غدت طائحه
رموك من القصر إذ أوثقوك فهل سلمت فيك من جارحه
وسحباً تجرّ بأسواقهم ألست أميرهم البارحه
أتقضي ولم تبكك الباكيات أما لك في المصر من نائحه
لئن تقضي نحباً فكم في زرود عليك العشية من صائحه

الشيخ قاسم الملّا:

وكم طفلة لك قد أعولت وجمرتها في الحشا قادحه
يعززها السبط في حجره لتغدو في قربه فارحه
فأوجعها قلبها لوعة وحست بنكبتها القارحه
تقول مضى عمّ مني أبي فمن ليتيمته النائحه[1]

الشيخ محمد رضا الخزاعي[2]:

ثكول تبيت بليل اللسيع تعج وعن دارها نازحه
وكم من كميّ بأحشائه تركت زناد الأسى قادحه
دريت ابن عمك يوم الطفوف نعاك بأسرته الناصحه
تحف به منهم فتية صباح وأحسابهم واضحه

---

(١) إلى هنا من كتاب (سوانح الأفكار في منتخب الأشعار) للخطيب الأستاذ السيد محمد جواد شبر.

(٢) من مجموعة الخطيب الأستاذ الشيخ مسلم الشيخ محمد علي الجابري.

بكاك بماضي الشبا والوغى وجوه المنايا بها كالحه
أقام بضرب الطلى مأتماً عليك وبيض الظُبى نائحه
ونادى عشيرتك الأقربين خُذي الثار يا أُسرة الفاتحه
وخاض بهم في غمار الحتوف ولكنما بالظُبى طائحه
وقال لها يا نزار النزال فحربك في جدّها مارحه

وقال العلامة الحجة ميرزا محمد علي الأوردبادي الغروي:

وافى بمنقطع البيان ثناؤه بطل على الجوزاء رفَّ لواؤه
وعلا السماك محله شرفاً وإن يك في الصعيد يلفّه بوغاؤه
الباسط العدل المهيب جواره والواسع الوفر الرحيب فناؤه
قد أخضل الوادي بمرزم سيبه وأضاء في النادي الرهيب بهاؤه
لم تدرِ يوم تبلّجت أنواره أذُكاً تضيء الأُفْق أم سيماؤه
هو نقطة المجد الأثيل تألفت منها غداة تكثرت أجزاؤه
وله بأعلام النبوة مفخر قد نيط بالإيمان فيه بكاؤه
وبعين جبار السماء شهادة خصّت به وعليه حق جزاؤه
ونيابة عن سبط أحمد حازها فتقاعست عن حملها قرناؤه
وأُخوّة قد شرّفته بموقف قد كان مشكوراً لديه إخاؤه
لم يبغِ غير هوى الحسين ورهطه وسواه قد شطّت به أهواؤه
هو ذاك موئل رأيه وعليه من أمر الإمامة أُلقيت أعباؤه
علم تدفّق جانباه فلم يدع إما تدفق ساحلاً دأماؤه

وندىً به وجه البسيط تبلجت أرجاؤه وتأرجت أجواؤه
وبسالة موروثة من حيدر فكأن موقف زحفه هيجاؤه
وضرائب قدسية ما إن تلح إلا أطلّ على الوجود ذكاؤه
وشذيّ نجرٍ من ذؤابة غالب تسري على مرّ الصبا فيحاؤه
ومآثر شعّت سناً تمتد من نسب قصير يستطيل سناؤه
وأمير مصرٍ لم يخنه وإن يكن خانته عند الملتقى أُمراؤه
يزهو به دست الخلافة مثلما يزدان من صرح الهدى أبهاؤه
للّه صفقة رابح لمّا يَبِنْ يوم التغابن بيعه وشراؤه
هو مسلم الفضل الجميع ومعقد الشرف الرفيع تقدست أسماؤه
طابت أواصره فجمَّ مديحه وزكت عناصره فجلّ ثناؤه
قرَّت به عينا عقيل مثلما سرّت بموقف مجده آباؤه
واحتل من كوفان صقع قداسة فيه تقدّس أرضه وسماؤه
كثرت مناقبه النجوم وكاثرت قطر الغمام بعدّه أرزاؤه
سيف لهاشم صاغه كفّ القضا فلنصرة الدين الحنيف مضاؤه
شهدت له الهيجاء أن بيمينه أمر المنايا حكمه وقضاؤه
إذ غاص في أوساطها وأليفه ماضي الشبا وسميره سمراؤه
في يوم حرب بالقتام مجلّل أو ليل حرب قد جلاه رواؤه
وبمأزق فيه النفوس تدكدكت من بعد ما التقم الرؤوس فضاؤه
إن سلّ عضباً فالجبال مهيلة أو هزّ رمحاً فالسما جرباؤه
وانصاع يزحف فيهم مستقصياً فأتى على بُهَم الوغى استقصاؤه

يحصي مصاليت الكماة بصارم ... لم يبقِ منهم مقبلاً إحصاؤه
وارتج كوفان عليه بعاصف ... من شره وتغلغلت أرجاؤه
فرأوا هنالك مخمداً ضوضاءهم ... بكمين بأسٍ هدّهم بأساؤه
ومبيد شوكتهم إذا حمّ الوغى ... أضحى يدير الأمر كيف يشاؤه
من فاتق رتق الصفوف وخارق ... جمع الألوف غداة عز رفاؤه
لولا القضا عرفوه مطفئ عزمهم ... بمهند لا ينطفي إيراؤه
لكنهم عرفوا الضبارم خاضعاً ... لوليّ أمرٍ لا يرد قضاؤه
أمنوا الشقا فتواثبوا لقتاله ... فارتث من بطل الهدى أعضاؤه
حتى إذا غيل الهزبر بمستوى ... لا بد أن ترد الردى أُسراؤه
بالأمس كان أميرهم واليوم ... تسحبه إلى ابن سمية زملاؤه
وهناك إدّ من مقالة فاجر ... قد كان يسمعه التقي رغاؤه
إن كان أسمعه سباباً مقذعاً ... فالنضح مما قد حواه إناؤه
ولدين أحمد مدمع لفؤاده الـ ... ـمفطور من ظمأٍ ترقرق ماؤه
ولقد بكيت مقطَّعاً منه الحشا ... قد وزعت بشبا الظبا أشلاؤه
ومناوَلاً قدحاً ليروي غلة ... قد أجهدته فغيّرته دماؤه
طلاع كل ثنية طاحت ثنا ... ياه فأجج بالصديّ ظماؤه
وأشد ما عاناه من أرزائه ... إفك الدعيّ عليه أو إزراؤه
لم يصعدوه نكاية أعلى البنا ... إلا وثمّت حلّقت علياؤه
قوس الصعود له وإن يك قد ... هوى متنازلاً حوباؤه
يا هل درى القصر المشيد بأن ... من ينقض عنه جماله وبهاؤه

هو للإمارة وهو مفخر دسته ... والمكرمات إهابه ورداؤه
ألقوه من صعدٍ فكان محطّماً ... جثمانه ومعظّماً برحاؤه
ويجرّ في الأسواق منه أخو هدىً ... من حادثات الدهر طال عناؤه
فكأنه وسريّ مذحج خدنه ... في السحب من أفق العلا جوزاؤه

لفضيلة العلامة السيد محمد نجل حجة الإسلام آية الله السيد جمال الهاشمي أدام الله ظله:

سار يطوي القفار سهلاً ونجدا ... ويحث الركاب رملاً ووخدا
بعثته رسالة الحق وحياً ... فيه ركب الحياة يُحدى ويُهدى
يتحدى التاريخ فرداً بعزم ... فار غيظاً على الزمان وحقدا
أيزيد يقود قافلة الدين، ... إلى أين أيها الركب تحدى؟!
أترى يترك الحميّا، وقد شبّ ... عليها وشاب حُباً ووجدا؟
عاشر القرد في صباه إلى أن ... عاد في الطبع والشمائل قردا
وأراد ابن هند أن يمحق الدين ... ويُعلي به يعوقاً ووَدّا
فارتضاه للمسلمين إماماً ... مستجاراً وحاكماً مستبدا
وهنا ثارت العقيدة بركاناً ... وفارت حقداً يصلصل وقدا
صهرتها روح الحسين نشيداً ... ردّدته القرون فخراً ومجدا
وتحلى بلحنه ابن عقيل ... وتحدى النظام هدماً ونقدا
وسرى في القفار يهتف: عاش ... الدين في موكب الحسين المفدى
نثر الحب في الرمال ففاضت ... ربوات الصحراء ورداً ورندا

كوفة الجند قابلته بروح ... تتندى له ولاءً وودّا
وهي مهد الهوى لآل علي ... فجدير بأن تجدد عهدا
أرسول الحبيب يأتي بشيراً ... باللقا فلتذب هناءً وسعدا
ولتبايع يد الحسين وتُعلي ... ذكره في الجموع مدحاً وحمدا
ولتعش جمرة العقيدة والروح ... لتصفو لها الموارد وردا
ومشت في القلوب موجة إيمان ... غدت تغمر الجماهير مَدّا
رفعت للجهاد ألوية الموت ... وسارت بها المواكب حشدا
قررت أن تلفّها الحرب أو تنشر ... من حكمها على الدهر بندا
واغتدى مسلم يعبئ جيشاً ... علوياً يفيض بأساً ونجدا
وأثارت يزيد أحداث كوفان ... وماجت دمشق برقاً ورعدا
وأشار الخنا إلى ابن زياد ... أن يدير الأمور حلّاً وعقدا
فسعى مفرداً لكوفان لكن ... كان من خبثه يساير جندا
أنكرته العيون لما تراءى ... سيداً، وهي فيه تبصر عبدا
وكما رامه يزيد أدار الوضع ... في حزمه وعيداً ووعدا
وتلاشى التيار، فالمسجد الأعظم ... قد بات فيه مسلم فردا
خانه الدهر، فالجماهير راحت ... تتناءى عنه شيوخاً ومُردا
ومشى يقطع الشوارع حتى ... كلّ من سيره مراحاً ومغدى
وتسامت أمجاد طوعة لما ... ضافها مسلم عياءً وجهدا
وأتته أنصاره وهي أعداء ... تَرَدَّت من الخزاية بُردا
تبتغي منه أن يبايع نغلاً ... أنكرته الأصلاب رسماً وحدّا

فطوى جيشها الكثيف بسيف يتلقى الألوف نثراً وحصدا
ذكَّرت فيه عمه ورأت في يومه حلم أمسها قد تبدّى
غدرت فيه بالأمان ولولاه لما أطفأت له الحرب زندا
أدخلته قصر الإمارة ظمآناً ولمّا يذُقْ من الماء بردا
حاول النغل عجمه فرآه خشناً في فم الحوادث صلدا
قطع البغي رأسه ورمى الطغيان جثمانه انتقاماً وحقدا
رام إطفاء نوره، وهو نور الله هيهات خاب فألاً وقصدا
ها هي الذكريات تطفح منها ظلمات القرون نوراً ورشدا

الخطيب الفاضل السيد صالح الحلي رحمه الله :

لو كان ينقع للعليل غليل فاض الفرات بمدمعي والنيل
كيف السلو وليس بعد مصيبة ابن عقيل لي جلد ولا معقول
خطب أصاب محمداً ووصيه للّه خطب قد أطل جليل
أفديه من فادٍ شريعة أحمد بالنفس حيث الناصرون قليل
حكم الإله بما جرى في مسلم والله ليس لحكمه تبديل
خذلوه وانقلبوا إلى ابن سمية وعن ابن فاطمة يزيد بديل
آوته طوعة مذ أتاها والعدى من حوله عدواً عليه تجول
فأحس منها ابنها بدخولها في البيت أن البيت فيه دخيل
فمضى إلى ابن زياد يسرع قائلاً بشرى الأمير فتىً نماه عقيل
فدعا الدعيّ جيوشه فتحزبت يقفو على أثر القبيل قبيل

وأتت إليه فغاص في أوساطها حتى تفلّت عرضها والطول
فكأنه أسد لجوع شبوله في الغيل أفلته عليها الغيل
يسطو بصارمه الصقيل كأنه بطلى الأعادي حده مصقول
حتى هوى بحفيرة صُنعت له أهوت عليه أسنّة ونصول
فاستخرجوه مثخناً بجراحه والجسم من نزف الدماء نحيل
سل ما جرى جُملاً ودع تفصيله فقليله لم يحصه التفصيل
قتلوه ثم رموه من أعلا البنا وعلى الثرى سحبوه وهو قتيل
ربطوا برجليه الحبال ومثّلوا فيه فليت أصابني التمثيل
مذ فاجأ الناعي الحسين علت على فقدان مسلم رنّةٌ وعويل
وله ابنة مسح الحسين برأسها واليتم مسح الرأس فيه دليل
لمّا أحسّت يتمها صرخت ألا يا والدي حزني عليك طويل
قال الحسين أنا زعيم بعده لا تحزني وأبٌ لكِ وكفيل
قد مات والدها فأمّلت البقا في العم لكن فاتها المأمول[1]

للطبيب الحاذق الأديب الشيخ محمد الخليلي:

إن كنت تحزن لادّكار قتيل فاحزن لذكرى مسلم بن عقيل
واجزع لنازلة بخير مفضّل أبكى عيون الفضل والتنزيل
واندب قتيلاً ما انجلى ليل الوغى أبداً له عن مشبه وبديل
هو ليث غالب مسلمٌ من أسلمت مهج العدى لفرنده المصقول

---

(١) من مجموعة الخطيب الأستاذ الشيخ مسلم الشيخ محمد علي الجابري.

شهمٌ تحدّر من سُلالة هاشم خير البيوت عُلىً وخير قبيل
متفرعاً عن دوحة مضريّة تُنمى لأصلٍ في الفخار أصيل

*****

أمّ العراق مبلغاً برسالة أكرم بمرسله وبالمرسول
وأتى إلى كوفان ينقذ أمة طلبت إغاثتهم على تعجيل
فاكتظّ مسجدها بهم وعلت به أصواتهم بالحمد والتهليل
وتقاطروا مثل الفراش تهافتاً طلباً لبيعته على التنزيل
يفدونه بنفيسهم والنفس لا يبغون دون رضاه أي بديل
باتوا وبات مؤملاً للنصر من أشباحهم يا خيبة المأمول
لكنهم ما أصبحوا حتى غدا في مصرهم لا يهتدي لسبيل
خذلوه إذ عدلوا إلى ابن سمية واستبدلوا الإرشاد بالتضليل
وتجمعوا لقتاله من بعد ما عرفوه للإرشاد خير دليل
وأتوه منفرداً بمنزل طوعة وقلوبهم تغلي بنار ذحول
فغدا يفرّق جمعهم ويجندل الأبطال في عزم له مسلول
ورأوا به بطلاً إذا نكل العدى عنه فراراً فهو غير نكول
يلقى الكميّ بعزمة مضرية إجمالها يُغني عن التفصيل
إن صال أرجعهم على أعقابهم في بطش ليث في الرخام صؤول
فغدت فلول الهاربين لخوفها تطأ الشريد بأرجلٍ وخيول

*****

حتى إذا كظَّ الظما أحشاءه وغدت دماه تسيل أيَّ مسيل

وافوه غدراً بالأمان وخدعة منهم فلم يخضع خضوع ذليل
لكنهم حفروا الحفيرة غيلة فهوى بها كالليث جنب الغيل
وتكاثروا فيها عليه فأفقدوا يمناه خير مهندٍ وصقيل
وأتوا به قصر الإمارة مثخناً بجراحه ومقيداً بكبول
فغدا يقارعه الزنيم عداوة ويغيظه سبّاً بأقبح قيل
ودعا ابن حمران به ولسانه لهجٌ بذكر الله والتهليل
فأبان رأساً كان يرفعه الإبا عن جسم خير مزمل مقتول
ورماه من أعلا البناء إلى الثرى كالطود إذ يهوي لبطن رمول
فقضى شهيداً في مواطن غربة متضرجاً بنجيعه المطلول

* * * * *

وأتى الحسين السبط مؤلم نعيه فدهاه في خطب هناك جليل
فبكاه مفجوع الفؤاد بفقده حزناً سليل المصطفى المرسول
وغدت تزيد النوح صفوة أحمد لمصابه في رنة وعويل

للخطيب التقي السيد مهدي الأعرجي النجفي[1]:

هذي مرابعهم فحيّ وسلّم واعقل وقف فيها وقوف متيَّم
وانشد فؤاداً ضاع مني عندها بين الدكاك فالربى فالعيلم
أيام كان العيش حلو طعمه والعيش في اللذات حلو المطعم

---

(١) نقلتها من كتاب (سوانح الأفكار في منتخب الأشعار) للخطيب الأستاذ السيد محمد جواد شبر.

والراح يجلوها الهلال كأنها شمل لندمان كمثل الأنجم
والشمل ملتئم بكل مهفهف غنج غرير الطرف حلو المبسم
والدهر بايعنا وأعطانا على أن لا يخون بنا يد المستسلم
واليوم خان بنا فشتتنا كما خانت بنو صخر ببيعة مسلم
لم أنسه بين العدى وجبينه كالبدر في ليل العجاج المظلم
أفديه من بطل مهيب إن سطا لفّ الجموع مؤخراً بمقدم
شهم نمته إلى البسالة هاشم والشبل للأسد المجرّب ينتمي
ولدته آباء ميامين ولا تلد الأراقم قط غير الأرقم
حتى إذا ما أثخنوه بالظُبا ضرباً وفي وسط الحفيرة قد رُمي
جاؤوا إلى ابن زياد فيه فمذ رأى للقصر قد وافاه غير مسلّم
قال اصعدوا للقصر وارموا جسمه ومن الوريدين اخضبوه بالدم
صعدوا به للقصر وهو مكبل تجري دماه من الجوارح والفم
قتلوه ظام لم يبلَّ فؤاده أفديه من ظامي الحشا متضرّم
دفعوه من أعلاً الطمار إلى الثرى فتكسرت منه حنايا الأعظم

المحتويات

المقدّمة ٧
بيت أبي طالب ٧
عقيل ٣٠
إلى الشام ٣٢
كتاب عقيل ٣٦
كتاب أمير المؤمنين ٣٧
حديث الحديدة ٤٠
افتراء على عقيل ٤١
الخلف عن عقيل ٤٣

ولادة مسلم ٤٩
أمه ٥٣
نشأته ٦٩
المؤامرات في الكوفة ٧٣
كتبهم للحسين ٨٣
ولاية مسلم عليه السلام ٨٧
سفر مسلم إلى العراق ٩٧
مسلم لا يتطير ١٠١
تمهيد ١٠١
مسلم يتفأّل ١١٩
افتراء على الحسين ١٢٣
في بيت المختار الثقفي ١٢٤
البيعة ١٢٨
كتاب مسلم إلى الحسين ١٣٣
خطبة النعمان ١٣٣
ولاية ابن زياد ١٣٨
خطبة ابن زياد ١٤٠
موقف الكوفيين ١٤١
ابن سعد مع يزيد ١٤٩

المحتويات ٢٨٣

لفت نظر ١٥٩

في بيت هاني ١٦٣

مسلم لا يغدر ١٧١

حفظ الجوار ١٨٣

هاني مع ابن زياد ١٨٩

راية الأمان ١٩٤

نهضة مسلم ١٩٤

خطبة ابن زياد ١٩٩

إلى السجن ١٩٩

في بيت طوعة ٢٠٣

مسلم في اليوم الثاني ٢٠٦

في قصر الإمارة ٢١٧

كتم السر ٢٢١

الشهادة ٢٢٥

بعد الشهادة ٢٢٧

تاريخ الشهادة ٢٣٠

المرقد الأخير ٢٣٣

زوجاته وأولاده ٢٣٩

الاحتفال بأمر مسلم ٢٤٧

المأتم: ٢٤٨

الزيارة ٢٥١
الشعر ٢٥٧
قصيدة عبدالله بن الزبير ٢٥٧
قصيدة السيّد محمد مهدي بحر العلوم ٢٦١
قصيدة الشيخ عبدالحسين صادق ٢٦٣
قصيدة الشيخ محمد حسين الأصفهاني ٢٦٤
قصيدة السّيد رضا الهندي ٢٦٧
قصيدة الشيخ قاسم الملّا والسيّد باقر الهندي ٢٦٩
قصيدة الشيخ محمد رضا الخزاعي ٢٧٠
قصيدة الميرزا محمد علي الأوردبادي ٢٧١
قصيدة السيّد محمد جمال الهاشمي ٢٧٤
قصيدة السيّد صالح الحلّي ٢٧٦
قصيدة الشيخ محمد الخليلي ٢٧٧
قصيدة السيّد مهدي الأعرجي ٢٧٩

المحتويات ٢٨٥

المحتويات ٢٨٧